ابراهيم سطوحي

انشقاق الثوار

صراع ضباط ثورة ٢٣ يوليو



الزهراء للإعلام العربي



الزهراء للإعلام العربي
قســـم النشــر

ص ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً زاهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ راتف يو إن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الجمع التصويرى والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربى

تصميم الغلاف : عصمت داوستاشى
إخـــراج فنى : السيـد المغربـى

إبراهيم سطوحي

انشقاق الثوار

صراع ضباط ثورة ٢٣ يوليو

الزهراء للإعلام العربي

إهــداء

إلى هؤلاء :

الذين يؤمنون بأن أبناء التاريخ ، ليسوا هم هؤلاء الذين يسيرون فوقه على بساط أحمر مخملي ...

إنما أبناء التاريخ ، هم هؤلاء الذين يحفرون فى الصخر لمستقبل غيرهم ، ويتركون أثرا على عفر ترابه ، ليكتب على صفحات التاريخ ، إن هؤلاء قد مروا من هنا ، وتلك هي بصماتهم ...

المؤلف

تقديـــم

للدكتور / خالد نعيم

أستاذ التاريخ الحديث بآداب المنيا

يقول (جونسون) كاتب سيرة (دانتي الليجيري) مؤلف الكوميديا الإلهية :

(إن عظمة البلاد من عظمة مؤلفيها) .

وعندما اطلعت على تلك الأوراق المتميزة الأسلوب ، أخاذة العرض ، رأيت فيها (بانوراما) تاريخية ، تمزج مابين واقع الحدث التاريخي ، وميول الاتجاه الشخصي ، والمعالجة الدرامية لما يمكن أن يقع بعيدا عن العيون .

وفي العلوم البحتة ، الحقيقة لها وجه واحد . لا يتعدى المهتمون بها قطاع المتخصصين فيها من (التكنوقراط) ، الذين يعكفون على تجاربهم ، ليتوصلوا لنتائج تغير مابدأه غيرهم وهم في ارتيادهم لآفاق علومهم لايزاحمهم غيرهم .

أما في العلوم الإنسانية – ومنها التاريخ – فلا يحتكره المتخصصون . فهو حديقة غناء للجميع ، يرتادها المتخصصون والهواة ، فالكل يتطلعون عبر نوافذه على أحداثه ، لا تأليفا مطلق العرض ، يحرك كاتبه شخوصه من الخيال ، إنما يلتزم بالسيرة الواقعة ، يجسدها حسب رؤياه ، ويكسبها روحه ، متصرفا في لحمها ، دون هيكلها العظمي !

وجاء ذلك الكاتب المقيم في محافظة جامعتنا ، وسط عبق التاريخ الدارس له بآداب القاهرة بلا أكاديمية ، لكنه مفرط القراءة كالمتخصصين .

وقد عزم على أن يمشي في سراديبه وأدغاله ، يستخرج صوره متسلحا بصدق الحدث ، عابرا مسالك غير مجهولة ، وستظل مفتوحة للجميع ، كل بحسب قدرته على التحميض !

وقد تكون آلة العزف واحدة ، أما النغمة فرنينها يختلف باختلاف أنامل العازف ، وبخاصية اتجاهه ، وبتميز أسلوبه ، وبتعمق اطلاعه .

فأنت حين تقرأه لاتراه مدفوعا إلا بعاطفة العدل الاجتماعي ، وإقامة الحساب ، وبمقياس تأييد مسيرة الجماعة لا الفرد ، (الذين يتركون بصماتهم على عفر ترابه) .وتجده يميل لا إلى صولجان السلطان يكيل له المديح (لأنه يسير على بساط أحمر مخملي) ، إنما يميل إلى حكم المجموع الديمقراطي الذي ينوع الرأي ويضبط الإيقاع .

وأنه عندما يسرد حدثا ، تراه قد أوسع له ضوء الطريق .. فالاسم الذي يورده يتعقب أحداثه ، ويتتبع مصيره ، فتجده قد أحاطه بالوقع التاريخي حاضرا ومستقبلا ، وربطه بالقرينة والبرهان ، ولايتركه عاريا يعاني الغربة والبرودة فيفتقد الإقناع .

كما أنه قد لجأ إلى قصر العبارة وموسيقاها ، ودَوي الكلمة الإعلامية المنتشرة ، لا إلى العبارة الأكاديمية الثقيلة القاطعة ، لتكون كلماته كسبيكة الفضة ، في قالب مركز غير متميع ، لتحتفظ بخاصيتها الفريدة .

ولو قدر له الإطالة ، لزاد الإمتاع والإثارة .

د . خالد نعيم

المنيا سنة 88

مقدمـــة

كنت صبيا ، طالبا في التعليم الثانوى عندما وصل أذني نداء الثورة في الخمسينيات ، حيث أمسينا على أن ملكا يحكم مصر ، اسمه فاروق ، السلطة في يده : يعين الوزارات المدنية ويقيلها كما يشاء ، طبقا لدستور 1923 ، الذي منحه والده أحمد فؤاد من لدنه ليملك ويحكم .

وكنا في صبانا نضرب المثل بالقول رهانا لأترابنا : (لو كنت ابن ملك افعل كذا وكذا) ، تصويرا ؛ لأن الملك هذا شيء أسطوري لاتقدره مداركنا .

ثم أصبحنا مبكرين يوم 23 يوليو سنة 1952 ، وإذا بالليل الذي نمناه ، قد تحرك فيه أربعة عشر ضابطا ، وراءهم طوابير أخرى لتغيير صورة الملك ، ومن ثم تغيير صورة المجتمع المصري الذي كان تعداده عشرين مليونا ، ليحكموا مصر محل ذلك المارد ، فتمثلنا أنهم لابد أن يكونوا مردة ؛ لأن في بالنا أن الإنسان العادي لا يستطيع أن يرفع صورة الملك ، أنيق الصورة لابس التاج ، مالك كل شيء ، من فوق جدار مصر ، أو من على شفاه التلاميذ المترنمة بأناشيده كل صباح .

وتأملنا صورهم ، إنهم ضباط عجاف ، أناس عاديون في سترات عسكرية ، ليست بالفاخرة المقصبة ، وكنا نتأمل صورهم وأحاديثهم ، وكنا نقول هكذا الصحبة ، كأنهم ولدوا معا ، ولابد أن يعيشوا في السلطة معا ، « إنه عيش وملح »، وثوب السلطة يتسع للجميع . وكانوا يحيطون بكبيرهم في جولاتهم يحمونه بحماسهم .

ثم لم تلبث أن انطفأت في عيوننا الأساطير ، حيث قد شاهدنا النوازع البشرية والأطماع ، فمن كان زاهيا بالأمس ، ويتضاحك مع زملائه ويمارس التصريحات ، قد عصف به وأصبح غير لامع النياشين ، إنما قعيد البيت .

وظلت القصة تتتابع على صفحات تاريخ مصر ، براويز تعلق بزهو الصورة ولمعانها ، ثم لا تلبث بليل أن تتدلى إلى جانب الجدار ليعلوها التراب ، وحيث لايسمع عن صاحبها ، لتزحف طوابير جديدة تداهن كبيرهم مخرج الأحداث ، ليظفروا بدور زملائهم المنشقين في أسطورة الشهرة فوق أوراق (حدوتة) حكم مصر .

ولقد جمعت أطراف تلك القصة ، قصة : (انشقاق الثوار) ، وليس قصة ثورة 23 يوليو بمعنى أحداثها وإنجازاتها ، حيث رأيت أن ذلك حدث درامي كالمسلسل المثير ، الذي يجمع المتفرجين حول شاشة أحداثه .

وبعد أن عبرت مرحلة الصبا ومرحلة الشباب ، وصرت في شرخ الشيخوخة ، بعد أن عشنا الأحداث ساخنة ، وشاهدت وقوع فصولها حية لا مقروءة ، وقطع قطار التاريخ شوطا يتيح لي رؤية أحداثه في حيدة ، بعيدا عن عواطفي ومخاوفي ، توكلت على الله وقلت : أكتب تصورا متواضعا ليشاهده قراءةً من لم يعاصروه ، ممن صاروا خمسين مليونا بدل عشرين مليونا ، ولننضم لمن يزور محراب التاريخ ، ولنرفع عن أبطال من مثلوا أدواره ستار النسيان .

المؤلف

مدينة المنيا — 1988

العنوان : المنيا – شارع شعراوى – عمارة العولى
المنيا ت : ٣٢٥٧٧٠ القاهرة ت : ٢٦٠٤٢٩١

البدايـــة

ثورة يوليو 1952

كالبنيان ، ترسى دعائمه ، ولا يزول إلا إذا انتهى عمره الافتراضي ، أو إذا تعرض للنسف ، ذلك كان حال تلك الثورة والثوار ، تلك وهؤلاء الذين مروا بالفترات الثلاث : فترة التشقق ، فترة التصدع ، ثم فترة التهدم .

ذلك لحاجة الحياة لرسوخ بنيان آخر فوق أرضها ، ذلك البنيان الذي يتميز باللون النسبي للديمقراطية في صرح بناء الرئيس حسني مبارك للجمهورية الرابعة ، التي لم يدخل في نسيجها أحد من شيوخ تلك الثورة ، كحقائق الحياة بأنه لاشيء يدوم إلا وجه الله .

فقد مر ذلك الانشقاق بمراحل التشقق ، فالتصدع ، ثم التهدم للقديم البالي ، ذلك الذي لم يعتمد على البناء الديمقراطي كمسلح الحديد للبناء المعماري .

فإذا كنا سنتناول صفحات ثلاثا في قصة انشقاق الثوار ، وصراع ضباط الثورة في مجال بحث كل منهم عن دور ، فمنهم من تقدم ومنهم من تأخر ، ولنبدأ من النهاية تراجعًا إلى البداية .

فعناصر الصفحة الثالثة : تهدم الثوار :

ليس تهدم الثوار ، بل خروج اللامعين منهم ابتداء من محمد نجيب الذي تسيد الشكل دون الجوهر ، إلى عبد الحكيم عامر الذى تألق ولمع ، وكان الوحيد الذي لم يجعل هناك مسافة في السلطة بينه وبين عبد الناصر ، ويعامله بلا كلفة وبندية ، وسقط سقوط هزيمة 1967 ، بالتصفية الجسدية .

أما عناصر الصفحة الثانية : تصدع الثوار :

فهو خروج الأقل لمعانا ، هذان اللذان ظلا في السلطة لفترة الوميض القصيرة

الوهج وهما يوسف صديق الذي اقتحم القيادة ، وأول من غرس السنكي في جسد العهد الملكي فاستسلم ، إلى عبد المنعم أمين رجل الحفلات ولقاء السفارات ونوادي السيارات . الذي تمت مفاتحته في المشاركة عشية الثورة ، فاشترك وأمن طريق السويس ، قاطعا المعبر على القوات البريطانية إن فكرت في التدخل ، فطرد الأول بدعوى شيوعيته ، ونفي الثاني بدعوى تورط زوجته في الحفلات والنوادي والأحاديث والمراهنات والوساطات وكسيدة مجتمع مضيافة .

أما عناصر الصفحة الأولى : التى نبدأ بها موضوعنا : تشقق الثوار :

فهو تعرض القيادة التى تمكنت من السلطة لرفاقهم من ضباط سلاح المدفعية ، وهم من الضباط الأحرار الذين يوازونهم ، وبأكتافهم ضبابير بضبابير ، ونسورا بنسور ، وسيوفا بسيوف ، متساوون ليلة إنهاء الحكم الملكي ، ولكنهم كانوا الشغيلة في مملكة النحل .

وعندما طلبوا شيئا من رحيق الملكة وسلطانها ، على اعتبار أنهم زملاء وأنداد ، لا مجرد أعوان وأركان ، متدثرين في ثياب الاعتراض على تألق القلة لتضخم سلطانهم وتبوء عرشهم ، منادين بالديمقراطية التي تؤدي بإنزالهم من عروشهم ليكونوا مثلهم ، مجرد ضباط يحملون المدفع لا الصولجان ، حدث الصدام ، وعلت دولة أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ودالت دولة ضباط سلاح المدفعية في أول مواجهة ، بسجن رجالها الـ 35 الذين ماكانوا يوما قد تصوروا ، بعد أن حملوا الدانة والمدفع لإخراج الملك ، أن يجدوا أنفسهم في قاع سجن الأجانب والاستئناف ، وسجّانوهم ثوار مثلهم .



فقد حدث التشقق قبل التصدع والتهدم .

لم تكن قد ظهرت هوية نظام الحكم ، يوم أن كتب إحسان عبد القدوس مقالا بعنوان : (الجمعية السرية التي تحكم مصر) . والمعنى كان ذلك التشقق بين ضباط سلاح المدفعية من الضباط الأحرار ، وبين مجلس القيادة الذي انتقل أعضاؤه من صفة الضباط الأحرار ، إلى صفة الهيئة الحاكمة ، على شكل مجلس قيادة الثورة .

وأدى ذلك إلى تمرد ضباط سلاح المدفعية من باقي الضباط الأحرار على ضباط القيادة ، بعد أن أنجز كلاهما مهمة الإجهاز على نظام الحكم الملكي .

فالمعتاد أن كل بناء يبدأ بالطوب والحديد ، غير وثير الأثاث أو أنيق المفروشات . كذلك كان الأمر بالنسبة للثورة في سنة 1952 ، خلاف ما كانت عليه في سنوات التحكم التالية ، حيث صار رجالها مسموعي الكلمة بلا معارضة .

أما في البداية ، فقد تأسست الثورة من أفراد كالشغيلة في مملكة النحل ، كثيرة العدد ، متنوعة الأدوار متعددة الحركة ، بسيطة النفوذ ، وكل منهم يتعامل قبل التألق وسقوط حزمة الضوء بروح التبسط والزمالة .

وتكون مجلس القيادة من 14 ضابطا ؛ وكأنهم مجلس الإدارة للجمعية العمومية لكل المساهمين والمشتركين ؛ طبقا لعامل الغربلة والتقدم والبروز على سطح الأحداث ، كل بمهمته وصفاته الشخصية ، يزاحم بالأكتاف ليصل أول الصف .

وسرعان ماتحول مجلس القيادة إلى مجلس قيادة الثورة ، منتقلا من مقر كوبري القبة إلى مقر إحدى بنايات أرض الجزيرة بقصر النيل بين فرعي نهر النيل . وأخذت خلية النحل (تشغي) بالوافدين ، كل يبحث عن دور للتألق والشهرة في الصدارة ، ومن ثم السلطة والزعامة .

وطبقا لقانون جاذبية السلطة ، كان لابد أن أناسا تغرق وأناسا تسبح .

وعندما ظهرت صفوة الصفوف الأولى ، ثم طوابير المؤخرة ، بدأ تشقق الجدار قبل تصدع الأساس ، وكان التشقق هو حادث محاكمة ضباط سلاح المدفعية الـ 35 .

فبعد نجاح الثورة استولى ضباط القيادة على السلطة وانفردوا بها ، وحاولوا المستحيل لإبعاد زملائهم الضباط الأحرار عنها ، الأمر الذى أثار غضب الآخرين وأذكى حنقهم ، خاصة هؤلاء الذين لعبوا أدوارا ، أهم – ليلة الثورة – من الأدوار التي لعبها أغلب ضباط القيادة .

وبعد نجاح الثورة ، مارس بعض ضباط القيادة – في رأي هؤلاء – مظاهر الانحراف ، وحاولوا استغلال الثورة لتحقيق مكاسبهم المادية والشخصية ، حتى إن بعض الضباط قد تكالبوا على القصور والتحف الملكية ، وفي الجري وراء الأميرات ، وركوب السيارات الملاكي الفارهة بدل سيارات الجيب العسكرية .

وبدا واضحا أن ضباط القيادة يميلون إلى الاتجاهات الديكتاتورية ، وظهر أنهم لن يترددوا في البطش بكل من يقف في وجوههم ، الأمر الذي استفز ضباط سلاح المدفعية ، فتقدموا بمشروع يطالبون فيه بعودة الديمقراطية في حكم مدني ، مع عودة ضباط القيادة العسكرية إلى ثكناتهم العسكرية ، وتقلد مهنة الحرب . واقتنع بوجاهة هذه الدوافع 35 ضابطا من ضباط المدفعية أغلبهم من الضباط الأحرار ، الذين تحركوا مع زملائهم ممن قعدوا على السلطة بعد ليلة الثورة ، وتركوهم في طوابير الأركان ، حيث إن القمة لا تستوعب الجميع .

لم يلجأ ضباط المدفعية إلى الحصار العسكري في تكرار لأحداث ليلة 23 يوليو ، إنما ترددوا كثيرا على كوكبة الأربعة عشر ينصحون وينتقدون ، بل ويعرضون بمظاهر الاستئثار بالغنائم ، محددين ذلك في سلوك انتقال صلاح سالم للسكن في الزمالك موطن الأرستقراط ، وارتباطه بعلاقة مع الأميرة فايزة شقيقة الملك الذي ثاروا عليه ، وتورط زوجة عبد المنعم أمين في الحفلات والمضاربات والوساطات والسهر في نادي السيارات وادعاء سيطرتها على السلطة الجديدة .

وصلة أنور السادات بناهد رشاد الأرستقراطية ، زوجة طبيب الملك دكتور يوسف رشاد ، من أيام ارتباط السادات بالحرس الحديدي عن طريقه لحماية الملك مثل نظام (السافاك) في حماية إمبراطور إيران الشاه محمد رضا بهلوي .

واستمع جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين ، مليا (لتلك الشكاوى) . وأوضحا لهم ما بين أن تلك مجرد شائعات ، وأن أعضاء القيادة لم يتورطوا في ذلك ، وما بين الموافقة والوعد بالتغيير والمحاسبة .

ومالبث أن أصابهم الصداع من كثرة ملاحظات ضباط المدفعية ، وحتى يحجموا تعرضهم ، ويوقفوا مناكفاتهم الحوارية ، فقد اتخذت القيادة المتحكمة إجراءات الإطاحة بضباط المدفعية الـ 35 قبل أن يتحولوا من مرحلة تجريد الحوار ، إلى مرحلة تجريد السلاح .

وتم القبض على صفوة هؤلاء الضباط ، الذين كانوا يحسبون أنهم وضعوا رقابهم على أكفهم مرة واحدة أيام طرد الملك ، ولا يحتاجون لذلك مرة أخرى . وكان الاتهام الموجه لهم أنهم يملون اتجاههم على القيادة ، ويعدون لوثيقة نظام حكم يجهضون فيه سلطة أعضاء مجلس قيادة الثورة ، تحت دواعي الديمقراطية . وأنهم يمالئون رشاد مهنا ويعطونه دورا أكبر من دور عضوية مجلس الوصاية ، وهو ذلك الضابط الكبير بسلاح المدفعية الذي ظل مترددا في المشاركة . واتهموهم بأنهم إنما كانوا يعملون للقبض على أفراد القيادة كلهم في أثناء اجتماعهم في مقر القيادة بقصر النيل ، مجتمعين أو فرادى أو بأية طريقة . مدانين بأنهم فِعْلا قد ناقشوا طريقة التصرف فيهم والقضاء على ضباط القيادة ، بأن يضعوا كل واحد منهم في جوال ويربطوه ويلقوا به في النيل ، وأنهم أحضروا فعلا تنفيذا لعمليتهم 13 جوالا بعدد ضباط القيادة ، مع عدم المساس بمحمد نجيب . وأنهم بعد نجاح الخطة سيجبرون محمد نجيب على تغيير الوزارة ، وتنفيذ مطالبهم من حيث تمثيل الوحدات العسكرية بممثلين من الضباط .

وبعد فشل خطة ضباط المدفعية والقبض عليهم ، اعترض حسني الدمنهوري الذي

نشر في حينه أنه تآمر في انقلاب عسكري فاشل ، اعترض على اعتقال زملائه ضباط المدفعية ، وطلب من رئيس أركان الجيش اللواء محمد إبراهيم ، تفسيرا للقبض على ضباط المدفعية ، مع أنهم لم يشهروا سلاحا ، إنما أجروا حوارا .

فقبض على حسني الدمنهوري في منزله ، وتم التحقيق معه بمعرفة البغدادي ، وعامر ، وصلاح سالم ، وزكريا محيي الدين ، وبعد أقل من يومين تقرر إعدامه بموافقة جمال عبد الناصر . ولكن محمد نجيب رفض التصديق على حكم الإعدام قائلا : (إني لا أريد أن أمضي في طريق مفروش بدماء الزملاء من الضباط) . وعرف أن حسني الدمنهوري تعرض لتعذيب فظيع في أثناء التحقيق معه ، وتعرض أيضا لإهانات وسب من صلاح سالم .

وكان تعذيب حسني الدمنهوري على هذا النحو ، هو الخطوة الأولى في مشوار التعذيب والوحشية والقسوة ، الذي أقرته القيادة ليصير طابعها تجاه من يشيرون بإصلاح المسار .

وكان تعذيب حسني الدمنهوري على هذه الصورة القاسية ، وسجن الزملاء ضباط المدفعية وإسكات كل صوت ، هو أول قطرة في نهر الدم الذي ماجعل الثورة بيضاء . أعقبها إعدام خميس والبقري من عمال كفر الدوار ، والدعاة من جماعة الإخوان المسلمين ؛ عبد القادر عودة ، هنداوي دوير ، يوسف طلعت ، وإبراهيم الطيب ، والشيخ محمد فرغلي . خلاف المتهم بالاعتداء محمود عبد اللطيف ، في قضية المنشية بالإسكندرية .

وكانت الخطوات التي أعقبت ذلك ، إسكات كل صوت يطالب بديمقراطية الحكم ، وتبعوا ذلك بأسلوب حل الأحزاب وإعادة الرقابة على الصحف . وتضخمت سلطات مجلس قيادة الثورة ، وطردوا المعترضين مثل يوسف صديق ، وإعداد مشروع قانون يمنع الإضرابات ، ويبيح الفصل التعسفي .

كل ذلك بدعوى حماية الثورة ، ولو باتخاذ خط القهر (السلطوي) ، دون فتح نوافذ المشاركة الشعبية .

تصدع الثوار

كان التصدع بعد التشقق وقبل التهدم ، ويتمثل في الإطاحة باثنين من أعضاء القيادة الأربعة عشر . وكان الاثنان هما ؛ عبد المنعم أمين ، ويوسف صديق .

وفي عالم السياسة ، كم من نجوم زهت ، فزوت ، ثم هوت . فقبل أن تدين الدنيا ويخضع المجد للثوار ، كان دأبهم وسعيهم كيف يجندون رفاق السلاح وزملاء الكفاح ، حتى يكثر الأعوان ليرجحوا الكفة ، ويحققوا الغلبة المنشودة .

فكانت اللقاءات السرية ، ورجاءات المشاركة ، وإغراءات وعود توقع الانتصار لتجنيد كتائب المشاركين ، حيث تكون سعادة الساعين إن نجحوا في أن يقدموا لكتائبهم وجها جديدا من لابسي الكاكي ، بينما يكون القهر والصدمة لو رفض أحد المدعويين زفاف المجد والشهرة ، مع اختيار تأبين الفشل والضياع خشية أن تفشل خطة تغيير صفحة الحكم الملكي ، من لابس التاج للابسي الكابات .

كان السعي لضم قيادات لامعة ووجوه معروفة في قيادات الجيش ، دون البحث عن الهوية ؛ فمنهم من اعتذر ، ومنهم من أمسك العصا من المنتصف تحسبا للنتائج .



عبد المنعم أمين

وكانت الدعوة لضم عبد المنعم أمين ، من قبل تكتلات الضباط الأحرار المؤثرين في التشكيل ، للمشاركة مع مجموعة الضباط الأحرار ، الذين سوف يعملون على التغيير الإجباري بقوة السلاح ، بعد أن فشلت كل محاولة للتغيير بالدستور والقانون . فتم الاتصال بالقائم مقام أحمد شوقي فاعتذر ، ثم تم الاتصال بعبد المنعم أمين للانضمام لتنظيم الضباط الأحرار يوم 21 يوليو ، أي قبل الثورة بيومين فقط ، ورغم أن عبد المنعم أمين لم يعاصر التنظيم ، ولم يعرف مدى كفاءة ذلك التنظيم أو يختبر قوته ومدى نصيبه من النجاح ، فإنه مشى وراء واجبه الوطني ، مع التغاضي عن المحاذير . ولقد تصرف يومها بضمير وطني خالص نافضا يده من التفكير فيما قد يصيبه من ضرر بالغ ، نتيجة قراره بالمشاركة في ذلك المصير المجهول ، وقبل الانضمام .

وكان عبد المنعم أمين قائد وحدة مدفعية مضادة للطائرات ليلة الثورة ، والتي كان دورها في تكليف المهمات إحكام السيطرة على مدخل طريق السويس ، وعلى موقع دفاعي عند الكيلو 4.5 لمقاومة أي تحرك إنجليزي محتمل لاختراق المعابر إلى العاصمة .

ثم تابع مهمته يوم أن كان الجميع وجهتهم نحو تغيير النظام ، حيث يسود التعاون لا الصراع ، فحاصر عبد المنعم أمين قصر الملك في رأس التين

بالإسكندرية . وبعد أن هدأ الحصار . ورحل الملك ، وبدأ عمل التشكيل وتوزيع الأدوار ، ضم عبد المنعم أمين لمجلس القيادة كالعضو رقم 14 في المرحلة الأولى من ذلك التشكيل ، حيث وضع السلاح ورفع لواء المناصب .

وقد كان منزل عبد المنعم أمين يتسم بالفخامة ، قياسا لمنازل نظرائه من أعضاء القيادة الذين تحركوا من خلال وظائفهم العادية ، دون أن يكون خلفهم مستوى اجتماعي باذخ ، وكان بيته هو البيت اللائق والمشرف للمناسبات قبل وضع اليد على القصور والاستراحات ، وكان عبد المنعم أمين يسكن على كورنيش النيل عند كوبري الجيزة (عباس سابقا) .

وإضافة لذلك التأهيل المعماري ، كان التأهيل الاجتماعي ، حيث كانت زوجة عبد المنعم أمين سيدة مجتمع مضيافة ، أعدت بيتا لائقا يلتقي فيه أعضاء مجلس قيادة الثورة ، في سهرات العمل الدبلوماسية مع سفراء الدول ، وتوالت اجتماعات رجال القيادة بالسفير الأمريكي كافري ، والإنجليزي ستيفنسون ، حيث كانت الثورة في شهورها الأولى في حاجة إلى دعم الدول الكبرى سياسيا ، من خلال الحوار السياسي مع الدول الأجنبية بواسطة ممثليها .

ولكن ذلك أثار ضيق ونقد ضباط سلاح المدفعية ، الذين نشروا الشائعات حول جو الفخفخة الذي يعيش فيه أحد ضباط القيادة ، وما أثير من تورط زوجته سيدة الحفلات بما لم يعتده الضباط من طبقتهم الاجتماعية ، واتهمت زوجة عبد المنعم أمين باستغلال النفوذ ، وبأنها تسهر في نادي السيارات معقل الأمراء والنبلاء ، ذلك النادي الذي أسسه الأمير عباس حليم في شارع قصر النيل . واتهمت بالتورط في الوساطات للتوظف ، والمضاربات في بورصة القطن ، ووضع على لسانها قولها في أحد لقاءاتها بمجموعة سهراتها ، تسمع كلماتها ، كنجمة حولها الأضواء : (إن الجيش على يميني ، والبوليس على يساري) .

وأضيفت هذه الأسباب الشكلية لأسباب أخرى جوهرية ، تلك التي تعد من عناصر الاستبعاد الحقيقي له ؛ لأنها تدخل ضمن إطار المحاور والحسد والصراع .

فتلك الأزمة الحقيقية لعبد المنعم أمين الذي لم يكن قد وطد مركزه وسيطر على الشلل أو تحرك في مجال المناورات ، كانت تتمثل في أنه أرسل برقية بعد قيام الثورة ، إلى رشاد مهنا زميله في مجموعة الضباط الأحرار ، يدعوه فيها إلى سرعة حضوره من العريش للقاهرة ، وتلا ذلك ببرقية أخرى للغرض نفسه . وكان لهذا الموقف أثره السيئ عند جمال عبد الناصر ، الذي تصور صنع ائتلاف مصالح ، بين عبد المنعم أمين ورشاد مهنا .

ولم يشفع لعبد المنعم أمين أنه كان متحمسا لمشروع قانون العمال الجديد ، الذي يلغي حق الإضراب ، ويبيح الفصل ؛ لأنه كان مشرفا على وزارة الشئون الاجتماعية .

كما أن عبد المنعم أمين كان قد رأس المجلس العسكري لمحاكمة خميس والبقري ، وهما من عمال كفر الدوار ، وقد حكم عليهما بالإعدام . وكان استبعاده يجعل غضبة العمال تحسب عليه لا على مجلس القيادة ، وكأنه اعتذار من الثورة للعمال بعد توريطه .

أما حادث عمال كفر الدوار ، الذي ترأس عبد المنعم أمين مجلسه العسكري ، فقد بدأ بأن ارتفعت في الجو فجأة عاصفة من الضجيج كان مصدرها العمال الخارجون ، وبدأ الموقف بالصفير والصياح ، ثم ازدادت مظاهر الشغب ، فهجم العمال على عربات الشركة وأحرقوها ، كما أحرقوا المكاتب . وعندما تدخل رجال البوليس – وقتها – لتشتيت المتظاهرين ، نشبت معركة بين الفريقين أسفرت عن مصرع أحد الجنود ، وأصيب عدد من المشاغبين .

واحتجزت الشرطة أعدادا كثيرة من العمال داخل المصانع ، وعندما وصل الخبر لرجال الجيش ، أرسلت القوات إلى مكان الحادث ، وطوقت منطقة المصانع ، ثم عاد المتظاهرون ، في اليوم التالي للهجوم على المصنع لتخليص من قبض عليهم بداخله ولما هموا بأقتحام باب المصنع عنوة ، تصدت لهم قوات الجيش ، وأطلقت عليهم النيران ، فهرب المشاغبون تاركين خلفهم ثلاثة قتلى . والتحم العمال مع الجيش ، وقتل جنديان .

وقد بدأت أحداث كفر الدوار في صورة مظاهرة ابتهاج وترحيب بالثورة ، ثم ركبت بعض العناصر موجة المظاهرة ، ودفعها للصدام ، فتحولت من مظاهرة سلمية إلى معركة دموية .

وعقدت المحاكمة بالقاعة الكبرى بمبنى مجلس إدارة شركة الغزل والنسيج لمحاكمة مصطفى خميس ومحمد البقري وعدد 29 متهما ، برئاسة عبد المنعم أمين عضو مجلس القيادة على شكل مجلس عسكري ، مع عدم تزود القاضي العسكري بثقافة قانونية ، فالردع قبل القانون ونصوصه .

وانتهت المحكمة بالحكم على الاثنين بالإعدام ، وقدم الدفاع التماسا إلى اللواء نجيب لتخفيف الحكم ، وتمت مقابلة بين نجيب وخميس لم تسفر عن تخفيف الحكم ؛ لأن خميسا لم يقل شيئا يبرر تخفيفه . وكان الغرض من شدة الحكم المتسرع وبلا ترو ، أن يكون ذلك الحكم عبرة وإرهابا لباقي العمال حتى لا تمتد الاضطرابات لغيرها .

وكان الأجدر احتواء الحادث وبحث مطالب العمال وتحقيقها وتأديب المشاغبين ، لا إعدامهم ؛ لأن العنف يولد العنف . ومن المصلحة عدم خلق تناقض بين الثورة والعمال ، وأن تكون المحاكمة مدنية أمام القاضي الطبيعي .

وامتدت الجسور بين رجال الثورة والعمال على جسد الضحيتين ، حيث تحالف عمال النقل مع الضباط لاستمرار الثورة إبان أزمة مارس 1954 ، وسنت التشريعات العمالية ، ودخلوا البرلمان ، مع ضمان نسبة الـ 50٪ للعمال والفلاحين ، وصار التعريف فضفاضا لمن يلبسون البدل ويعملون في الإدارة لا على تروس الآلات ! .

وبمجرد أن فقد عبد المنعم أمين الرضا السامي لجمال عبد الناصر ، فقد أُقيل من مجلس القيادة وأُجبر قسرا وأُلحق بسفارة مصر في هولندا ، إلى أن طواه النسيان في أول حركة استبعاد .





يوسف صديـــق

وظلت آلة انكماش سلطة الكثرة لصالح القلة تعمل ، حتى طالت النجم الثالث عشر ، مع أنه كان أول من سطع . إنه يوسف صديق ، ذلك الذي كان أول من غرس سونكي الثورة في جسد الملكية فأرداه قتيلا . فقد كان المفروض أن تخطئ مناورات المحاور عن أن تصيب أول من أعد كرسي الملك ليجلس عليه نجيب وعبد الناصر ؛ ذلك لأن يوسف صديق كان قد قام بالدور الأول والأكبر والمفاجئ في نجاحها .

كان دور يوسف صديق المرسوم في الخطة هو قيادة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة لمساندة الكتيبة 13 المكلفة بالاستيلاء على رئاسة الجيش .

ومن حسن حظه أنه قد وصل ورجاله مبكرين ، واقتحموا القيادة قبل ساعة الصفر بساعة كاملة ، كان يوسف صديق أشجع الرجال ، ونفذ عملية الاقتحام والسيطرة على مقر القيادة بكفاءة ، رغم أن دوره حسب الخطة كان حماية قوات الهجوم والوقوف كصف ثان خلفها . وصعد يوسف صديق لمقر قيادة كوبري القبة ، في أثناء اجتماع القيادات العسكرية الملكية ؛ لتضع خطة بعد أن نما إلى علمها أن هناك تحركا في الجيش ، وقد اعتقل جميع تلك القيادات الكبيرة ، وحقق سيطرة الجيش على باقي القيادات .

وبعد أن وضع السلاح ، ورفعت المناصب والألقاب القيادية ، كان ذلك المقتحم

الأول هو العضو رقم 13 في تشكيل مجلس القيادة ، فكان رقم شؤم عليه .

كان يوسف صديق مغامرا كطبعه المقتحم ، حيث دخل يوما أثناء اجتماع القيادة بدون دعوته ، ففوجئوا به فسكتوا عن الحوار . وقف يوسف صديق وسط القاعة قائلا لهم : (بتسكتوا ليه ، هو انتم جمعية سرية ؟ المفروض التشكيل السري انتهى خلاص ، ومن حق كل الضباط مشاركتكم ومعرفة ماتفعلون) . فرد عليه بعض الأعضاء : (اتفضل اشتغل معانا) ، وهم يتحسبون طريقته الاقتحامية التى يفرضها على المواقف دون تهيب .

وقد كان يوسف صديق بحق مشاكسا لا مناورا ، صريحا لا مداورا ، لم يجار المجموع ضمانا لعلو المنصب . ساءه التعرض لضباط سلاح المدفعية فانبرى مدافعا عنهم ، بأنهم ماكانوا يدبرون أنقلابا ضد القيادة ، ومؤكدا بأنهم إنما جاءوا بحسن نية إلى المجلس ، وأنهم قد تناقشوا مع أعضاء قيادة الثورة صراحة وفي وضوح ، مطالبين بتمثيل كل قيادات الجيش عن طريق الانتخاب الحر لجميع الوحدات العسكرية لاختيار ممثليهم ، متحدثين مع زميلهم السابق في المدفعية كمال الدين حسين بذلك .

وقد كان يوسف صديق من أشد الداعين لانتخاب ممثلي الوحدات العسكرية ، وبمجرد أن قبض على ضباط سلاح المدفعية المعترضين كلاما لا سلاحا وتقرر محاكمتهم ، كان يوسف صديق صادقا مع نفسه ، لا متجاهلا المحتجزين منحازا لجانب المنتصرين ، طبقا لحسابات النجاة من قاع التقاعد والظلام .

وقد قال في قضية ضباط المدفعية : (إن ضميري لا يمكن أن يستريح وأنا عضو في مجلس القيادة الذي يصدر قرارات تخالف قناعاتي ومعتقداتي ، ولايكفي دفاعهم عن موقفهم بحجة أن القرارات تصدر بالأغلبية ، لأن مجلس القيادة ذاته في رأيي ، لايمثل الشعب ولا الجيش أيضا) ! .

ورفض المجلس إعلان استقالة يوسف صديق خشية كشف انقساماتهم ، إنما أجبر على الرحيل إلى سويسرا في مارس 1953 .

وكان يوسف صديق وحده ضد كل الإجراءات القمعية التى صدرت ، سواء إلغاء الأحزاب أو إجراءات الاعتقالات ، أو فرض الرقابة على الصحف ، أو معاملة الضباط الأحرار المعتقلين بقسوة . وكان يدعو للتمسك بالدستور ويطالب بدعوة البرلمان المنحل للانعقاد لتعيين مجلس الوصاية كخطوة دستورية سليمة .

وقد كان دستوري التوجه ، شيوعي العقيدة ؛ زاهدا في السلطة التي تأتي بلا معيار . وكان عبد الناصر يقول عنه : إنه شيوعي كبير ، يريد أن ينحرف بالثورة للاتجاه الأحمر ، وكان نجيب يداعبه ويقول له : (أهلا بالرفيق يوسف ستالين) .

ومما يذكر ليوسف صديق الذي كانت تغلب عليه الاتجاهات المدنية الديمقراطية ، أنه طالب بتشكيل حكومة ائتلافية برئاسة الدكتور وحيد رأفت أستاذ القانون ونائب رئيس حزب الوفد الجديد . على أن تشترك فيها الأحزاب والقيادات السياسية .

ويعتبر يوسف صديق من الماركسيين الصادقين ، فإنه كان قد استقال من مجلس قيادة الثورة في فبراير 1953 . وقد كانت أفكاره الاشتراكية تجعله لايحرص على المنصب ، قدر حرصه على تنفيذ مبادئ فكره ، ويعبر عنها دون خفاء ، وقد تسبب ذلك في أنه كان من أوائل المنشقين المطالبين بتصفية مجلس القيادة لصالح الديمقراطية ، وحكم المجموع عن طريق الدستور والانتخابات الحرة . وقد اعتقل لذلك أكثر من مرة ، حيث كان يجاهر بالرأي في الصحف بخطأ احتواء العسكريين للسلطة .

وقد طلب ذات مرة مقابلة الرئيس عبد الناصر ، أيام أن كان هو بعيدا عنها وخارج الاعتقال . وقد حدد له الرئيس موعدا جاء بعده بساعة كاملة . وقد استقبله الرئيس وسأله عن سبب تأخره عن موعده ، فقال له : إنني لا أملك سيارة ، وغالبا ما استخدم الأتوبيسات ، فصرف له الرئيس سيارة فيات 2300 فركبها وخرج وباعها على الفور ، وقسم ثمنها بينه وبين زملائه الذين خرجوا من المعتقل ، ولم يعودوا لأعمالهم . وقد عاش يوسف صديق فقيرا ومات فقيرا .

* * *

وبعد أن أفل نجم يوسف صديق ، مناهض الاتجاه الدكتاتوري غير الدستوري ، أخذ يتغير مجرى الثورة بعيدا عن كل لون دستوري ، أو شكل ديمقراطي .

وكان مظهر ذلك التحول بعد استبعاد دعاته ، أن تغير شكل العلم المصري الأخضر إلى العلم ثلاثي الألوان ، وتعدلت نغمة عزف السلام الوطني ، وأعلن الدستور المؤقت لسنة 1956 بلا استفتاء بدل دستور 1923 .

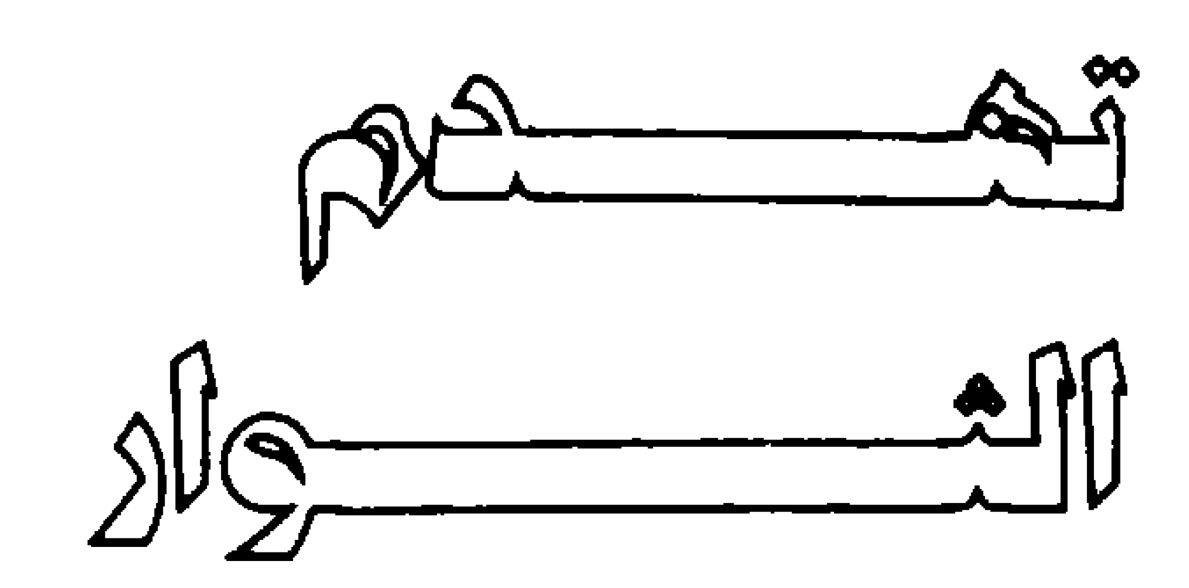
وهكذا تعرض بنيان الثورة للتشقق بمحاكمة ضباط سلاح المدفعية ، ثم للتصدع باستبعاد نجمين من أربعة عشر نجما في أولى مراحل الصراع .

وكان منطق الأحداث أن تأتي على الثورة مرحلة تهدم باقي البنيان التنظيمي لها ، الذي تمثل في باقي الجدار المستند على باقي شخصيات مجلس قيادة الثورة الاثني عشر الباقين ، المكونين للبنية الأساسية ، بدءا من محمد نجيب وخالد محيي الدين ، وتوصلا إلى الباقين ، كل في جولة تصادم سلطة جمال عبد الناصر معهم عند منحنيات المراحل التاريخية الداعية لذلك ، دون مراعاة لأسلوب التعايش الجماعي لكل المتعارضين لصالح البنيان الأساسي للثورة .

وصارت الثورة ليست هي اتجاه الأغلبية ، إنما هي تفرد من استطاع السّيطرة على قيادها ، في تصفيات مرحلية ، لا تأخذ إلا برأي الفرد القادر .

وكما أن في الملكية ملك يملك ويحكم ، فقد صار في الديكتاورية العسكرية رأي واحد يحكم ولايملك أو يرث . وقد صار ذلك هو الفرق الوحيد بينهما .







محمد نجيب

كالهلال ذى النجمة الواحدة ...

هكذا كان باقي ثوار يوليو ، أحد عشر صاغا ، ويوزباشيا وقائد جناح وبكباشيا . هم حسب خروجهم من السلطة بالانشقاق أو الوفاة :
خالد محيي الدين ، صلاح سالم ، جمال سالم ، كمال الدين حسين ، عبد اللطيف البغدادي ، حسن إبراهيم ، عبد الحكيم عامر ، زكريا محيي الدين ، جمال عبد الناصر ، حسين الشافعي ، أنور السادات .

يطوقون لواء واحدا هو محمد نجيب ، الذي ماستطاع أن يسيطر ، فكان من أوائل من كابدوا انشقاق الثوار ، مثلما حدث لزعماء الانقلابات .

في أثيوبيا : حيث استبعد زعيمهم ليصير الأمر بيد مانجستو هيلاماريام (بعد القضاء على حكم هيلاسلاسي) . **وفي أفغانستان** : حيث استبعد زعيمهم ليصير الأمر بيد كارميل ، ثم نجيب الله ، بعد القضاء على حكم محمد داود .

وفي الجزائر : استبعد أحمد بن بيلا ليصير الأمر بيد (هواري بومدين) بعد الاستقلال .

وفي العراق : حيث استبعد زعيمهم (عبد الكريم قاسم) ليصير الأمر بيد (عبد السلام عارف) بعد الثورة .

هكذا كانت صحوة يوم استبشر فيه الناس بالتغير الذى حل بمصر ، لم تكتمل حركة أحمد عرابي ، لنعرف هل كانت طلائع العسكريين ستسلم الحكم للمدنيين ؟ ولم تهدف ثورة 19 الشعبية إلا للخلاص من الاستعمار ، لتزحف الجماهير لتحكم بالشعب بعيدا عن القيادات العسكرية .

وبكرت أخيرا طلائع جيش السودان بقيادة الفريق عبد الرحمن سوار الذهب لتنهي حكم زعيم الانقلاب العسكري جعفر نميري ، وتمهد الطريق للحكم المدني الحزبي ، ليحكم الشعب دستوريا وديمقراطيا ، ليعود العسكريون لثكناتهم في تجربة غير متكررة في عالم استيلاء العسكريين على الحكم وتنازلهم طواعية .

وكنا نحسبها ساعة الخلاص ليلة 23 يوليو ، حيث تتحرك الطلائع لتزيل الركام عن طريق الشعب ، ليوجد حكم الأغلبية المدنية الديمقراطية . وفرحت مصر بتلك الكوكبة من العسكريين ، واجتمعت الأحزاب تبارك ، وبذلت الوعود بأن للعسكريين ثكناتهم ، وللمدنيين اختيار الشعب لبرامج أحزابهم .

وبدأت بوادر الحركة العسكرية بمصارعة الملكية الفاروقية في ساحة الصراع في انتخابات نادي ضباط الجيش في الزمالك ، وآزر الضباط الأحرار ترشيح نجيب على رأس قائمة مرشحي الضباط الأحرار رئيسا لمجلس إدارة النادي . وكان تحديا قوبل بترشيح القصر الملكي لحسين سري عامر . ويوم أن أعلنت الجمعية العمومية هذا الترشيح ، تم إغلاق الجامعة بعد أيام من المظاهرات المعادية للإنجليز والهتافات المعادية للملك ، والتي طالبت صراحةً بسقوطه . بل إن الطلبة ألقوا بصوره على الأرض وداسوها بأقدامهم .

ويوم الانتخابات ، كان الضباط يحتشدون في النادي وينتقدون الأوضاع ويرفضون النظام ، وكان نجيب هو الواجهة التي يتحرك وراءها هؤلاء الضباط ، واكتسح هو ورفاقه ، وفازوا برئاسة وعضوية النادي . وأمر الملك بحل مجلس الإدارة المنتخب ، وتعيين مجلس إدارة مؤقت برئاسة علي نجيب شقيق محمد نجيب ، وتواترت الأحداث بعد ذلك .

الفدائيون يقاتلون الإنجليز في القناة ، والملك يغير رؤساء الوزارات وهو جالس في النادي أثناء السهرات الليلية . وتطور الصراع الخفي على شكل منشورات تحريض ضد نظام الحكم من الضباط الأحرار ، في تنظيم ساعد مناخ الحكم الملكي وسطوته على تفريخه .

وحسب الخطة الموضوعة ، وفي تلك الليلة الحبلى بأحلام مصر ليلة 22 يوليو ، احتلت تلك القوى العسكرية مقر قيادة كوبري القبة باندفاعة الضابط يوسف صديق أول من اقتحم واعتقل كبار ضباط الجيش الملكي . واستولى البغدادي على القاعدة الجوية في ألماظة ، والشافعي وخالد على سلاح الفرسان . وعبد المنعم أمين على المدفعية ، وصلاح وجمال سالم على العريش .

وبعدها تم الزحف على المرافق ، وتم الاستيلاء على بوق الإعلام الوحيد في ذلك الزمان ، وهو الإذاعة المصرية بشارع علوي بالقاهرة .

وأذاع القائم مقام أنور السادات بيان إعلان الحركة المباركة ، التي عدل اسمها إلى (ثورة) بقوله : (اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم). وما بين يومي 23 و 26 يوليو ، تحركت القوات التي كانت تتضخم بعامل السيطرة والإعلان ، وانهار الملك وعرض مشاركة الضباط في الوزارة ، وامتد حصار الثوار لقصري المنتزه ورأس التين بالإسكندرية ، واستنجد الملك بسفراء أمريكا وبريطانيا في محاولة لإعادة مأساة الخديو توفيق مع أحمد عرابي لإسقاط حركة الضباط .

ووقفت سفارات قراصنة ذلك العهد مسموعي الكلمة تراقب وتستقصي . وأوفد الضباط الطيار علي صبري مدير مكتب عبد الناصر ورئيس الوزارة فيما بعد ، ليطمئن الأمريكيين ويحثهم على عدم التدخل ، فتلك حركة داخلية ليس لها نوايا تجاه الأجانب ، حتى لا تتكرر قصة المالطي والحمّار ، بحجة الاعتداء على الأجانب والتدخل لحمايتهم . مما ترتب عليه الاحتلال سنة 1882 .

وخضع الملك لعزله دون أن يقامر بالمقاومة ، فإن الطبيعة المصرية غير عنيفة في

عدائها ، عكس ماحدث في ثورة العراق حيث أطلقت الرشاشات دون تفاهم ، وقتل ملكها فيصل الثاني وأسرته ورئيس وزرائه نوري السعيد ، لأن طبيعة وادي النيل سهل التضاريس قد شكلت شخصية شعبنا بعدم خاصية العنف والمداورة والالتفات ، عكس طبيعة تضاريس العراق ، مما أكسب شعبها عنفا وحدة .

وقد صور هذا محمد حسنين هيكل بقوله :

(.... قتل ملك العراق وولي عهده ، واكتشف أمر نوري السعيد الذي تنكر في زي امرأة فقتل وسحل في شوارع بغداد .

والواقع أن هناك شيئا في الطبيعة العراقية يؤدي إلى العنف ، فلقد كان العراق دائما منطقة احتكاك بين المدنيات والحضارات ، وكان دائما مسرحا لتصادم الامبراطوريات والتحام الجيوش ؛ لذا فقد أصبح العنف متأصل الجذور في الخلق العراقي)

ووقع الملك فاروق وثيقة التنازل بلا صراع لصالح طفله أحمد فؤاد الثاني ، الذي رافقه إلى إيطاليا ، على أمل أن يكون وليا للعهد كوعد الثوار ، تخديرا لعبور المرحلة الأولى من التغيير .

وقام لفيف من الضباط بوداعه على ظهر الباخرة المحروسة التى تقرر أن ترسو به على شاطئ المنفى حاملة مئات الحقائب مع أسرته لتعود للإسكندرية بطاقمها . وأديت مراسم الوداع من نجيب ورفاقه الذي خاطب الملك بما يكنه ضباط الجيش للتاج الملكي إبان حادث القصاصين ، وحادث حصار القوات البريطانية لقصر عابدين في 4 فبراير عام 1942 ، ثم تحول ذلك الولاء من الجيش والشعب لتغير سلوك الملك .

فصارحه الملك بأنهم إنما قد سبقوه بما كان ينوي أن يفعله بهم ، وطلب الملك من نجيب العناية بالجيش لأنه على حد قوله جيش آبائه وأجداده ، ناسيا أنه جيش مصر فقط ، ولن يكون يوما جيش ملك أو حاكم أو رئيس . وبشر الملك نجيبا بأن مهمته ستكون صعبة ، وتنبأ بأن حكم مصر لن يكون سهلا .

ومشى إلى غروب التاريخ ، إلى أن مات في أحد مطاعم مدينة روما الإيطالية ، على أثر عشاء دسم ، أو اغتيال على شكل تخمة ، بمعاونة العاملين بالمطعم ، وأشرف على التنفيذ ضابط المخابرات المصري إبراهيم بغدادي محافظ القاهرة والمنيا الأسبق ، ضمانا لئلا يصير لوجوده حيا شرعية العودة ، إذ ماتصادمت حكومة مصر مع القوى الاستعمارية ، مجددة اتفاقية لندن سنة 1840 ، يوم أن أمرت بتقليص قوة مصر – محمد علي – الفتية لمصلحة الأتراك المباشرة ، لمصلحتها المستترة .

وحدث ماكان متوقعا ، وكثرت مراحل الصدام مع الثورة ، وكان وجود الملك حيا خطرا قد يستخدم لمناوءة الثوار .

وتتابعت خطوات النظام من إلغاء ألقاب البكوية والباشوية حيث عادت في ثوبها الشعبي الجديد كألقاب لاتشترى كمنحة من الملك ، إنما ينادى بها صاحب الجاه ، والمواطن العادي ، وسرعان مااندثر بديلهما (السيد) ، وكان نظيره في الثورة الفرنسية (أيها المواطن) .

وشكل مجلس الوصاية من الأمير محمد عبد المنعم ، وبهي الدين بركات ، والضابط رشاد مهنا ؛ لعدم جرأة الثوار على الإعلان المبكر بحقيقة أنه لا ملك ولا ولي للعهد ، تحت كعوب أربعة عشر ضابطا ممن يصلحون ملوكا بلا توريث .

وطبقت قوانين الإصلاح الزراعي لتفتيت الملكية ، بتوزيعها بدل الملكيات الزراعية التي كانت تطوف حولها سيارات مالكيها ، كما كان يملك الملك ونبلاء أسرته عباس حليم ويوسف كمال ، الأراضي الزراعية وما عليها بمساحات القرى والمدن على امتداد الوادي .

وتغيرت موسيقى السلام الملكي لسلام وطني ، وتغير العلم الأخضر ذو الثلاث نجوم للعلم الثلاثي الألوان ، وألغيت الأحزاب ، وصدرت مجلات وصحف الثورة ؛ التحرير والجمهورية . وألغي دستور 1923 وألغي النظام الملكي ، وحل مجلس الوصاية ، وتشكلت المحاكم الثورية ، ليدخل الجميع الجحور لإخلاء الساحة للقواد الجدد .

وجهزت أرض الحكم تماما بإسكات عمال مصانع النسيج بكفر الدوار بإراقة دماء العاملين مصطفى خميس ومحمد البقري ، ليصبح لعصا الثوار صوت الفرقعة . وتعرض « عدلي لملوم » بالمنيا ، كنموذج للمعترضين من الإقطاعيين على قانون الإصلاح الزراعي ، للمحاكمة حتى لايتكاثر مشاركو الفرقاء لمزاحمة زعامة الثوار .

واشرأبت أعناق ضباط سلاح المدفعية يطلبون المناصب لمساهمتهم في الحركة ، وتلاهم تمرد ضباط سلاح الفرسان ، مطالبين بالمشاركة والديمقراطية فتمت مقاومة المتطلعين ؛ لأن لحم الذبيحة لايكفي الجميع .

وكان لابد من أن تبرز قيادة من عدد محدود من بين تلك الألوف المدججة بالسلاح ، المشرئبة بالأمل نحو السلطة على أن يكون الباقون رعاياها .

ولم تكن الثورة كمقدمة ثورة عرابي وعبيد التى واجهت الخديو توفيق ، الذي أمرهم بالعودة إلى ثكناتهم بقوله : إنه ورث هذه البلد عن آبائه وأجداده . فرد عليه عرابي قائلا : (لقد خلقنا الله أحرارا ، ولم يخلقنا تراثا وعقارا ، والله الذى لا إله غيره ، إننا سوف لانورث ولانستعبد بعد اليوم) . ونصبوا رئيسا للوزراء ، شخصية فكرية جمع ين السيف والقلم هو الشاعر محمود سامي البارودي ، وأحمد عرابي وزيرا للحربية . أما الباقون فجندوا متساوين ، لم يطلب قادتها المناصب والقصور ، ثم عادوا للثكنات إلى أن حدث إخلال بالاتفاق فعادوا .

إنما هنا فقد أصبح نجم الهلال هو رئيسها الصوري ، تعقدت بين يديه خيوط السلطة المتشابكة ولم يعرف كيف ينسج الحبكة ، ويعطي للكل دورا بما لا يوغر الصدور ؛ لذا فقد ظلت المطامع تتضارب ، ونار الغيرة تضطرم في القلوب ، ليصفي البعض لحساب الآخرين ، ثم تعود دائرة الصراع لتلتهم غيرهم .

وعجز نجيب عن أن ينفرد بدور الزعيم الوحيد مسموع الكلمة ، ليملأ منصب الملك الموروث بلا مشاركة بحق الإرث الملكي ، وصاحب الذات التي لاتمس ، ومفرق المناصب بلا اعتراض ، وترتب على عدم صراحة القيادة والاعتراف الفعلي بقائد واحد ، ومفارقات الاستئثار بالسلطة ين لواء طيب ، كان يتصور أن الزعامة

بتصفيق الناس الذين يصفقون لكل صورة لامعة حتى قبل أن تظهر بركاتها .

وبين محرك الضباط الأحرار ومنشئ تنظيمهم الذي كابد جهد الأيام ليرفع الستار عن دوره المستحق ، فوجد أن نجيب قد توسد المركز ، دون أن يشيد قواعده .

وبدأت بوادر انشقاق الثوار على نجيب بظهور خلاف هنا وتحريض هناك ، تجميع هنا وتفريق هناك ، وخلقت المحاور ، وتجانست جماعة وتألفت أخرى مغايرة . وكان لابد أن فريقا يتضخم وآخر يضمحل ، طبقا لمظاهر التشرذم والاستقطاب ، استشرافا لآفاق المستقبل حسب توقعات الفوز لاحسب تأييد المبادئ .

وحرص نجيب على ألا يحصل على الامتيازات ، فما انتقل من حلمية الزيتون للإقامة في قصر عابدين .. ولا منح إخوته أو أبناءه امتيازا .. سوى أن أخاه الذي كان ضابطا أمنيا كبيرا لم يقبض عليه ، إنما مثل مصر لدى حكومة الشيشكلي السورية .. كما كان لبعض الثوار مكرمة العفو عمن تصدروا لحمايتهم .

فالسادات حمى الدكتور يوسف رشاد ، طبيب الملك ومنشئ الحرس الحديدي وعبد الحكيم حمى خاله الفريق محمد حيدر قائد عام الجيش ، المختار لمنصبه من الشرطة لا الجيش ! .

وبدا نجيب ككرة تتقاذفها الأغلبية ، متفاهمة الاتجاه ، متقاربة السن ، متجانسة الطموح . وأخذ نجيب يميل إلى انسحاب العسكريين ، ومناولة الحكم للمدنيين من زعامات الأحزاب في ظل انتخابات عامة تحقق الحكم الديمقراطي المدني .

وتضافرت الأغلبية العسكرية التي رأت أنها ستضار إذا ماتقاعدت ، بالاجتماعات بغير إعلان نجيب ، وتباعدوا عنه بنشاطهم ، ولم ينحز له سوى يوسف صديق وخالد بفكرهما الماركسي وحضهما على وجود جمعية تأسيسية تدعو لانتخابات عامة وقيام حياة ديمقراطية .

وسرعان ماأقصي الاثنان من منصبيهما ، ليقف نجيب وحيدا يكابد انشقاق الثوار بعدهما أمام تخطيط الاستئثار ، واحتراز السلطة ، واحتواء قيادة الثورة .

وهناك واقعة في الشارع الشعبي . فقد كان نجيب في صدر زعامته يحيي الجماهير في طريق مروره راكبا سيارة جيب مفتوحة ، عندما دوت من بين الجموع صرخة رجل يرتدي جلبابا قائلا له : (ياظالم) !! فأوقف نجيب موكبه ، وأشار للرجل ، ثم ترجل على قدميه قائلا : فيم ظلمتك ياأخي حتى تناديني بذلك ؟! ووقف الرجل والناس من حوله في ذهول قائلا : (ياسيدى اللواء ، ماظلمتني - ولكن ناديتك بذلك ؛ حتى ألفت نظرك فتقف لتسمعني ، وأنا رجل لامورد لي ... وأطلب كشكا استرزق منه) .. فأجاب نجيب مطلبه مؤكدا أسلوبه بضرورة أن يكظم الحاكم غيظه ، ولايبادر بالعنف لمن يحرجه .

وصار نجيب رئيسا للجمهورية ، ورئيسا للوزراء ، ولمجلس قيادة الثورة ، بعد أن اعتاد الشعب على الحكومات المدنية التي تحتكم للدستور لا للقوة العسكرية ، والتي يسهل القيام بالمظاهرات أمامها ، وكان يبدأ خطبه بـ « بني وطني ... » ويرفع شعار : الاتحاد ، النظام ، العمل .

ويقول نجيب : إن عبد الناصر قد عرض عليه تأمين مستقبل الثوار وحماية مصيرهم ، واقترح عليه بأن يأخذ كل عضو في القيادة عشرة آلاف جنيه ، أما نجيب فيكون له أربعة عشر ألفا ، واعترض نجيب ، فابتسم عبد الناصر في ارتباك قائلا له : (بل كنت أمتحن مدى قبولك) ! .

وسادت سحابة شك بين الثوار ، وازداد التشرذم وكثرت الخلافات ، وأنشئت المحاور ، واتسع الانشقاق إلى حد أن زكريا ، وجمال سالم ، قد رفضا أداء اليمين الدستورية أمام نجيب . واستحكم العداء مع نجيب وتم إبعاد الضباط عنه .

واتسعت الخلافات بين الفرقاء ، كالمماليك في صراعهم الخفي ، وقدم نجيب استقالته عندما وجد نفسه يتقلد سلطة صورية ، حيث اجتهد عبد الناصر ورفاقه في إجهاض أحلامه .

وتابعوا ذلك بأن استبعدوه من اجتماعاتهم ، وعطلوا تليفوناته ، وغيروا مسئولي حراسته ، وقيدوا خروج خدمه ، ومنعوا عنه الصحف .. ثم أعلنوا قبول استقالته

معلنين اختلافهم معه بسبب مطالبته بتركيز السلطة بين يديه ، والمطالبة بالمزيد من سلطات أوسع ، وتولى عبد الناصر مناصبه .

تلا ذلك أن شوهوا صورته إعلاميا ، وأجهضوا دوره بأنه ثوري طارئ ، لا أصيل في تشكيل الثورة ، وتشرذمت القوى العسكرية بما ينذر بتفتت الجيش لخطورة أن الثورة لم ترافقها كوادر مدنية ، فالكل بالنسبة لهم أعداء .

وتعاطف سلاح الفرسان وعلى رأسه خالد مع نجيب ، وعقدوا اجتماعا عاصفا للمطالبة بعودة نجيب . ثم لم يلبث مجلس القيادة تحت ضغط ضباط سلاح الفرسان ، وأمام المظاهرات الجماهيرية التي تأثرت بلقاءاته وخطبه الشعبية ، أن عاد وألغى قبول استقالته حفاظا على وحدة الأمة . وأنهى الخلاف إلى حين ، وتفرقت مظاهرة السلاح قبل إطلاقه ، وعاد نجيب رئيسا للمجموعة التى بيدها أمر مصر قائلا في سماحة غير ماكرة : (إنها سحابة صيف وانقشعت) .. وقال : (إني أعدل عن استقالتي من أجل الديمقراطية ، وإجراء الانتخابات البرلمانية وعودة الحياة النيابية للبلاد) .

وعاد نجيب لمنصب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ، وعبد الناصر رئيسا لمجلس قيادة الثورة ونائبا له ، في صلح مخادع وصراع مؤجل لتمر العاصفة ، مع مافي الصدور من تحين للفرص في مجال الاستئثار بالزعامة ، إصرارا ممن يرى أنه مستحقها .

وبعد محاولة الاستبعاد الأولى لنجيب وعودته ، بدأت التكتلات الخفية لتنحيته باعتباره الرئيس الصوري ، كذلك لعجزه عن تدعيم قناعاته بأن يستثمر واقعة عودته بحد السلاح ، ومطالبة الجماهير بقيادته ، مجاهدا في تنفيذ رؤيته بانسحاب العسكريين لثكناتهم ، وعقد جمعية تأسيسية تجري انتخابات لتحقيق الديمقراطية ، في سابقة ـ كما حقق حاكم السودان العسكري عبد الرحمن سوار الذهب زهدا في السلطة ، وإيمانا منه بأن للعسكريين ثكناتهم ، وللأحزاب تنافسها على الحكم .

وكانت أزمة مارس 54 مابين الجناح العسكري الذي يمثله عبد الناصر ومؤيدوه ، باستقطاب عمال نقابات النقل العام ورئيسها صاوي محمد صاوي ، التي

أوقفت حركة المواصلات العامة ، فغيرت الموقف لصالحهم . واستخدام عمال مديرية التحرير ، وضباط الجيش المتضررين من العودة للأعمال العسكرية بالثكنات ، بعد تجربة النزول للحياة المدنية ونفوذها ، هؤلاء المستاءون من عودة الأحزاب المدموغة بالفساد ، بتدبير الضابطين إبراهيم الطحاوي ، وأحمد طعيمة .

وهكذا فشلت فكرة تشكيل جمعية تأسيسية ترسي دعائم حكم مدني ديموقراطي ....

وتم الاعتداء على مجلس الدولة ، ورئيسه الدكتور عبد الرزاق السنهوري في تجمهر غوغائي ليستأصل كل اتجاه يدعو إلى انسحاب العسكريين لثكناتهم ، تحقيقا للديمقراطية ، وكان السنهوري أبرز أعمدة البناء القانوني في مصر الخمسينيات . فكان هذا نذيرا بلعب الحاكم بالقانونيين ، وتجرئه على مذبحة القضاء فيما بعد .

ونجح الاتجاه العسكري في الاستمرار في الحكم ، وتمارض نجيب من كثرة صراعاته الفاشلة مع الأغلبية المتحكمة ، وأخذ يبهت دوره ، ويتقلص نفوذه ، ويخفت صوته .

واعتقل ضباط سلاح الفرسان ، وقبلت استقالة خالد ، وتوسعت الاعتقالات والمحاكات ، وأحكمت القبضة على الصحافة ومظاهرات الطلبة . ووقعت اتفاقية الجلاء مع الإنجليز ، واستؤصلت شأفة الإخوان المسلمين ، على أثر حادث الاعتداء على عبد الناصر بميدان المنشية في الإسكندرية ، وتخضبت الثورة بالدم بإعدام خمسة من (الإخوان المسلمون) ، جروا إلى المشنقة وهم يصلون ! .

وبعدما استسلمت كل الجهات أمام أغلبية مجلس القيادة ، كلف المجلس مندوبيه للتوجه لنجيب في مكتبه بقصر عابدين وإبلاغه بقرار الإعفاء من منصب رئيس الجمهورية .

ولما لم يكن حوله المستفيدون والمدافعون ، فقد خرج صامتا لا مقاوما ، حاملا معه مصحفه . مرافقا لحسن إبراهيم ومتوجها في استسلام لاستراحة المرج ، وهي فيللا كانت تملكها السيدة زينب الوكيل حرم النحاس باشا رئيس الوزراء الأسبق ،

ورئيس حزب الوفد . ونقلت إليها أسرته من منزله بحلمية الزيتون ، ليقيم فيها 30 عاما في تحديد إقامة إجبارية .

وسرعان مانسي الشعب تلك الشخصية العسكرية ، بعد أن فقدت الإعلام ، وقوات العسكر ، وأضواء التصوير ، وكون أنه لم يمثل تراثا يشكل ضمير الشعب وكفاحه الوطني كسعد زغلول ، وكان الرجل في عزلته صامتا ، أبعدت عنه عناصر الحياة العامة وعاش إلى سن الثمانينيات يموت أهله حوله ؛ زوجته وأبناؤه وإخوته ، لايشترك في جنازة ولاينشر اسمه في نعي ، يرافقه في إخلاص كلابه وقططه . وتعرض ابنه فاروق للعذاب على يد المخابرات عندما سخر أحد الحراس منه معرضا بأن أباه نجيب لم يكن في الثورة سوى خيال مآته ، فلما اشتبك معه في مضاربة ، قبض عليه وسجن 5 شهور ، وخرج محطما مريضا ومات من القسوة والإحباط .

أما ابنه الثاني علي ، فقد اغتيل في ألمانيا الغربية حيث كان يدرس ، في ظروف مطاردة سيارة له ، وحشرته بين الحائط ونزل منها من ضربه حتى الموت ، ونقل لمدفنه دون مشاركة والده .

أما ابنه الثالث يوسف ، فقد طرد من وظيفته الحكومية ، وأُلحق بشركة المقاولين العرب ذات الثأر مع عبد الناصر ، إلى جانب عمله على سيارة أجرة في الضواحي ، ومات أخيرا .

ولم تتذكر السلطة الحاكمة (نجيبا) إلا في الأزمات التي واجهتها ، مثل عدوان 1956 ، حيث فرضت عليه الحراسة المشددة ، وأخذ لمكان قصي في نجع حمادي بالصعيد . وكان الهدف من ذلك الإجراء هو حرص حكومة عبد الناصر على ألا يكون هناك زعيم ذو مشروعية لدى الجماهير ، قد تستخدمه الدول الاستعمارية في صدامها مع مصر ، وتنصبه بديلا مقبولا في حالة سقوط الحكم القائم ، أو تنصبه الجماهير خلفا مرغوبا . وعندما احتج على نقله وحيدا للصعيد مستفسرا ، ضربه أحد المرافقين من الضباط وسبه .

وفي عهد الرئيس السادات ، تحسنت معاملته ، وسمح له بالزيارات ومقابلة من

يريد ، وإذاعة الأحاديث . ونشر المذكرات وزيلت مخصصاته .

وفي عهد الرئيس مبارك ، منح شقة لائقة نقل إليها بعيدا عن كآبة الماضي ومسرح العطن إلى حداثة العصر ، مما جعله يستنكر الرئيس الأول ، ويشيد بالثاني ، ويمتدح الحالي ويدعو له ويمجد حكمه .

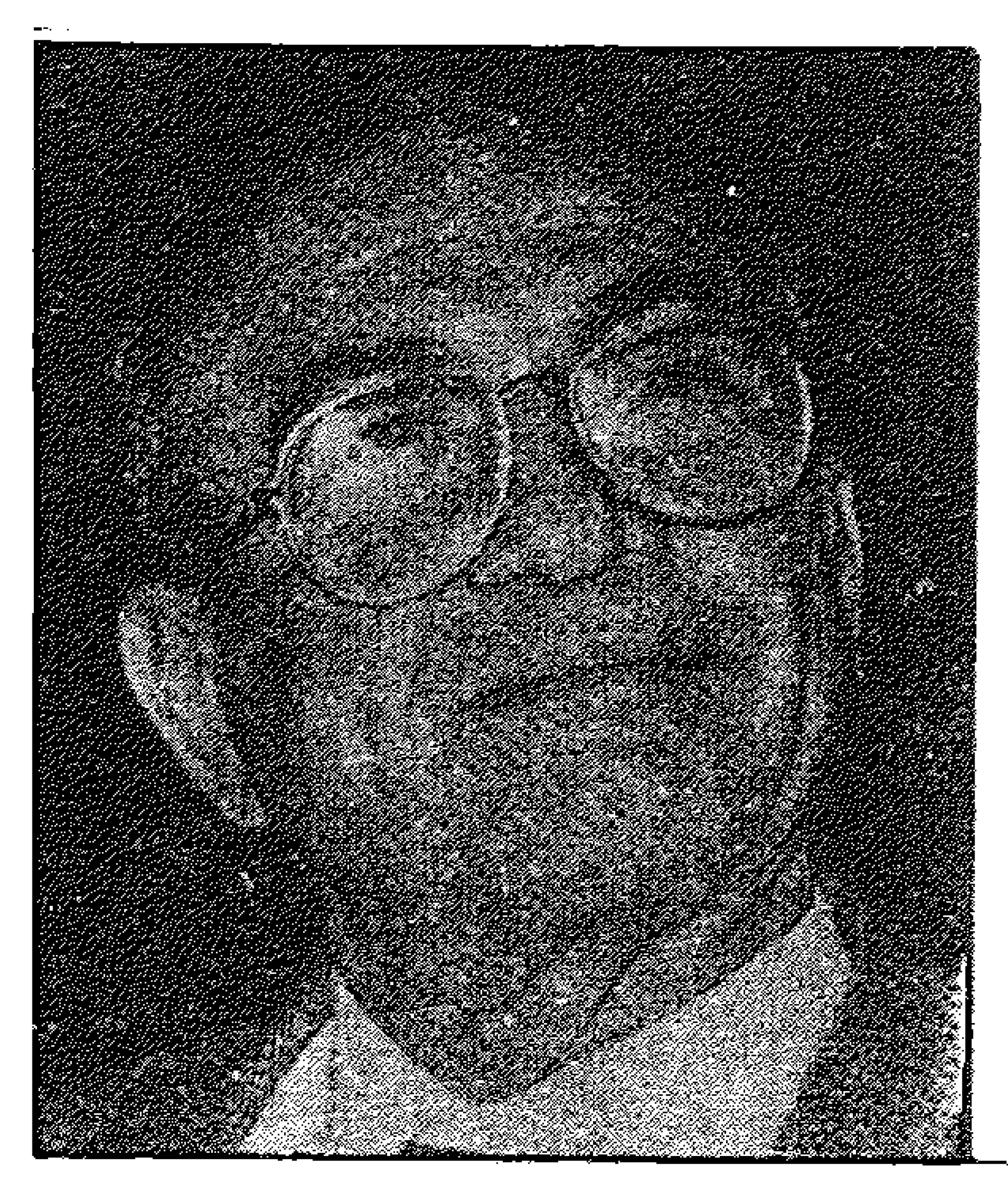
وعندما توفي في الثمانينيات ، أقيمت له جنازة تليق بمن تقلد منصب رئيس الدولة ، دون أن يثير ذلك الحساسية ، وذلك في احتفال رسمي عسكري ضخم بمدينة نصر بالقاهرة .

وصارت الغلبة بعد أفول نجم نجيب لعبد الناصر .

فويل للمغلوب ، والجميع مع من يفرق الأنصبة ، ناسين حكمة التاريخ ، بأن من يبدأ بقضمة واحدة ، لابد أن تتفتح شهيته لبقية الوجبة .

واستمرت لعبة العسكر غير الديموقراطية ، وظلت الثورة تأكل رجالها ، فتسمن كلا منهم ، ثم تجزه عند أول مفترق طريق يسمح بذلك !





خالد محيي الدين

الحكام صنفان ، منهم من يجعل السلطة وسيلة لتحقيق عقائده السياسية ، ومنهم من يجاري الظروف دون الالتزام بعقيدة للوصول إلى السلطة .

وقد كان خالد عقائديا اشترك ضمن الضباط الأحرار في تشكيلهم ، وأسهم في إنهاء النظام الملكي ، واقتحام المعسكرات ، ومحاصرة قصور الملك ، بالإسكندرية ، إلى أن آلت السلطة للقيادة العسكرية ، ووزعت المناصب الوزارية ، دون أن يحظى خالد بإحداها .

وقد كان واضحا بلا خفاء ، أن له ميولا ماركسية ، ولقب بالصاغ الأحمر !! .

وقد كان يقف دائما إلى جانب الدعوة إلى تطبيق الديموقراطية ، وانسحاب العسكريين إلى ثكناتهم ، وتشكيل جمعية تأسيسية تدعو إلى انتخابات عامة ؛ ليحكم الشعب تحت رقابته وباختياره الحر ، وبأن حركة الجيش ماهي إلا قوة لتمهيد الطريق ، والقضاء على الاستعمار والحكم الملكي ، دون الاستمرار في الحكم .

واتفق في ذلك مع يوسف صديق عضو القيادة الذي كان أيضا ماركسي العقيدة ، داعيا إلى إرساء قواعد الديموقراطية ، دون احتكار العسكريين للسلطة ، وإهدار الديموقراطية . كما كان متعاطفا مع نجيب وفتح له قلبه ، واتفقا على ضرورة قيام الحياة الديموقراطية ، ولكنه لم يعمل على خلق المحاور ، أو تشكيل الخلايا الانقلابية ، بل كان يجاهر برأيه السياسي للجميع .

وظهر دور خالد جليا عند الاستقالة الأولى لنجيب ، حيث انحاز له ؛ لأنه رأى فيه رجلا عسكريا متقشفا ، ومقتنعا بتسليم السلطة للمدنيين ، ومحترما فيه أبوته الروحية للضباط الشبان ، الذين ماكانت تنجح حركتهم إلا بقيادته المقنعة . وكان يرى فيه أحقيته في القيادة ، فهو الذى اعتمد عليه القائمون بالحركة ، وليس من الشرف العسكري أن يغدروا به عند أول مفترق طريق بحجة أنه لم يكن رئيس تنظيم الضباط الأحرار ، أو الأخذ بالقول بأنه قد ضم شرفياً لاستثمار رتبته العسكرية الكبيرة ، أو بأنه مجرد لافتة وقف خلفها التنظيم مرحليا ، أو بأنهم إنما استدعوه بعد إتمام القفز على السلطة .

وفي أثناء واقعة الاستبعاد الأول لنجيب ، تحرك الشارع السياسي تلقائيا ، وتحرك ضباط سلاح الفرسان بتأثير خالد ، للضغط على القيادة لإعادة نجيب الذي كان واجهة الثورة ، حيث كانت خطبه ولقاءاته ودعوته لإرساء البنيان الديموقراطي ، قد جعلت له تأثيرا في المجتمع .

فقد توجه ثمانية من ضباط سلاح الفرسان وعلى رأسهم خالد ، وأبلغ نجيب بأن مجلس القيادة قد غير موقفه من استقالته وإعادته رئيسا للجمهورية . كما أبلغوه بأنهم قد عقدوا أيضا في سلاح الفرسان اجتماعا عاصفا حضره عبد الناصر ، وأن الضباط قد اعترضوا على استقالة نجيب ، وأصروا على عودة الديموقراطية ، وأن جمال سالم قد طالب بعقد اجتماع عاجل لمجلس قيادة الثورة لمواجهة الموقف .

وعقد المجلس ، وتقرر فيه تعيين خالد رئيسا للوزراء ، وعودة نجيب رئيسا للجمهورية .

ولم يلبث أعوان مجلس القيادة أن حاصروا سلاح الفرسان وأصدر الطيارون منهم أوامرهم لسلاح الطيران بتحليق بعض الطائرات . وتحركت وحدات المدفعية المضادة للدبابات لمحاصرة سلاح الفرسان ، واعتقل بعض ضباطه في الشوارع وهم متوجهون إليه .

وكانت ورطة وقع فيها ضباط سلاح الفرسان الذين أيدوا عودة نجيب ، وأشاروا بتعيين خالد الضابط السابق بسلاح الفرسان رئيسا للوزارة . ولم يخرجوا من الحصار إلا فرادى ، بإذلالهم بالتوقيع في سجل اعتذارات . وهكذا لم تثمر محاولة تعيين خالد رئيسا للوزراء عن تحقيق أهدافه الديموقراطية ، في العمل على إجراء الانتخابات وعودة الجيش للثكنات .

وقد كان يحسب كل تحرك لضباط سلاح الفرسان على أن وراءه خالد ، ولو بطريق غير مباشر ، فأثناء ملازمة خالد لنجيب في الإسكندرية قام عدد من ضباط سلاح الفرسان بإعداد خطة للهجوم على مجلس القيادة تحت شعار : إعادة الديموقراطية ، وهي القضية التي اعتقل فيها هؤلاء الضباط ، وقد قدم على أثرها خالد استقالته بسبب التراجع عن مقررات أزمة مارس 1954 ، وهي عودة الحياة النيابية ، والإفراج عن المعتقلين السياسيين ، والسماح بقيام الأحزاب ، وانتخاب جمعية تأسيسية ، وحل مجلس الثورة .

وعندما أحس نجيب بإجهاض مقررات مارس ، وإصرار ضباط القيادة على استمرارهم والتدبير لتهييج نقابات عمال النقل العام ، واستخدامهم في تعطيل المواصلات لاستمرار مجلس القيادة ، وإلغاء تلك المقررات خشية عودة الأحزاب المدموغة بالفساد . وما ترتب على ذلك من الاعتداء على مجلس الدولة . فقد استدعى خالد لاقترابه من قلبه ومفاهيمه ، وقد استبعد خالد رجوع القيادة عن الاتفاق وتفكيرهم في إجهاض مقررات مارس ، ونصح بعدم التصادم مع المجلس خشية وقوع حرب أهلية .

وفي أثناء وجود نجيب وخالد لوداع الملك سعود بالإسكندرية إبان تلك الأزمة ، مع وجود ضباط القيادة بالقاهرة ، قامت المظاهرات بالعاصمة تملأ الشوارع ، وتسد الطرق وتهتف بحياة الثورة والضباط ، وتطالب بسقوط الأحزاب والرجعية والديموقراطية . وتعاونت القيادات العمالية ، وجنود البوليس الحربي ، وعمال مديرية التحرير وجنود الحرس الوطني .

ونجح الاتجاه الذى يرمي إلى إجهاض الديمقراطية ، والداعي إلى استمرار مجلس القيادة . وقدم خالد استقالته لتحول الريح في غير اتجاه فكره الديمقراطي ، و لم يصدق أن هناك شعبا يهتف للدكتاتورية العسكرية ، وإن كان متأثرا بفساد الأحزاب القديمة .

وعلى أثر استقالة خالد ، وتحديد موقفه من القيادة بدعوته المخالفة لاتجاههم ، أصر عبد الناصر على عدم استمرار خالد في البقاء بمصر ، لأنه أحد دعائم الدعوة لحل مجلس الثورة ، الذي كافح عبد الناصر طويلا لتنظيم الضباط الأحرار ؛ لأجل استمرار بقاء القوى العسكرية في الحكم ؛ يأسا من الأحزاب والديمقراطية والحكم المدني ، خلافا لما يراه دعاة الديمقراطية و على رأسهم خالد . وأجبر بذلك على المغادرة الإجبارية إلى سويسرا ؛ حتى لاتفرخ دعاوى الديمقراطية على يده ، إلى أن تهدأ الأمور لصالح مجلس القيادة ضد تيار الديمقراطية وعودة الأحزاب ، والانتخابات ، وبذلك تم التخلص من خالد بدعوى شيوعيته ، رغم أن ابن عمه زكريا كان من ركائز السلطة البارزين في مجلس قيادة الثورة . وقال له عبد الناصر : (إنت زي العسل بتلم عليك الدبان ، لازم تغادر مصر) .

وعاد خالد من المنفى المؤقت مواطنا عَقَدِيًّا ، بعيدا عن السلطة التي احترزها الآخرون . ومن موقع المبدأ السياسي الذى يتغلغل في نفسه كعقيدة ماركسية متأصلة في فكره ، فقد سمح له برئاسة تحرير الصحف ومجالس إداراتها ، حيث اتبع عبد الناصر إجراء أن يعهد إليه ، وإلى صلاح سالم ، والسادات ، بالعمل بالصحافة فترات إبعادهم عن السلطة التنفيذية .

كما ظل على رأس تحرير صحف أخبار اليوم ، يوم أن كان سمن السلطة مخلوطا بعسل الاتحاد السوفيتي ، ثم ألحق لرئاسة تحرير جريدة المساء وقتا طويلا .

وفي غمرة انهماك خالد في الصحافة التي اكتفى بها للتعبير عن اتجاهه الفكري الوطني ، قد حدث الاحتكاك والخلاف بين حكومة الثورة في مصر ، و حكومة عبد الكريم قاسم في العراق التي قامت بالثورة المسلحة على النظام الملكي تؤيدها

مصر ، وذلك على أثر الانشقاق ضد عبد السلام عارف نائبه ، لتصور أنه من دعاة الوحدة مع مصر ، خشية تسليم الحكم لعبد الناصر ليصير قاسم مواطنا عربيا ثانيا ، مثل شكري القوتلي المواطن العربي الأول ، الذي تنازل عن رئاسة سوريا لعبد الناصر .

وتعاطف الاتحاد السوفيتي في فترة حكم خروشوف إلى جانب أنصار قاسم في العراق ، وبالتالي تعاطف خالد الماركسي ، وأوقف الهجوم في صحيفته « المساء » على شيوعيي العراق والاتحاد السوفيتي .

فأصدر عبد الناصر قرارا بإيقاف خالد عن رئاسة تحرير جريد المساء ، ذلك لأنه لم يلتزم بالتوجيهات اللازمة للإعلام الموجه .

وذلك يوضح عنف عبد الناصر ، وكبته لأي رأي يعبر عن الاقتناعات السياسية والحرية الذاتية في التعبير ، وقهره لتباين المواقف طبقا لما تهدف إليه النظم الديمقراطية غير الموجهة بالرأي الواحد الشمولي ، والذي يلزم الجميع بالسير على خطه السياسي ، مما كان له نتائج سيئة على مسيرة كبت الحريات التي تمخضت عنها الهزائم والأزمات .

وهكذا قهر خالد في معتقداته الديمقراطية ، وصار كل يوم جديد يبعد من الثوار من يجاهر بالرأي الحر المستقل ، لتستبدل محله الطوابير المنتظرة لتلبية رضا السلطة ، وليقدموا الخدمة قربانا لمن احتوى الثورة ووظف رجالها لما تحدد لهم .

بعد ذلك أبعد خالد عن المناصب الفكرية الحكومية ، واكتفى برئاسة اللجنة المصرية للسلام ، المتولدة عن الفكر الاشتراكي ، مناضلا في سوق غير رائجة ، وباشر خالد نشاط وعضوية البرلمان في مسمياته كمجلس الأمة ثم مجلس الشعب . وكان متعاطفا مع خط عبد الناصر ، متصادما مع فكر السادات اليميني ، ذلك الذي عمل على إقصائه من إحدى دورات مجلس الشعب بتكتيك انتخابي مرسوم .

وعند تولي السادات ، كان خالد قد اشترك مع الأحياء من زملائه في المطالبة بالمشاركة في السلطة بعد وفاة عبد الناصر ، حيث أجهض السادات ذلك الاتجاه

الرامي إلى أن تحل قيادة جماعية لمن قاموا بالثورة لملء فراغ تلك الزعامة التاريخية بعد غياب عبد الناصر .

ولكن دهاء السادات قد رفض الطلب مدعيا بأنه يحكم بموجب مؤسسات دستورية ، وأن الحكم ليس ميراثا يوزع ، واعتمد السادات بدلهم على مراكز القوى ، وعلى زميله الباقي في الحكم حسين الشافعي . ثم مالبث أن تخلص من مراكز القوى ونائبه الشافعي ، استئثارا بالسلطة بعيدا عن أعضاء مجلس قيادة الثورة .

وعندما أسست المنابر ، كان خالد أول من شارك في بناء منبر اليسار ، الذي أوقف حياته على تبني فكره ، ويوم أن تحولت المنابر إلى أحزاب ، كان هو رئيس حزب التجمع التقدمي الاشتراكي الوحدوي ، الذى يضم الفصائل الماركسية والناصرية كوعاء للفكر البروليتاري اليساري ، ذي التأصيل الماركسي المتمرس على إنشاء الكوادر السياسية ، مبلورا معتقداته في جريدة الحزب « الأهالي » .

ويقف حزب خالد في النظام السياسي الحالي مناصرا للطبقات الشعبية مع عجزه عن كسب الشارع السياسي المصري غير المتعاطف مع عقيدته لموقف التيار الديني الثيوقراطي تجاهه ، رغم الحج وسجادة الصلاة .

ومازال خالد يجاهد شيخا وسط بقية الأحزاب مكافحا لأن يكون له وجود سياسي في مجلس الشعب ممثلا لحزبه ، في ظل ظروف انتخابية (لوغاريتمية) حصيلتها أن الحزب الحاكم لابد أن يظل حاكما سواء جمعنا أو طرحنا ، ضربنا أو قسمنا ، وسواء كانت القائمة نسبية أو كلية ! .

ثم جاءت قيادة جديدة في الحكم ، خلال نظام رئاسي لم يرث فيه أعضاء مجلس الثورة ، حيث إن رئيس الدولة لم يكن من بينهم ، وذلك من بداية الثمانينيات ، بعد مقتل آخر هؤلاء الثوار الرئيس السادات في حادث المنصة .

واليوم ابتعد جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة عن العمل بالسياسة سواء بالموت أو الاستبعاد . وظل خالد وحده يتابع تنظيم حزبه .

ومازال اسم خالد يتردد رفيقا للأحزاب المعارضة ، للحكومات المتتابعة التي

توارثت حكم مصر ، رئيسا لحزب التجمع ، واضعا يده في يد قيادات أحزاب مصر المعارضة وهي :
(الوفد الجديد ، والعمل ، والأحرار ، والأمة) ، وذلك بوضع برامج أحزابهم ، داعين للانتخابات الفردية ، وإزالة القوانين التي تشوب الديمقراطية . ومباشرة نقد النظام ، وذلك في مسيرة الأحزاب الحالية التي تقف معارضة للحكومة ، دفاعا عن الديمقراطية ، تجاه الذين احتكروا السياسة وحدهم .

ولنا وقفة مع أحزاب المعارضة : .

تلك الأحزاب التي استطاع نظام الحكم أن يحولها إلى خيال المآتة ، هذا بينما أغلى ماتملكه هو شهادات ميلادها ممثلا في صحفها ، تلوح بها معلنة عن انتقاداتها ، لا عن برامجها .

وعند التلويح يلتفت القراء إليها ، ولكن سرعان مايستديرون ، ثم ينصرفون دون أن يجلس هؤلاء الملتفتون في ظل تلك الأحزاب ، تخلق منهم كوادر وفيالق .

بل إن أكثر الناس لا يعرفون حتى مجرد تركيبة أسماء تلك الأحزاب ، ناهيك عن معرفة أسباب وجودها ، أو يلمسون حتى روح تأثيرها في المجتمع .

وأحكم النظام إغلاق أبواب مشاركتها الإيجابية في الرأي العام لا كتطوع أو هواية . وتاه المحلل عن الوصول لأسباب سلبية الأحزاب ومرجع إخفاقها .

فهل يرجع ذلك إلى المناخ العام الذي نعيشه ؟ أم إلى سطوة الحزب الوطني المتفرد بالإيجابية الشكلية بسبب توافر إمكانيات الدولة ، ورحابة مقار النشاط ، وربط الأجهزة التنفيذية بخدمات الحزب ؟ .

لكن المؤكد أن تلك الأحزاب في معرض دفاعها ، تدرأ عن نفسها ذلك الاتهام . وحيثياتها في ذلك أن الأجواء المحيطة بها من السلطة هي التي أدت إلى تحجيم حركتها ، ودليلها في ذلك أن أقلام الكتاب المحترفين بفضل رقعة الإعلام المسخر من أجهزة الدولة الإعلامية ـ المرئية والمسموعة ـ (تزغلل) عيون الناس بنشر الضباب

لحجب رؤية تلك الأحزاب ، مدعين في كثافة إعلامية أن الحزب الوطني فقط هو الوعاء الكبير ؛ ذلك لأن التصاقهم به هو طريق عضوية مجلس الشورى المنبثق منه المجلس الأعلى للصحافة الذي يعين قيادات الصحف .

وقد ملأ هؤلاء الدعاة الساحة بالقول بأنه ليس إلا الحزب الوطني الديمقراطي هو الباب الملكي ، وأنه الوعاء الكبير الذي تدخل فيه الجماهير ، وتفرغ فيه كل المحتويات ، فإذا أغلق ذلك الباب الملكي ، أو انقلب هذا الوعاء الكبير ، « فالهرولة » هي الملاذ .

وللرد على ذلك نشير إلى مايدور في الشارع الانتخابي المصري ، بأن كل من أعطت له السلطة مركزا تنفيذيا أو إعلاميا ، صار قوت يومه وشراب ليله هو التبرير ، واستخدام حرفة الكتابة ، أو أداة السلطة التنفيذية ، في إسباغ المعقولية على إنشاءات الحكومة ، حتى ولو كان إنشاء تعبيريا ، بعد أن تراجعت الإنشاءات المادية التي تلبس الجماهير وتطعمها وتسكنها ، وبعد أن ذابت القدرة أمام كثرة المطالب التي تجرف كل إصلاح .

وغالبا ما تصدق تلك الدعاوى في عقل كُتابها فقط ، بينما القراء من الملايين تنشد التغيير ، هؤلاء الملايين الذين وقعوا في الستينات في خدعة مماثلة ، يوم أن كان الأستاذ « هيكل » يفرش للناس كل صباح جمعة (بصراحة) ، حيث نجح في غزو العقل المصري من موقعه كنافذة وحيدة ، مقنعا الجميع بأن ذلك إنما هو بيان للناس كافة ! .

ويوم أن راحت السكرة وجاءت الفكرة ، وسقطت ادعاءات « بصراحة » ، حيث ظلت تتكوم ، وتتكوم ، وصارت أحاجيها قبة عالية ينفخ فيها سرطانيا ، بينما يظن الناس أنه امتلاء لا مرض . ويوم أن فرقعت تلك « القبة » تحت هزيمة 1967 وأيقن الشعب بوهم القبة التي انتفخت كضريح كاذب ، وتبين أنه ليس تحتها شيخ مبارك ، عندما عملت معاول الحفر ولم يجدوا شيخا ، ولاحتى حجرا مباركا فبكى الناس ، لا لضيعة الشيخ المبارك — إنما لكذب تحلقهم طويلا متبتلين حول قبة فارغة ،

وحول ضريح هو « بصراحة » خاو مما ظلوا به يتبركون ! .

وحتى لا يتكرر هذا ، فإن الناس المضغوطة حياتيا الآن لخواء التجارب ، قد جعلها تنفض عن كل التجارب ، حتى لا تفاجأ بخواء مايدعى إليه من ضريح جديد .

وهكذا غمر الضوء الحزب الحاكم مع قلة المقيدين على قوائمه ، وساد الظلام قوائم الأحزاب الأخرى بفضل قدرة المراكز الإعلامية الحكومية ، التي لاتتسم بالحيدة الحزبية ، مما أدى لإجهاض مسيرة الحركة الحزبية المنشأة من خارج السلطة ، تلك الحركة التي تسعى لترجمة آمال المواطنين وطموحاتهم ممن لايملكون سلطة المنح أو المنع ، محاولين تبني الأماني الوطنية في برامج أحزابهم ، وتحويلها تشريعيا لحل المشاكل العاتية التي شلت حياة العطاء لدى جماهير مصر .

فمنذ أن قامت ثورة يوليو ، فقد سكت كل صوت حزبي بدعاوى ديمقراطية ، بينما الحقيقة أن إخلاء الساحة من الأحزاب لهو أشد الدعاوى الديكتاورية .

ومنذ وقوع أزمة مارس سنة 54 ، وكذبة إعلان قيام جمعية تأسيسية بادعاء عودة العسكريين لثكناتهم مع قيام المدينة الديمقراطية الحزبية في المجتمع المصري من خلال حكم الثورة العسكرية ، لم يحدث إطلاق السباق الحزبي الذي ننتظره من حرية قيام الأحزاب ، ليكون الحزب الذي يحقق مصداقية تجاه الشعب المصري ويتبنى تطلعاته ، يخلي بينه وبين اعتلاء مقاعد الحكم .

ولكن بحكم السلطة الثورية منذ عام 52 ، شطبت كل فكرة حزبية ، ولطخ اسم كل سياسي كان مقيدا على قوائم الأحزاب القديمة ، كأنها سبة وطنية . إلى أن سمح بمزاج الحاكم في عهد الرئيس السادات بتكوين الأحزاب بالتدرج البطيء ، من منابر مصطنعة في حيز اليمين واليسار والوسط ، كلها منابر استأذنت السلطة في السماح لها على جرعات عطشى ! .

ثم حدث تطور حثيث تال بمزاج الحاكم لا بإجباره ، وقد تمثل ذلك في انفراجة ضيقة لأحزاب لاتمر من باب التشكيل الحزبي المقنن ، إلا بتفتيش وإذن مرور معقد من لجنة الأحزاب ، فرفض بعضها وقبل البعض الآخر بشرط ألا يحمل في برامجه

سوى إذعان وإقرار بأن السير سيكون بجوار الحائط . فدخل « حزب الوفد الجديد » برئاسة سراج الدين بحكم قضائي . ودخل « حزب العمل » الاشتراكي برئاسة المهندس إبراهيم شكري بالاستئناس خليفة لحزب « مصر الفتاة » مع رفضه أن يكون ديكورا . ودخل « حزب الأحرار » برئاسة مصطفى كامل مراد ، من الضباط الأحرار كليبرالية يمينية . ودخل « حزب الأمة » برئاسة الشيخ الصباحي ، كثيوقراطية هلامية . ودخل حزب « التجمع التقدمي الاشتراكي الوحدوي » برئاسة خالد محيي الدين ، كأتجاه بروليتاري يساري ، يجمع الفصائل الاشتراكية . ورفضت أحزاب (الإخوان المسلمون) ... والعدل ... والمستقبل والناصريون .

كل ذلك في مواجهة غير متكافئة الأدوات مع أهل السلطة المرتكزة في الحكم ، قبل نهوض تلك الأحزاب . مع أن المعروف أن الحزب ينشأ عن طريق تجانس مصالح فئة معينة يعبر ويدافع عنها ، ويغري الآخرين بأنه يعبر عن مطالبهم ويدعوهم للالتفاف حوله .

أما الحزب الحاكم فوجد في السلطة قبل أن تتكون كوادره ومبادئه فاسترخى في أحضان السلطة ودفئها ، وصار أعضاؤه أهل السلطة الذين يملئون كراسي الحزب ، من الوزراء ورؤساء مجالس الإدارة والإعلاميين والنقابيين ، ممن أفرخوا في قلب السلطة وجوها الأثير .

هذا بينما لو أتيح السباق الشريف بين الأحزاب ، وتساوت الفرص بينها ورفع عنها الاغتراب ، وألغيت قيود تكوين الأحزاب حقيقة ، لكان الفوز لمن يحاول تحويل الشعب المصري لشكل جديد بدل « التبرير » وبدل احتلال مقاعد الأغلبية بصفة أبدية ، بتغيير الحكم شكلا ، وصولا للمضمون .

أما القول الآن بأن الحزب الحاكم هو « الوعاء الكبير » ، فهذا مردود عليه بأن ذلك الوعاء الكبير مملوء حاليا بكادرات الوظائف ، دون كادرات الفكر والمبادئ العقدية ، تلك التي تصل بالكفاح ، وبالتالي لم تستطع أن تنقل الجماهير من سلبية الانتماء إلى الإيجابية العادلة الفعالة ، لاكتساب الشارع السياسي .

والدليل على ذلك أن كل من يخسر وظيفته التنفيذية أو مكانته بالقائمة ، إنما يسارع بالانسحاب ، في غيبة انتماء للتنظيم العقديّ لذلك الحزب ذي الوعاء الكبير . بل إن مجرد اسم الحزب الوطني قد تم اختطافه دون استقلالية ، من أعطاف حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ، اللذين قد هجرا الثروة واشتريا عز مصر .

ولقد أوصلنا ذلك إلى أننا لانشعر مطلقا بوجود نظام حزبي في مصر ، اللهم إلا يوم الانتخاب الذي يكون الحماس فيه لوزارة الداخلية ، أكثر منه حماسا للمواطنين .

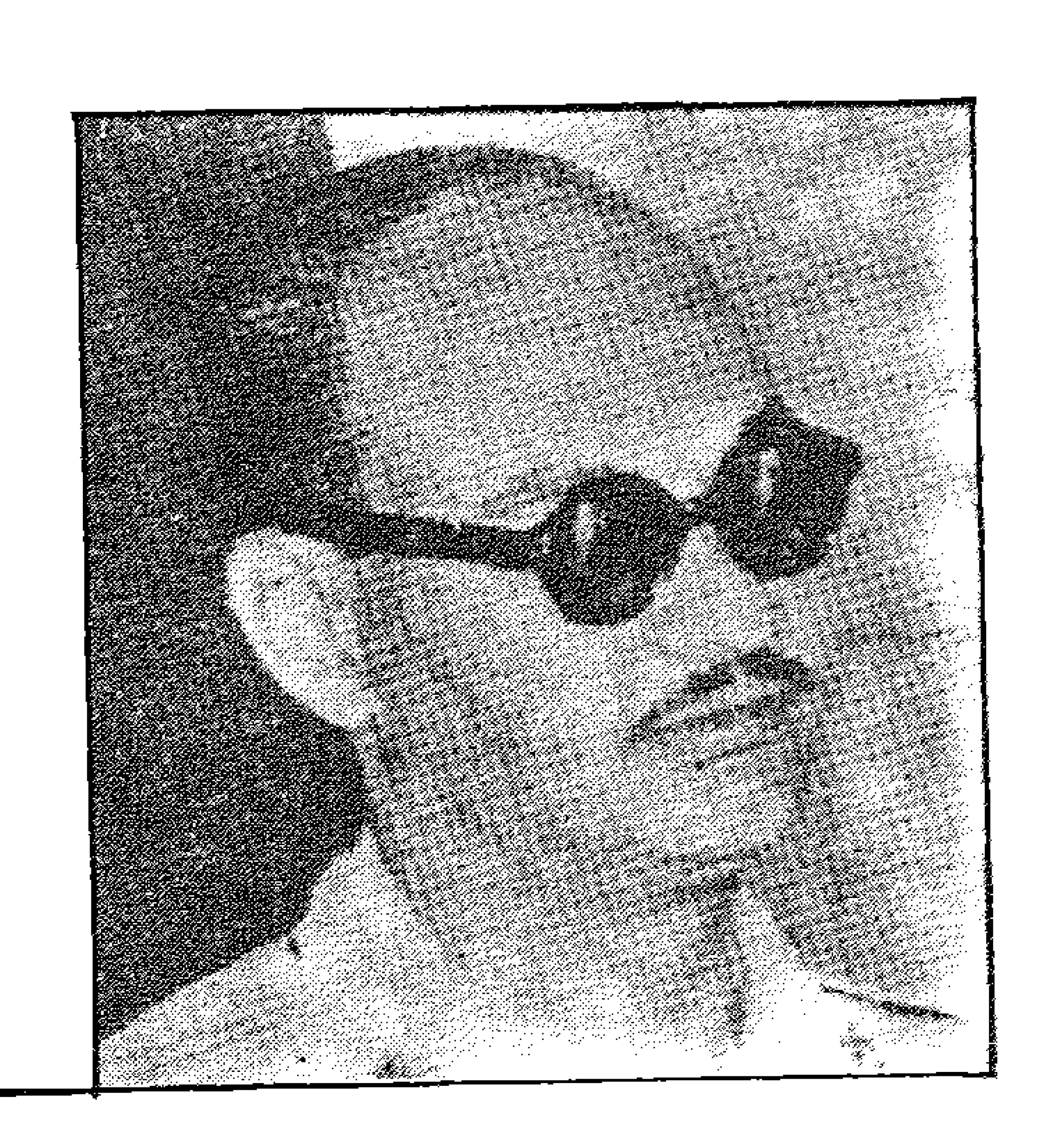
هذا بينما يئس المنادون برفع القيود عن تكوين الأحزاب ، وإجراء الانتخابات بالتصويت الفردي وإلغاء بدعة القوائم النسبية والمطلقة ، ليشترك الملايين الذين يقرنون المشاركة بمصالحهم ، هؤلاء المشاركون مجهدو الأمل ، حائرو المسير ، ليصبح يوم الانتخاب – لا يوم الانزواء ، بل يوم عيد الديمقراطية ، بخروج كل من له حق الانتخاب للإدلاء بصوته ، موقنين بأن أصواتهم قادرة على التغيير ، وبأن الكراسي ليست أبدية .

* * *

وهكذا اختفى ضباط سلاح المدفعية ، وضباط سلاح الفرسان ، ويوسف صديق ، وعبد المنعم أمين ، ومحمد نجيب ، وخالد محيي الدين . لتستمر مجموعة ضباط القيادة من أصحاب اتجاه حكم القيادة العسكرية ، مع خلع الكاكي دون الأسلوب العسكري ، ومع عدم السماح للأحزاب أو الانتخابات أن تأخذ مجراها للتوصل إلى إرساء قواعد ديمقراطية ، لاختيار القيادات المدنية في ظل تكوين الأحزاب ، التي لم تعد إلا بعد الثورة بعشرين عاما .

بعد ذلك بدأت تهدر آراء المستقلين بالرأي ، وتتسع دائرة الانشقاق ، ويصير الحكم شموليا ، ويزداد التأثير في العالم العربي ، وتزداد شقة الخلاف مع الغرب ، وتؤخذ تجارب التنظيم السياسي من يوغسلافيا الصديقة ، والاتجاه للحياد وعدم الانحياز .

و لم يلتق كل الثوار على أسلوب يجمعهم بلا انشقاق ؛ فمنهم من جارى ، ومنهم من توارى .



صلاح سالم

وبعد خلو الساحة من نجيب وخالد ، سحبت دوامة الانشقاق نجما جديدا هو الصاغ صلاح سالم ، وعندما نسرد فصلا عن شخصية صلاح سالم ، عضو مجلس قيادة الثورة الذي لمع وتألق ، ثم لم يلبث كعبرة سيرة الثورة أن كابد انشقاق الثوار .

عندئذ تتراقص الكلمات ، وتدوي العبارات لمفاجأة أن يلحق الانشقاق ذلك المتحمس . فلقد كان دائما منشرحا انشراح الشهرة التي لا تدوم ، والمجد الذي لا يستمر ، فيقهقه الإنسان ، ثم لايلبث أن ينقشع انقشاع الغمام .

فلقد كان بحق خطيبا مفوها قبل عبد الناصر والسادات ، في صوته بحة تأسر آذان المستمعين ، كان تعامله مع بوق الإعلام ، فكان لصيق الآذان . فمن بلاغته الخطابية أن عقد مقارنة بين رجال ثورة 23 يوليو ، وغيرهم قال فيها :

(..إن جمال عبد الناصر نشأ فقيرا ، وعاهدكم وأخوانه أن يظلوا فقراء) ثم قال : **(إن معظمكم دخل منزل جمال فلم يجد فيه إلا الأثاث الذي اشتراه بماله الحلال وهو ملازم ثان صغير ، لقد حاولوا إغراءنا كما كانوا يفعلون مع حكام هذا البلد في الماضي ، وبدءوا يزوروننا ، ودعونا إلى زيارتهم في منازلهم ، فزرناهم جميعا ، فبدءوا يقدمون لنا تحفهم وقصورهم وموائدهم ، ليخدعونا باعتبارنا أبناء البيوت الفقيرة المتواضعة . ونسوا أننا لايهمنا أن نأكل ساندوتش الطعمية ، وننام على حصر على الأرض . وقد كافحنا ورأينا التضحية وتألمنا ، ولا يعنينا أم نظل**

في بيوتنا ، أو نعود غدا لنعيش في الخنادق ونحارب في فلسطين مرة أخرى ؛ لأننا أصحاب مبادئ ، لا أصحاب شهوات ، وإننا دخلنا الحكم فقراء ، وسنخرج منه فقراء ثم نذهب إلى قبورنا فقراء) .

وكان لوجوده مع أخيه جمال سالم في مجلس القيادة ، يمثل أغلبية عائلية ، لم تتمثل سوى فيهما ، كان صلاح وأخوه دائما مسموعي الرأي ، تتحاشى الأغلبية أن تصطدم بأحدهما . اكتسبا الفظاظة من وجودهما الغالب خارج مجتمع المدينة ، قامت الثورة وهما بالعريش .

وكان أول مواقفه قبل تقلد منصب الوزير ، هو تحرشه بشدة ضد القائمين بحركتي المدفعية ، ثم الفرسان . فقد تحامل وشتم وسب الضابط حسني الدمنهوري وهو المتهم بتدبير انقلاب سلاح المدفعية ، وشارك في محاكمته والحكم عليه بالإعدام ، إلى أن تعدل الحكم بالسجن . كما قام في جملة مواقفه المتشددة ، بضرب ضابط المخابرات الشاب أحمد وصفي ، ابن الأميرالاي محمد وصفي مدير سلاح الحدود الأسبق ، بالحذاء وذلك أثناء التحقيق معه ، حتى نزف منه الدم ومات بعد ذلك .

وفي ذات يوم ، طلب صلاح سالم عقد اجتماع عاجل للقيادة مبديا صفة السرعة ، حتى إنهم من شدة الأهمية والاستعجال لم يستدعوا محمد نجيب لرئاسته . وكان الموضوع الذي يناقشونه هو تحديد سعر الطماطم ، والعمل على توافرها في السوق ، وكان ذلك قبل الانتهاء من القضايا الكبرى كجلاء الإنجليز . وأرسل صلاح سالم عقب الاجتماع التسعيرة المقررة ، ومعها توجيهات حاسمة مع بعض الضباط ، لمراقبة تنفيذها كتسعيرة لسلعة الطماطم في السوق . وكان ذلك بدافع حماية الجمهور من جشع التجار ، وقد أغضب ذلك وزير التموين المدني من هذا التدخل غير المختص ، وقدم استقالته ، وترك شئون سوق الخضار للضباط الذين استولوا على اختصاص وزارة التموين .

وكان صلاح سالم مناصرا لمواقف جمال عبد الناصر على طول الخط . خاصة في مواقف تعنيف محمد نجيب . ولعب دورا في أزمة مارس وتثبيت وضع العسكريين .

وكان له اليد الطولى في أفول نجم نجيب ، وبزوغ نجم عبد الناصر ، وكان نشطا في مجال إيفاده للقاءات الدبلوماسية ، وإعلان التصريحات وكانت تعليقات عبد الناصر على تصرفات صلاح سالم لاتنطوي على الرضا ، فهو لم يكن يعتبره (بتاع شغل !) ، أي أنه غير قادر على التنفيذ وتحمل المشقات ، بل إنه يحب الكلام ويحسنه ، ولايقوى على العمل ولايطيقه . حيث كلفه عبد الناصر وقت أن كان وزيرا للإرشاد القومي ، ومسئولا عن المسارح والفنون ، أن يتبنى الفن القومي المصري ، وأن ينشيء فرقة فنون شعبية ، ولكنه وعد بذلك ، ولم يفعل شيئا ، مما أعطى انطباعا (بأنه مش بتاع شغل) . وعين صلاح سالم وزيرا لشئون السودان إلى جانب وزارة الإرشاد القومي .

وتصادف أنه ولد في السودان لأب كان يعمل موظفا بها ؛ لتسند له الثورة معالجة مسألة السودان التي قضى فيها طفولته وصباه ، وقد أمضى سنواتهما بين ربوعه ، وفوق جباله الملاصقة للبحر الأحمر بين قبائل الهدندوة ، فأحب السودان وعشق السودانيين وتشيع لقضيتهم .

وعاد مع أسرته ليقيم والده في الحلمية ويلتحق بالكلية الحربية ، وقرأ عن الثورة العرابية ، وتمنى أن يؤدي دور أبطالها ؛ لكي يواجه السجن أو النفي أو النصر ، لتحقيق أهداف ثورية لصالح الطبقات الشعبية .

وتجاوبت المبادئ التي دعا إليها جمال في نفس هذا الثائر الشاب ، وكان من أشد المتحمسين لها ، الباذلين الكثير في سبيل تحقيقها وتعميمها ، وفي هذه الأثناء ، رأى أن يكمل ثقافته العسكرية فالتحق بكلية أركان حرب وتخرج فيها فكان أصغر رتبة تنال هذه الدرجة العسكرية .

واشترك في حرب فلسطين ، ومات بين يديه البطل أحمد عبد العزيز الفدائي المصري الذي هجر المناصب العسكرية المرموقة ، وتطوع اختياريا في تلك الحرب ، ثم واصل صلاح سالم دوره في الثورة في قطاع غزة وسيناء .

وفي سماء الثورة التي فرضت نفسها فجر اليوم الثالث والعشرين من يوليو سنة

1952 ، ويوما بعد يوم وشهرا بعد آخر ، بدأ نجم صلاح سالم يرتفع ويتألق ، وأضحى معروفا على الصعيد الشعبي على نحو لم يسبقه إليه أحد من زملائه في مجلس قيادة الثورة ، لكنه لم يستطع بحكم سنه ورتبته العسكرية وتجاربه مع الناس والحياة ، أن يحقق لنفسه شيئا من التوازن وتحكيم الإرادة أمام انبهار السلطة . واجتاح صلاح سالم سيل جارف من الزهو والخيلاء ، ومن خلال هذا الزهو وتلك الخيلاء ، كثرت أخطاؤه في حق نفسه ، وفي حق الآخرين ، مما حُسِبَ على الثورة نفسها ، وبينما هو يرى نفسه يرتفع كان في الحقيقة يجري بخطا واسعة على طريق السقوط .

وتأكيدا لعنف صلاح سالم ، وصعوبة أن يرده أحد من زملائه ، كان أول من هزه طرب السلطة فأنشأ علاقة عاطفية مع الأميرة فايزة أحمد فؤاد ، شقيقة الملك ، غريم الثورة ، وأحاطها بسياج الرعاية الثورية في قصة مطمورة السطور . وقد كان من أسباب غضب ضباط سلاح المدفعية تلك العلاقة التي كانت لصلاح سالم مع تلك الأميرة ، كمظهر من مظاهر استغلال السلطة ، وتحول الثائر إلى مغامر ، وكثيرا مادبرا اللقاء في الخارج ، ويسر لها إجراءات المصادرة .

وكان نجيب يحذر من المغامرات النسائية قائلا : إن الناس سيقولون عنا إننا أخرجنا ملكا واحدا ، لنتوج ثلاثة عشر ملكا ــ حيث كان رافضا لهذا السلوك .

فأنبرى بالرد عليه « إننا نسترد جزءا مما دفعناه لسنوات طويلة » . وتضاحك زملاؤه .

ولما ووجه بأنه يلعب الورق مع الأميرة فايزة في بيتها بالمعادي حتى مطلع الفجر ، كان رده : « أنا لم ألعب الورق سوى مرة واحدة في حياتي ، وبعدها تبت » . ثم حكى : (كنت وقتها ملازما أول ودعاني بعض الزملاء لمشاركتهم اللعب ، فلعبت وكسبت اثني عشر جنيها . وفي آخر السهرة وضعت ماكسبته في الجيب الأعلى لبدلتي العسكرية مع مرتبي الذي كنت قد قبضته صباح اليوم نفسه ، لأنه بالصدفة كان اليوم الأول من الشهر . وفي ذلك الوقت كنا نسكن في الدور الأول من بيت يقع في حي الحلمية القديمة ، وكان لهذا البيت بابان : أحدهما يفضي إلى الصالة ،

والثاني يفضي إلى الغرف الداخلية . دخلت البيت من باب الصالة ، وعند أول كرسي قابلني خلعت « جاكتتي » وعلقتها عليه ، ثم دخلت إلى غرفتي فخلعت بقية ملابسي ونمت . وفي الصباح اكتشفت أن لصا قد تسلل إلى البيت من باب الصالة الذى يبدو أنني لم أحكم إغلاقه ، وسرق من جيب « الجاكت » كل ما كسبته من لعب الورق في تلك الليلة ، ومعه مرتبي ، يعني أخذ الحرام والحلال معه ، لحظتها اعتبرت أن هذه إشارة لي من السماء بألا أعود إلى لعب الورق مرة أخرى ،، وبالفعل ذلك ماكان ..) .

واختص بمسئوليته عن القوات المسلحة بالجيش المصري بالسودان ، التي زارها عام 1954 ، وتفقد الأماكن التي عاش فيها طفلا وصبيا ، وهو وزير لشئون السودان فكان أكثر جهده في تسوية مسألة السودان . في معركة تقرير المصير ، استعدادا للاستفتاء هل تنضم لمصر أم لبريطانيا أم تستقل بشئونها ؟ في المرحلة الحاسمة لاستقلالها إبان وجود قوات الدولتين بها .

وقام بجولات في غابات السودان ، وأغدق الصرف ، ورقص رقصات القبائل في الغابات ، وسمي (الصاغ الراقص !) .

وكانت ميوله إلى جانب محمد نجيب ، تتجه نحو اتحاد السودان مع مصر ، وظل يحرج إنجلترا ، ويواجه مؤامرات رئيس وزرائها إيدن ، فنجح حزب الاتحاد الذي يؤيد الوحدة ، ومع ذلك استقلت السودان التي كانت جزءا من مصر ويهتف باسم ملكها في طوابير المدارس كل صباح ، بأن فاروق ملك مصر والسودان ، تسلمتها الثورة كذلك ليحررها مناخ الاستقلال عنا ولتخف معاناتنا منها .

وعندما وفد مع نجيب للسودان قبل الاستفتاء في رحلة إغراء للاتحاد بين مصر والسودان ، سمعا هتاف الجماهير : (لا مصرى ، ولا بريطاني ، السودان للسودان) بعكس ماكانا ذاهبين مهيئين لسماعه .

وتم الاستقلال وخروج الإنجليز من السودان مضطرين ، وتفرغ المصريون ليديروا معركة استقلال مصر عن بريطانيا .

فأعطى له المجلس إجازة مفتوحة لفشله في السودان ؛ ذلك لأن الصورة التى كان يعطيها للمجلس لم تكن تمثل الحقيقة ، بعد أن فض دور نجيب أخ السودان المشجع لها ، إلا أنه من جانبه قد اتهم المجلس بأن لأعضائه ميولا نحو إنهاء الاتحاد مع السودان .

وفي قمة أزمة السودان تصادم مع الجميع ، ولم يحرس في أقواله فحسبت عليه ، ففي عبد الناصر قال : (ده اللي عامل لي أحزاب داخل مجلس الثورة ، ومجمع كل شيء ومركزه تحت إيده) . ثم أخذ يفيق على انسحاب بساط السلطة من تحت قدميه ؛ ويدرك معنى أن يخبو الضوء ، ويصبح مواطنا عاديا لا يمارس التصريحات والسفريات . فأخذ يستفسر قلقا عن قبول استقالته ، وعمن حمل مسئولياته في ألم لايخفى ، ثم استطرد متهكما ومستهزئا بالأعضاء ، حاقدا عليهم ومطالبا إياهم (بأن يتنازلوا عن السلطة ، ويجيبوا هيئة تأسيسية لتحكم البلد) . وكأنه شمشون يهدم المعبد ؛ مما جعل الأعضاء يزكون عدم التعاون معه ، ويكرسون لتقاعده .

كما احتج بأن عبد الناصر يلف من الخلف على المناصب ليديرها بنفسه ، مدعيا بأنه أجهض مسئوليته عن الإذاعة والاستعلامات ، وتولاها عبد القادر حاتم دونه ، بمعرفة عبد الناصر ، وأنه يأخذ تعليماته منه مباشرة ، مع أنه وزيرها ، كما لو كانت مصلحة الاستعلامات هذه وزارة مستقلة بنفسها . وكان آخر مطالبه تسوية معاشه ، والاحتفاظ بمسكنه في قشلاق العباسية وأن يسمح لأسرته بالبقاء المؤقت في استراحة القناطر الخيرية ، وأن يدفع عنه ثمن الوجبات وأن يمنع الناس عن زيارته ، مدعيا بأن لسانه فالت ، وبأنه ربما قد يتسبب في الضرر للغير ، وأنه لايرغب في قيام زملائه بزيارته ، باستثناء البغدادي وحسن إبراهيم .

وكان صلاح سالم قد تورط بالإعلان للصحفيين عن شراء أسلحة من الاتحاد السوفيتي معرضا مصر لمشاكل مع الغرب قبل الإعلان عنها .

وفي اجتماع مجلس قيادة الثورة للنظر في استقالة صلاح سالم في أثناء غياب أخيه خارج مصر ، اتفقت الأغلبية ، على عدم القدرة على التعاون معه لحدته معهم ،

وعنفه تجاههم ، واتهامه لبعض الأعضاء بالتآمر ضد الاتحاد مع السودان ، وتكرار استهزائه وسخريته من زملائه الأعضاء .

وبعد قبول استقالته من المجلس ومن السلطة التنفيذية ، أجيبت مطالبه في تسوية معاشه كوزير ، وإقامته المؤقته باستراحة القناطر الخيرية ، مع ترك مسكنه بقشلاق العباسية ليسكن بالمدينة خارج المعسكر . وقد رأى أخوه جمال سالم بعد عودته من الخارج ، ألا يربط بين الأخوة والمصلحة العامة ، وأشار إلى أنه يشرف عائلة سالم تضحية صلاح بالاستقالة .

ودمر صلاح سالم كل الجسور التي كانت ممتدة بينه وبين رفقاء العمر « وبسرعة الرعونة انحدر من القمة إلى السفح » ، بعد أن كان من ألمع رجال الثورة .

ولم يكن صلاح سالم غبيا ، فقد كان متوقد الذكاء ، وبسبب هذا الذكاء المتوقد ، جاء السقوط السريع ، إذ كان يعتقد بينه وبين نفسه أنه أشد زملائه ذكاء ، وأكثرهم قدرة على مخاطبة الجماهير ، ولقد ساقت له الظروف مواقف ، نجح فيها وتألق ، وكان من شأن هذا النجاح أنه أشعل لديه إحساسا هائلا بالتميز عنهم ، فكثر تندره عليهم ، وكثرت سخريته منهم ، والتهكم عليهم في غيابهم ، بل وفي حضورهم أيضا .

ولأن صلاح سالم كان سريع الغضب ، فقد كان شديد الفوران ، ولعصبيته الظاهرة ، فلقد كثرت أخطاؤه على المستوى الشخصي ، وعلى المستوى العام ، وراح يفقد كل يوم صديقا أو زميلا ، فكثر أعداؤه في ملحمة السباق للتصدر .

زاره الأستاذ حلمي سلام الصحفي بعد أن انحسرت من حوله الأضواء ، فوجده في بيته في الزمالك مهموما فشكا له منفجرا قائلا : أعضاء مجلس الثورة قربوا يجننوني ، تتصور ابنتي جتني النهاردة ومعها كتاب (التربية القومية) المقرر عليها ، وسألتني : (إنت يا بابا موش كنت عضو في هيئة المفاوضات التي عملت اتفاقية مع الإنجليز ؟) أجبت ابنتي : (طبعا كنت) . فقالت : (طيب ليه مش كاتبين اسمك في الكتاب مع بقية أسماء زملائك الذين وقعوا على الاتفاقية ؟) . واستطرد ،

أخذت الكتاب من يد ابنتي ، ورحت أنظر فيه ، وأنا لا أكاد أصدق عيني ، ألهذا الحد يمكن أن تصل الأمور بهم لحذف اسمي من صفحات التاريخ ؟ . فقال له الأستاذ حلمي سلام : (خفف عن نفسك ، فهل أعضاء مجلس قيادة الثورة هم الذين يراجعون كتب التاريخ . ثم إن التاريخ له صفحات عديدة غير هذه) . وقد عرض عليه كتابا كان قد أتى به ، كتبه الأستاذ عبد الرحمن الرافعي المؤرخ ، وسجل فيه أن صلاح سالم ضمن أعضاء وفد المفاوضات . وتهلل صلاح سالم كأنه بعث للتاريخ ! .

واختفى صلاح سالم من الحياة السياسية العامة ، إلى أن جاء عدوان 56 من بريطانيا وفرنسا ، وإسرائيل ، ودقت طبول الحرب في غير استعداد ، فأراد أن يلعب دورا يحيي مركزه ، فحضر صلاح سالم إلى القيادة واجتمع بأعضاء الثورة ؛ ودعاهم لأن يجنبوا البلاد ويلات الحرب والتدمير . واقترح أن يعلنوا بيانا للشعب ؛ يخبرونه فيه بأن المصلحة تستدعي تجنب البلاد الدمار والخراب ، وإعلان وقف القتال والاستسلام ، وطالبهم بتسليم أنفسهم للسفير الإنجليزي (ترفليان) . فاحتج عليه عبد الناصر والبغدادى ؛ قائلين له : بأن الأشرف لهم الانتحار عما يدعوهم إليه ، دون تسليم أنفسهم للعدو في جبن .

وظل صلاح سالم يتردد على القيادة ، ويملي عليها أسلوب سير دفة الحرب عام 1956 ، مما أثار جمال عبد الناصر ، وطلب منه عدم التدخل . وأمره بالتوجه إلى السويس للدفاع عنها ، والكف عن الإيعاز لعبد الحكيم بالتسليم ووقف القتال . وعدم دس أنفه في تسيير دفة المعركة . وعنف عبد الحكيم للسماح له بالمشاركة وتنفيذ اقتراحاته ، فاحتج عبد الحكيم بألا أحد يسيره ، وعلى عبد الناصر أن يدير المعركة إن أراد .

وتوارى صلاح سالم بعد ذلك بعيدا ، إلى أن سمح له جمال عبد الناصر بعد فترة الانكماش والترويض ، بأن أعطى له منصبا فكريا ، وثبته كاتبا بالتعيين ، رئيسا لجريدة الشعب ، ثم صحف دار التحرير والجمهورية . فخلع الكاكي ، وتقلد قلم الصحافة . وكتب إبان حرب تأميم القناة 1956 :

(أقول : إن شعورا غريبا بدأ ينتابني ، ولم أعد أشعر بأن مهنتي هي الصحافة أو أن مهنتي تدبيج المقالات ، فقضيتنا هذه في غير حاجة إلى أسلوب المحاماة ، ولا إلى قضاة ، وإلا لكانت قد حلت في ثوان معدودات ، ولكنها قضية إرهاب ، قضية استعمار يريد أن يقفز من جديد ، وأن يحيا من جديد ، بعد أن كدنا نواريه التراب . قضية تحكم قوي في ضعيف ، تذكرت إني ضابط بالجيش ، وما كنت قد نسيت هذه الحقيقة قط ، وانتابني شعور جارف لكي أعمل في صفوف الجندية ، شعرت بأن وطني في حاجة الآن لحامل السلاح أكثر من حاجته إلى حامل القلم) .

وقد وافاه الأجل قبل شقيقه جمال سالم ، ذلك الذي أعقبه في ترك السلطة كما أعقبه إلى الدار الآخرة .

نعاه الدكتور طه حسين قائلا :

(وقد عرفت صلاح سالم كما عرفه المصريون جميعا من بعد ، حين شبت الثورة ، فإذا هو أحد جذواتها المضطرمة التي كانت تزداد في كل يوم ذكاء . وأحد ألسنتها المنطلقة التي كانت تزداد في كل يوم انطلاقا بما يحلو وما يمر ، وبما يسوء وما يسر ، كان من أبرع خطباء الثورة في تقريب الآمال إلى القلوب ، وإحياء الرجاء في النفوس ، وإذكاء نار الثورة في الضمائر ، وكان جده مرا أشد المرارة . كذلك كانت دعابته حلوة إلى أقصى غايات الحلاوة ، وكان أبرع زملائه في السخرية من النظام القديم ، وفي إثارة الضحك من ساسة ذلك النظام ، وكان جده صارما في مرارته ، وكانت فكاهته قاسية في حلاوتها ، وكان أشد مايكون إثارة للمرح والضحك حين يعبث بساسة العهد الماضي ، يقلد بعضهم تقليدا رائعا ، ويصور بعضهم تصويرا صادقا ، وكان في الوقت نفسه مروعا مثيرا للخوف والرعب ، حين ينذر المتنكرين للثورة ويوعدهم أقسى الوعيد وأعنفه ، وكان في أثناء هذا كله حركة لاتعرف السكون ، ونشاطا لايعرف الهدوء ، واندفاعا لايعرف الأناة ، تراه في القاهرة مصبحا ، وفي السودان ممسيا ، وتراه متنقلا في البلاد العربية مصورا لأهلها حين يعود إلى وطنه ولزعمائها السياسيين ، أروع تصوير وأصدقه)

ونعاه مصطفي أمين قائلا :

(تألق كالنجم ، وهوى كالشهاب . عشت معه والأنوار تتسلط عليه ، وعشت معه والأضواء تحجب من حوله وتموت ، حاربته وأحببته ، رأيته يثور كالبركان ويتحمل كالجبل ، يهدر كالأسد الكاسر ويرق كالعصفور الجميل ، لكني لم أعرفه على حقيقته إلا وهو مجرد من المنصب والسلطان) .

وكانت آخر كلماته :

(إن كل شيء في حياتي قصير ، إن مجدي كان قصيرا ، وعملي الصحفي كان قصيرا ، وأشعر أيضا أن عمري سيكون قصيرا) .

وقد أطلق اسمه على أكبر شوارع مدينة القاهرة ؛ إنه شارع صلاح سالم الذي يشق القاهرة ليصل مابين مصر القديمة ومصر الجديدة .





جمال سالم

وتدور عجلة التاريخ إلى أن جاء قتال 1956 ، على أثر تأميم قنال السويس . وحسم التشرذم لصالح جمال عبد الناصر حيث لمعته المعركة ، وتألقت اتصالاته بزعماء العالم ، وانسحرت الجماهير ببلاغة قوله ، فما ترك منبرا في مصر إلا وصعده حتى منبر الجامع الأزهر مناديا : سنقاتل ، سنقاتل ، سنقاتل .

ولما كان ذلك القتال بغير سلاح ، وأمام بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، إلى أن ساعدنا الحظ بتكاتف القوتين العظميين « بولجانين » الاتحاد السوفيتي « وأيزنهاور » أمريكا ، وأمرا بأطراف أصابعهما تابعيهم بحرث أرض الاحتلال والعودة حفاظا على موازين القوى في الشرق الأوسط . ورحلت آخر ذيول اتفاقية الجلاء ، ويممنا وجهنا شطر الشرق .

ووضع عبد الناصر يده في يد تيتو ونهرو وسوكارنو ، فزاد الوهج ، وانفرد بتحريك الدمي ، وتفرد دون المجموعة بالزعامة ، حيث كان هو أكثرهم استغراقا في السياسة ، ويعف عن النساء والفخفخة ، وتقدم أقرانه ، وتفرد برسم قوائم السلطة ، وأدخل عناصر جديدة من الصفوف التالية ، عوضا عن المستبعدين .

وخلع الثوار الكاكي ، وكان أول مناصب عبد الناصر وزيرا للداخلية ، ثم نائبا لرئيس مجلس القيادة ، ثم نائبا لرئيس مجلس الوزراء اللواء محمد نجيب . ثم جمع بين رئاسة القيادة ورئاسة الوزراء ، ثم رئيسا للجمهورية 1956 مؤسسا الجمهورية الثانية .

وبدأ الجميع يصيرون أركان حربه ، واختفت معاملة الندية ، وأخذ الثوار يزهون في الملابس المدنية الأنيقة ، وتدلت أربطة العنق السولكا ، وشيدت الفيللات في شارع الثورة بالعجوزة .

وقد كان واضحا منذ البداية ، أن العسكريين من الوزراء الأعضاء في المجلس هم « الوزراء الأول » ، فهم الأكثر دراية وخبرة واختلاطا بعبد الناصر ، وهم رؤساء اللجان الوزارية ، وهم الذين يستطيعون أن يكونوا - من خلال تلك اللجان - مصدرا للراحة أو المتاعب للوزراء المدنيين .

والواقع أن الوزير المدني كان أقرب إلى الوزير الثاني ، إلا أن عبد الناصر قد لاحظ ذلك ، وكان يشجع الوزراء المدنيين أو الفنيين على المبادرة للمناقشات .

وتقلد الثوار الوزارات المدنية ؛ البغدادي الحربية ، ثم البلدية والقروية . جمال سالم المواصلات ، كمال الدين حسين التعليم والشئون الاجتماعية . زكريا محيي الدين الداخلية . حسن إبراهيم شئون رئاسة الجمهورية . عبد الحكيم عامر القيادة العامة .

وهنا ظلت فرازة الأطماع تعمل بمثابرة ، وزارات تشكل ووزارات تلغى تبعا لمواسم الحصاد والخلاص ممن (أينعت رءوسهم وحان قطافها) ، كقولة الحجاج ابن يوسف الثقفي ؛ أحد الولاة ، جلادي الخليفة في عصر الخلافة الأموية .

ففي دائرة أكل الثورة لرجالها وتصفية مراكز من يقع منهم ، انكمش عدد من بالسلطة ، وأصبح الجوكر الوحيد هو من تقلد منصب رئيس الجمهورية ، بلا انتخاب جماهيري ، وكأنه إرث ملكي بلا توريث ، طأطأ له الجميع إجبارا خشية الاستبعاد ، فكان أحد ضحايا تلك المرحلة غير المتكافئة الندية ، هو قائد الجناح جمال سالم . وذلك بعد أن أصبحت كل نياشين السلطة على كتف جمال عبد الناصر وحده . ولم يعد يكبح جماحه أي صوت مهما علا لبعد المنافسة بين الرئيس والأعضاء . وابتلعت الثورة جمال سالم ، ذلك الضابط حاد الفعل واللسان ، الذي كان لايتورع عن أن يضرب بلسانه وقدمه أي هامة مرفوعة ، وكثيرا ماسبّ الجميع ، ولم يسلم محمد نجيب وعبد الناصر من نيران صراخه .

ففي بداية الثورة ، أثار نجيب موضوع خلاف قائلا : (.. لقد اتفقت أنا وجمال عبد الناصر على ذلك) ، فانبرى جمال سالم هائجا قائلا : (.. ولما اتفقتم ، أمال جايبينا تتفرجوا علينا ، دي ثورة مش عزبة أبوكم ! هاتوا بقى نبصم على مااتفقتم عليه) ! .

وكان جمال سالم بحق طوربيدا متفجرا ، وشوكة في حلق من يريد أن يتصدر الزعامة بلا منازع ، خاطب محمد نجيب مرة ساخرا (... أهلا سي ميرابو شرفت يا سي ميرابو) وكان ذلك على أثر حديث نجيب للصحافة حديثا ديمقراطيا .

وكان ميرابوا هذا من له شرف التعرض لفرقة من الجند ، كلفوا بطرد ممثلي الشعب من الجمعية الوطنية الفرنسية قائلا : (.. نحن هنا بإرادة الشعب ، ولن نخرج إلا على أسنة الرماح) فدوت مقولته في التاريخ ، وصارت صيحة لتمسك نواب الشعب وثباتهم أمام أي سلطة ديكتاتورية .

وتزعم جمال سالم فكرة قتل الملك ، بدلا من تركه يسافر منفيا خارج مصر ، وكان من رأيه محاكمته على جرائمه التي ارتكبها في حق مصر وفلسطين عام 48 ، وكان يحرض زملاءه للانتقام منه .

وكان جمال سالم عصبيا يفجر في كل خطوة موقفا . حدث إبان وداع الملك فاروق في 26 يوليو 1956 في أثناء إبحار الباخرة المحروسة بالإسكندرية ، وحيث كانت تقف مجموعة من مندوبي القيادة ، تأكيدا لرحيل الملك ، ليبدأ بعده حفل شروق شموسهم – حدث أن كان جمال سالم يتأبط عصا الماريشالية ، فلفت ذلك نظر الملك المخلوع بتخدير أنه وإن كان ذاهبا لعالم النسيان ، إلا أن هناك وعدا ثوريا بأن طفله أحمد فؤاد سيصير وليا للعهد في الظل إلى أن يبلغ سن الرشد ، وذلك في أمانة مجلس الوصاية المشكل تخديرا ، قبل إجراء عملية البتر الكلي لزوائد الملكية ، التي أصابتها خلايا السرطان التي لاشفاء لها منه .

ولكن أبى الملك الجريح في لحظات النزع الأخير لغروب ملكه ، إلا أن يستأسد ، فصدر من الملك احتجاج لذلك الضابط الذي يقف في زهو النصر متأبطا عصاه

خلافا لبروتوكول اصطفاف الضباط في حضرة الملك ، الذي كان قائدا أعلى للجيش قبل ساعات التنازل .

ووجه الملك كلاما لذلك الضابط الذي كان مايزال مجهول المنصب مغمورا ، بأن يخلي يده من عصاه العسكرية . فحاول جمال سالم أن يعترض ، فمنعه اللواء محمد نجيب من الاعتراض ، فاستجاب في صورة من الصمت واللامبالاة .

وكان جمال سالم من أنصار تحديد الملكية الزراعية . يقول المهندس سيد مرعي وزير الزراعة والإصلاح الزراعي في كتابه « أوراق سياسية » عن انطباعه عن شخصية جمال سالم حيث شاركه العمل فترة ، وكان كثير الاحتكاك به :

(لا أستطيع أن أتكلم عن جمال سالم بغير أن أتكلم في الوقت نفسه عن الطبيعة البشرية في صورة من صورها ، حينما يصبح منتهى العنف ومنتهى الرقة : وجهان لعملة واحدة ! وأقصى الانفعال ، وأقصى الهدوء جانبان لشخصية واحدة ، ومنتهى الإخلاص ومنتهى التمرد ، انفعالات متتابعة في شخصية واحدة ، هي شخصية جمال سالم !) . ويستطرد : (كان جمال سالم يعتبر الإصلاح الزراعي مسألة حياة أو موت بالنسبة له ، ولذلك كان يقف بكل جهده وتفكيره وراء خطواته . وكان يضع نفسه في موقف التحدي المستمر من كل المشاكل والصعاب حتى لايفشل هذا الإنجاز الثوري العظيم .

وقد كان التعاون مخلصا ووثيقا بيننا من أجل هذه الغاية ، وقد كانت شخصية جمال سالم تتسم بالعنف الثوري ، ولكنها كانت تحمل في ثناياها مزيجا من الإنسانية الشفافة ، والرجولة الحقة . وبحكم عملنا معا في الإصلاح الزراعي ، وتداخل المسئوليات ، فقد اقتربت كثيرا من هذا الرجل ، ونفذت إلى داخله ، وتفهمت طريقته في التفكير وأسلوبه في العمل ، وقد كان الرئيس جمال عبد الناصر يسألني باستمرار : كيف استطعت ترويض جمال سالم ؟ وكيف تمكنت من التعامل معه ؟ والواقع أنني لم أجد صعوبة في ذلك ، فقد كان يعطي الثقة الكاملة لمن يتعاون معه ، وكان يقف إلى جانبهم ويساعدهم إلى غير ماحدود . حقيقة إنه لم يكن

أحد يدري متى يغضب ، ومتى يثور ، وحقيقة إنه كان مندفعا في انفعاله ، ولكنه في الوقت نفسه كان يتميز بملامح أخلاقية تجعل من الممكن تحديد أسلوب التعامل معه .

كان جمال سالم شعلة من الذكاء المتوقد ، وكانت ذاكرته لاتنسى صغيرة ولا كبيرة ، بل تصل إلى أدق التفاصيل وأصعب الأرقام .

وقد كان صريحا واضحا كالخط المستقيم ، وربما كان هذا الوضوح المطلق ، والمجرد من تزويق الدبلوماسية هو سبب الصدام المستمر بينه وبين الكثيرين من أعضاء مجلس الثورة ، وفي مقدمتهم جمال عبد الناصر نفسه .

وكانت هناك سمة بارزة في جمال سالم ، أنه سريع الفهم ، سريع الحسم ، وكان يعجبني فيه أنه ملتزم بقرارته ، لايهم أن تكون مكتوبة أو شفهية ، المهم أن يكون قد اقتنع بها واتخذها على مسئوليته ، ولايمكن أن يتراجع في أي قرار مهما كان السبب).

وهناك واقعة في دفاتر المهندس سيد مرعي ، تكشف أبعاد شخصية جمال سالم المتغيرة .

فقد كان جمال سالم وزيرا للمواصلات ، وكان يتولى في الوقت نفسه شئون الإصلاح الزراعي ، وأثناء أحد الاجتماعات مع المهندس سيد مرعي ، سُمِعَت جلبة وضوضاء في فناء الوزارة ، وسمع رجلا يصرخ في انفعال متكرر : « يحيا اللواء محمد نجيب ، يسقط الظلم ، أنا مظلوم » وتوقف الحديث ، وقلت لجمال سالم أن يتبين مظلمة الرجل ، ويصنع له شيئا ، وقد كان الضيق قد بدأ يظهر على جمال سالم ، وقال لاتشغل بالك ، السكرتارية ستتولى أمره ، ولكن صراخ الرجل أخذ يزداد وصوته أخذ يعلو أكثر . ولم تحتمل أعصاب جمال سالم أكثر من ذلك وتقلصت ملامحه ، وارتعشت يداه ، ودق الجرس بعنف ، وطلب السكرتير أن يحضر ذلك الرجل الذي يصيح . وقد تصورت أنه يريد أن يعرف مشكلة الرجل ليحلها ، ودخل الرجل البسيط الملبس ، البائس المظهر ، العصبي الحركات ، وقدم مذكرة بمظلمته

يطلب عملا . وكان هناك تأشيرة على المذكرة موجهة من اللواء محمد نجيب ، إلى جمال سالم ، ولم يكد جمال سالم يقرأ التأشيرة ، حتى ثار فجأة وصاح غاضبا في الرجل (هي الوساطات دي مش حاتنتهي ، وهو احنا قمنا بالثورة علشان الوساطات تستمر برضه) . وقد قام هائجا من مكانه ، وأمسك بالرجل من رقبته ، وانهال عليه ضربا بقسوة وعنف ، واصطدم الرجل بالباب ، ووقع على الأرض ، وأخذ يبكي من الألم ، ويقول سيد مرعي : وشعرت بالقرف من هذا المنظر الغريب ، واقشعر بدني من منظر الضرب المبرح ، ولم أحاول التدخل خشية أن يتطور الموقف إلى أسوأ .

وكنت في حالة عصبية شديدة لما حدث ، وانتفضت واقفا ، وجمعت أوراقي ، وقمت مغادرا المكتب ، وكان جمال سالم ممتقع الوجه ، مرتعش الأطراف ، فقلت له : أرى أن نكتفي بهذا القدر من العمل ، لأني لا أستطيع العمل بعد الذي جرى أمامي . وقال جمال سالم بضيق : مادخلك أنت في ذلك ؟ ويقول سيد مرعي : وجدت نفسي انفجر بما يؤلمني قائلا : إن ما حدث اليوم في مكتب الوزير ، ماكان يحدث أبدا أيام الأحزاب ، ولم أتوقف ومضيت أقول محتدا : إنكم تقولون : إن الثورة قد قامت لتحافظ على كرامة الإنسان ، أين هي هذه الكرامة التي أهدرتها لمجرد أن رجلا قد قدم على شكوى من بؤسه وفقره ، فتضربه بهذه القسوة . ماذنبه في تأشيرة اللواء نجيب ؟! .

فرد جمال سالم غاضبا : هل تريد أن تسير البلد على كيفك ؟ أنت تعمل في الإصلاح الزراعي ، ولاشأن لك بهذا . فقلت له : « أنا لن أستمر في العمل معك ، ولن أمكث ولا دقيقة واحدة ، والإصلاح الزراعي لايمكن أن يسير بهذا الأسلوب الدكتاتوري ، أنا أكره الظلم ، ولا أطيق التعاون مع أي ظالم » .

وغادر سيد مرعي المكتب على الفور ، ويقول : إن الرجل الشاكي قد رآه خارجا فأخذ يبكي ، فطيب خاطره ، وأخذه معه في سيارته ، وطلب منه أن يحضر إلى مكتبه في الإصلاح الزراعي في اليوم التالي ، وعينه كاتبا في الأرشيف بمرتب 15 جنيه ، ولم يستأذن جمال سالم .

وعلم جمال سالم ، واستدعى الرجل ، وطيب خاطره ، وأعطى له من جيبه عشرة جنيهات ، وقال له : أنا متأسف ، سامحني واقبل مني المبلغ ، فرفض الرجل أن يمد يده ليصافحه أو يتقبل المبلغ ، وتدخلت للإصلاح بينهما ، وناولت المبلغ للرجل ، وطلبت منه أن ينسى ماحدث ويصافح جمال سالم ، ومن يومها أصبح الرجل صديقا لعضو مجلس قيادة الثورة ، وتفانى في خدمته ، حتى بعد أن خرج من الحكم ، واعتزل الحياة السياسية .

فهكذا كانت طبيعته ، وهكذا كان يندفع في الغضب إلى غير حدود ، ثم يعتذر ويصفو ، واستطرد : فقد كان السبب الذي يدفعه للانفعال السريع أنه كان مريضا بآلام في المعدة ، تؤثر على جهازه العصبي ، يتحامل على نفسه في العمل ، ويبذل مافوق طاقته ، وينام ساعات قليلة ، وكان يرهق نفسه بشكل خطير كما لو كان في سباق مع الزمن ، مع أنه يشكو أيضا بسبب عمليات جراحية في عموده الفقري ، لسقوطه بطائرة حيث كان طيارا قبل الثورة .

ومن مظاهر عنف وعصبية جمال سالم ، أنه رفض مع زكريا محيي الدين أداء اليمين الدستورية لتوليه الوزارة ، أمام رئيس مجلس الوزراء اللواء محمد نجيب . كما أنه أراد أن يتدخل ذات مرة في شئون بورصة القطن ، بحجة غياب وزير المالية دكتور عبد الجليل العمري ، فاعترض الوزير في حزم وأنذر بتقديم استقالته .

واستثمارا لعنفه الشخصي والثوري ، فقد تصدر لرئاسة محاكمات جماعات (الإخوان المسلمون) ، وكانت جلسات محاكماته مليئة بالسخرية ، حتى من القرآن الكريم !! وهناك واقعة مدونة ، بأنه قد طلب من أحد أعضاء جماعة (الإخوان المسلمون) الماثلين للمحاكمة ، في معرض استجوابه ، أن يقرأ سورة الفاتحة بالمقلوب ! .

وأثناء وجود عبد الناصر في الخارج ، أثناء تولي جمال سالم وزارة الإصلاح الزراعي ، أجرى جمال سالم التحقيق مع خليل عبد الناصر ، عم جمال عبد الناصر لتدخله لصالح إحدى الشركات . فتضايق عبد الناصر . فقال له جمال سالم : إنه

بذلك يحميه ، ولكنه أسرها في نفسه طويلا .

وتقلد جمال سالم وزارة المواصلات ، وكان متوقعا أن يخرج بطبيعته عن كل تقليد ، فكان يفاجئ وسائل المواصلات ، وكان يداهم مكاتب التليفون والتلغراف ، ويراقب معاملتهم ، ويستعمل يديه ولسانه في التعامل معهم عند كل مضايقة للجمهور .

أما عن ظروف إنهاء علاقته بالحياة السياسية ، كعضو مجلس قيادة الثورة وكوزير للمواصلات ، فقد جاء ذلك تحديدا بتوضيح جمال عبد الناصر كالآتي :
(جمال سالم قرفني ، وسود يومي ، فقد عرضت عليه الدخول في الوزارة قبل التعديل وقد كان غاضبا قبلها لعدة أمور كثيرة ، أخذها على أسلوب الحكم ، فحاولت أن أزحزحه عن موقفه ، وأن نقترب بعضنا من بعض ، لكنه زاد بعدا وزاد هجومه عليَّ ونقده عنفا ، ولكني صبرت ، فلما أوشك التعديل الوزاري على الإتمام ، وعاودت الاتصال به فإذا هو يرفض مجرد الكلام في الاشتراك في الوزارة بعنف حاسم فقررت ألا أتجاوز هذه المحاولة على مضض ، وعرف بغدادي وحسن إبراهيم بأن الوزارة ستعدل ، وأن جمال سالم لن يكون من بين أعضائها ، فكبر عليهما ذلك ، وراحا يلحان على جمال سالم ليعدل عن قراره ، وبعد أن فرغت تماما من إجراءات التعديل وتحدد يوم لأداء اليمين ، جاءني بغدادي وحسن إبراهيم ، وأعلناني بقبوله دخول الوزارة ، فقلت لهما : لكني أرفض أن يدخلها ، فنحن لانعبث ، لقد رجوته وأطلت صبري عليه ، وهذا يكفي .

وقد كان رفضه قائما على أنه يختلف معي في المبادئ لا في التطبيق ، فما الذي حدث حتى يرضى عني وعن أسلوبي ؟! .

واستطرد : قد تكونان ورطتماه في الإلحاح عليه في الاشتراك رأبا للصدع ، ولكني متأكد أنه قد تتكرر أزمات غضبه ورفضه ، بعد دخول الوزارة فيكون ذلك أدعى للانشقاق وتوسيع الخلاف) .

ولما استرخت غزالة جمال سالم ، واستراح في هدوء ، فتح قلبه للمهندس سيد

مرعي شاكيا في محاولته إرجاء الأمور بعض الوقت ، حتى يرجع لعبد الناصر ويأخذ رأيه ، ويحصل على موافقته ، قائلا له :

« ...إن عبد الناصر يريد الانفراد بالسلطة ، ويعمل على تصفية مجلس قيادة الثورة » وظل دوره ينحسر بالتدرج ، وسلطة المجموع تتلاشى ! .

وعندما ذهب وهو في الظل لزيارة عبد الحكيم عامر ، وهو في منتجعه للاعتكاف الإجباري على أثر هزيمة 1967 بشقته على نيل الجيزة ، يحوطه الأنصار المطالبون بعودته لمناصب الجيش ، عاتب عبد الحكيم عامر أنه لم يعترض عندما استبعد عبد الناصر زملاءه ؛ مما أدى لأن يستدير بعد أن طابت أسنانه ليفترس الباقين .

وقال جمال سالم لعبد الحكيم عامر : إنه لايزوره ليزيد من حدة الخلاف ، ولا ليعمل على عودة الصفاء بينهما الذي كان نكبة على البلاد ، إنه يزوره لأنه رجل طيب ، ويعرف أن أخطاءه عابرة في حياته ، وليست أصيلة في نفسه .

وقال له : أنت ياعبد الحكيم لاتعرف الحقد ولا الحسد ، وليس في نفسك غل على أحد ، وقد عرفتك وفهمتك وعاشرتك ، فأين ذهبت مروءتك وشهامتك ، فتركت صاحبك عبد الناصر يأكلنا واحدا وراء الآخر ، وقد حذرتك بأنه سيأكلك إن عاجلا أو آجلا ، فكيف رضيت وكيف تأمن لمن لايترفع عن أسلوب الإذلال لزملائه ورفاق السلاح والنضال ، الذين رفعوه وكرموه ، وقد كنت أقوى من ساعده ضد كل المستبعدين ، وإنك لو كنت قد وقفت معنا لما كان قد حدث لنا كل ذلك . ثم استطرد : ياعبد الحكيم مافيش قدامك النهاردة غير الندم والتوبة والعودة إلى رحاب الله ، تطلب المغفرة والرحمة ورضا الله .

كما قال جمال سالم : إنه قد عكف على العبادة وحفظ القرآن وتفسيره ، وأنه يبحث عن الألم يطهر به نفسه ، وقال : إنه أصيب بخراج في ذراعه ، وحاول الطبيب أن يعطيه حقنة بنج لكي يفتحه ، فأصر على أن يفتحه ويعالجه بدون بنج ، حتى يشعر بالألم الذي يفرشه في طريق التوبة والندم .

وفعلا صُفّي عبد الحكيم عامر عقب هذا اللقاء على أثر هزيمة 67 مما سيأتي

تفصيله في مجال عرض دوره في انشقاق الثوار .

ولم يكن لجمال سالم من سلوى بعد استبعاده سوى سفح الدموع والمثابرة على أداء واجب المواساة والعزاء ، دون أي اتصال بزملائه الذين على رأس الحكم .

فبعد خروج مصطفى أخي المشير عبد الحكيم عامر من المعتقل على أثر وفاة عبد الحكيم عامر وزيارته لجمال سالم ، وأثناء رقاده بالمستشفى في ظروف مرضه الأخير ، طلب جمال سالم من الموجودين أن يترك وحده مع أخي صديقه وزميله عبد الحكيم .

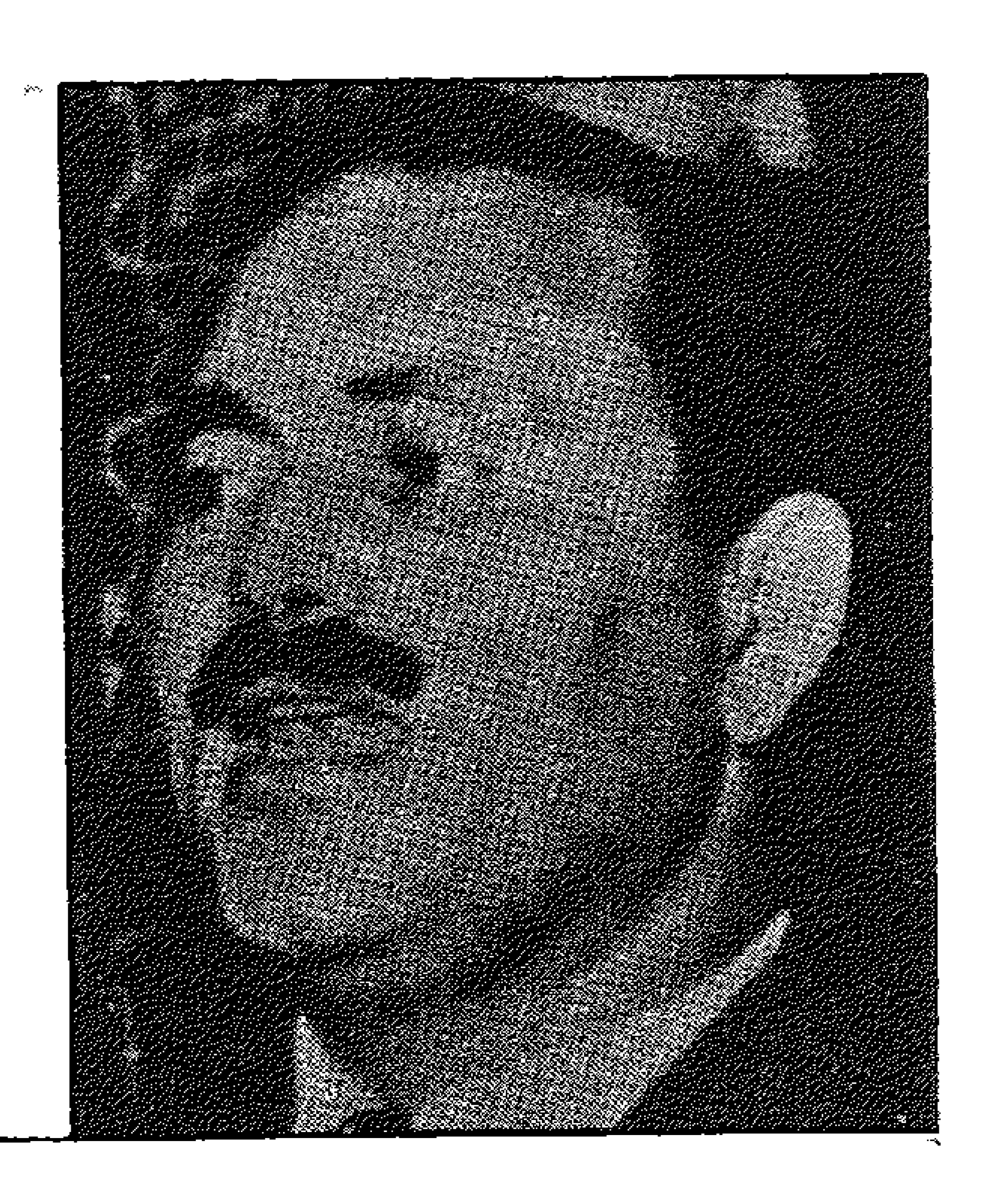
وظل جمال سالم يبكي في ذلك اللقاء عبد الحكيم عامر ، ثم استطرد قائلا لزائره : (لقد كان يرحمه الله طيبا ، وسنتقابل في الآخرة عما قريب) . وابتسم في مرارة عندما طمأنه الزائر على صحته وقال له : أبدا ، أنا متأكد من الموت ، وإني سعيد به ، وقال له : لقد زاد تأكدي عندما زارني عبد الناصر ، فمستحيل أن يزورني إلا لأنه سيكسب سمعة الوفاء ، وأنه واثق أني لن أعيش ، وسيسير في جنازتي . لكن أنا (لاكنت عايزه يزورني ، ولاحتي يمشي في جنازتي) .

وعندما زاره محمد نجيب معزيا في وفاة شقيقه صلاح سالم ، ثم زاره عندما سقط مريضا ، ذهل جمال سالم ، ونظر إلى محمد نجيب مستنكرا ، بعد أن غيرت نجيب الأيام الطويلة لاعتقاله في منزل ضاحية المرج . قائلا : أنت محمد نجيب بحق ؟ هل أنت فعلا محمد نجيب ؟! وأجهش باكيا طالبا السماح ، ومعتذرا بأنه إنما كان مدفوعا ضده ، يجد التشجيع دائما عندما يسفهه ! .

وقد طويت صفحة جمال سالم ، ومات مريضا بالسرطان بعد موت أخيه بعدة سنوات ، لا تظلل أيا منهما أضواء السلطة الخادعة .

وكان آخر ماقاله للمجتمعين حول فراش مرضه من زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة : « خليكم جنب عبد الناصر » وبعدها مات .





كمال الدين حسين

كمال الدين حسين ، عضو مجلس الثورة ، ذو المناصب المتعددة ، إنه الصاغ الوديع ، المتفجر بالعسكرية المصرية أكثر من أقرانه ، يحفظ له التاريخ أنه ترك الجيش ، وانخرط تحت قيادة البطل أحمد عبد العزيز متطوعا لا مكلفا ؛ وذلك للمشاركة في حرب فلسطين قبل الحرب الرسمية في 1948 .

وهكذا كان كلما دق ناقوس خطر القتال ، سارع كمال قائد المدفعية ليؤلف الكتائب الفدائية كحرس وطني لحماية الوطن إلى جانب الجيش النظامي . حيث كان له دائما سمة الخبرة المتمرسة في مثل هذه المهمات العسكرية التطوعية .

وكان من أوائل المنضمين إلى تنظيم الضباط الأحرار والملتزمين بسرية التنظيم وقواعده . وكلف بكتابة محاضر جلسات مجلس القيادة في البداية ، يساعده الصاغ عبد الحليم أبو غزالة ، وقت أن كان سكرتيرا لمجلس قيادة الثورة ، ورفض أبو غزالة أن يستمر في هذا العمل قائلا : إنه لايعرف في هذا العمل المدني ، وإنه ملتزم بالعسكرية ، واحترم كمال الدين حسين احترام أبو غزالة لتخصصه العسكري ، وعاد لعمله .

عند أول بادرة تصعيد ضد نجيب قال معترضا : (.. إزاي واحد منا نخلص منه ؟) ثم بكى وصرخ وهو يقول : (إذا استمر ذلك التدبير تجاه بعضنا البعض ، فلسوف تنتهي الثورة بنا واحد واحد ، ولسوف تنهار مبادئها بانهيارنا) .

وعندما ضيق الخناق حول نجيب انفرد بالقول : (مادمنا قد خلقنا منه رمزا عشقه الناس ، فلا مانع من أن يبقى نجيب رمزا للثورة ، وليحظ بالحكم منكم من يطمع فيه) .

وكانت تحدو كمال صفات الكمال والأصول ، لا حركات المناورة والمحاور .

ومن المواقف المشرفة للضابط المصري ، ماحدث لكمال الدين حسين في فترة مبكرة من خدمته في الجيش . ففي الفترة التي أعقبت حادث 4 فبراير 1942 ، أخذ الملك فاروق يتقرب من الجيش والضباط ويزور الأسلحة المختلفة ، ويحضر المناورات ، ويتحدث إلى صغار الضباط حتى جاء عام 1944 ، وكان الملك يشهد مناورة تشترك فيها المدفعية ، فأمسك بخرائط المناورة وأخذ يفحصها ووجد مدونا عليها اسم اليوزباشي « نقيب الآن » كمال الدين حسين ، فطلب من القادة أن يرى هذا الضابط .

واهتم القادة بأن يذكروا (كمال) بضرورة تقبيل يد الملك بعد أن يصافحه ، ويحثونه طوال الطريق على ضرورة تقبيل يده الكريمة ، ووقف الضابط الشاب أمام الملك ، حياه التحية العسكرية ، وصافحه مصافحة لم يكن فيها شبه انحناءة ، ثم انصرف كمال الدين حسين ، بين ذهول الجميع .

وقام وزير الحربية ورئيس الأركان وقائد المدفعية بتقبيل يد الملك ، وتناقل القادة والضباط هذه القصة ، بينما اليوزباشي كمال الدين حسين يقول لزملائه مفسرا سلوكه :
ـ « الجندي لا ينبغي له تقبيل يد أحد ، الجندي لاينبغي له أن ينحني لأحد) .

وأشرقت الأيام البيض على كمال الدين حسين وكان فتى الثورة المفضل ، والأثير لدى قائدها ، فأسندت له المناصب لدرجة الازدحام بها : .

باشر الإشراف على أول تنظيم سياسي بعد هيئة التحرير ؛ وهو الاتحاد القومي ، كذلك أشرف على أوجه التنظيم والثقافة في مصر ، فتلا إسماعيل القباني في رئاسة

وزارة التعليم والجامعات ، حيث اكتشف فجأة أنه تربوي من قادة التعليم ، ويترأس الدكاترة من أساتذة الجامعات ، وأصدر تعليماته وتوجيهاته بتطبيق نظام فلفل وشرشر ! .

وترأس وزارة الشئون الاجتماعية ، والمجلس التنفيذي ، ولقب بصاحب المناصب التسعة . إلى أن راحت السكرة وجاءت الفكرة ، وقت أن كثر المتزاحمون حول عبد الناصر ، فلمع الجدد ، وبهت القدامى ؛ ذلك لأن الجدد يقبلون أي عطاء ، لعدم رسوخ أقدامهم في أرض جدور الثورة ، ولأن ليس لهم فضل تفجيرها . أما القدامى فلا ينسون جو الندية والمساواة القديمة التي ضمتهم قبل الشهرة .

وصار كل شيء مباحا في حلبة سياسة التيجان (والدبابير) والنسور والسيوف المتقاطعة ، فيما عدا ما هو محظور ومحرم ، وهو معارضة الزعيم ، حيث يضحي بالغالي والثمين في سوق الخلافة . فأنت مرهوب الجانب ، لامع الصورة في الصحف والتليفزيون ، مادمت تأخذ توجيهات الزعيم وتطبقها فيما وهبك إياه من سلطات . أما أن توجه أنت السياسة دون موجهها الأوحد ، فلسوف تمحى صورتك ، ويختفي صوتك من أمام الرأي العام ، وكأنك يوما ما كنت نجما . ! .

وكان الحاجز الأول في طريق سباق كمال الدين حسين ، هو حاجز تصفية جماعة (الإخوان المسلمون) ، صمت كمال في صعقتهم الأولى في الخمسينيات ، يوم أن قتل منهم عبد القادر عودة ، وهنداوي دوير ، ويوسف طلعت ، وصحبهم من الدعاة ، بدل أن يعالج الأمر بالمجادلة بالتي هي أحسن ، وتتطهر الثورة من مقصلة الدماء ؛ حفاظا على نصاعة ثوبها الأبيض الذي كانت تزدان به كعروس مصر .

وبدأ كمال الدين يواجه ماواجهه البغدادي من تضييق الخناق ، ومن معايشة المسئوليات الصورية التي لايؤخذ بها .

ثم عندما نشر عبد الناصر خطابا دوريا يعرّض بمن يجري وراء الصحف بهدف الدعاية الشخصية ، احتج البغدادي وكمال واستقالا ، ثم سحبت الاستقالات عندما تمت الترضية .

ثم كان اعتراضه على الوحدة مع سوريا ، كون أنها مفاجأة بغير التدرج ، وعلى أساس أن البعثيين مرحليون ، انفصاليون حسب قوله ، لم يؤخذ برأيه ، لأن عبد الناصر كان يبحث عن الزعامة ، ولكسب مساحة في العاطفة العربية .

فهتاف الداخل لم يعد يطرب جمعا ، وتصفيق الداخل لم يعد يدوي سمعا .

وتلاحقت الأحداث ، ووقع الانفصال ، وتأخر إمداد القوات المحاصرة في اللاذقية ، وصرف النظر عن المعالجة العسكرية لوحدة غير ناجحة . ولمواجهة هزة الانفصال ، أنشأ عبد الناصر مجلسا للرئاسة من جميع أعضاء الثورة الباقين لرسم السياسة العليا للبلاد بصفة جماعية استبشر بها خيرا . ثم صار مجلس الرياسة صورة شكلية للحكم الجماعي الصوري ، بينما السلطة مازالت مركزة في يد الرئيس ونائبه الأول المشير فتضامن كمال الدين حسين مع زميليه البغدادي وحسن إبراهيم واستقالوا ، وانقطعوا عن المشاركة في الجلسات ، وبعد القيام من أزمة الانفصال ، تابع الرئيس الوقوع في أزمة حرب اليمن ، استمساكا بالشهرة خارج الحدود ، تفتيتا للجهود .

لذلك فقد احتج أيضا كمال على دخول حرب اليمن ، معترضا على أن يريق المواطن المصري العربي دم المواطن اليمني العربي . ويرى أنه يكتفى بالتأييد ، احتراما لحرية الشعوب في وضع نظمها السياسية الخاصة ، داعيا لأن تكف حكومة الثورة عن تأييد كل ثورة ، ولو كانت الثورة على السفينة (بونتي) ، وهو اسم ذلك الفيلم الشهير في تلك الحقبة الزمنية ، حيث سادت النكتة بأن الثورة قد أرسلت برقية تهنئة لهذه الثورة على السفينة بونتي ، قبل أن يتأكد إعلام وزارة الإرشاد القومي ، من أن ذلك اسم فيلم أمريكي شهير ، وليس ثورة عسكرية فعلية على كوكب الأرض .

وعندما تكررت صعقة (الإخوان المسلمون) الثانية 1964 ، فقد عجزت مشاعر هذا الرجل الذي هجر الحياة العسكرية داخل المدن ، وذهب بمحض إرادته للقتال في فلسطين رغم الأسلحة الفاسدة ، لذا فقد كانت له وقفة تاريخية حيث قال (لا) لسفك دماء الدعاة ، هؤلاء الذين كانت لهم جمعيتهم المشروعة قانونا

في عهد الملكية بإرشاد القوة الخارقة ، التي جمعت حولها ماتجمعه الإمامة في التاريخ .
(وكان نداؤهم : الله أكبر ، ولله الحمد) .

إنه الشيخ حسن البنا ، المرشد الذي تبعته الألوف ، فواجه أتباعه هذا العنف الجماعي من الثورة ، لم يعاقبوا فرادى بأحكام قضائية ، إنما سيقوا جماعات للهلاك الدامي ، فاعترض كمال وتصدي لمناهضة هذا العنف في وقت كان غيره يعف ، وعن التأييد لايكف . فما أن تنفس بهذا الرأي ، الذي يخالف رأي من لايخالفه أحد ، يوم أن صار لمصر رأي واحد لايعترف بقاعدة أخذ الأصوات ، إنما فقط تسعى له الأصوات مؤيدة . تعرض للاعتقال ، فكان الثاني بعد نجيب الذي تعرض لذلك ، وكان سبب فقده لحريته صيحته لوقف دماء الدعاة ، حيث تعدى القول والإشارة ، إلى تسجيل الرأي ، فأرسل خطابا لعبد الناصر بعنوان « اتق الله » معترضا على القانون 119 لسنة 1964 ، بتشكيل محاكم استثنائية عسكرية ، يقول فيه : (اتق الله) . فزلزل القول المخاطبين به ، وقد عبد الناصر أعصابه وأقدم على اعتقال كمال ، وتجريده من حريته .

اتق الله ، كانت تلك هي الطلقة التي خرجت من كمال لتصيب عبد الناصر في أوج قوته .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد : جمال عبد الناصر .. رئيس الجمهورية :
من كمال الدين حسين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ؛؛
لاخير فيَّ إذا لم أقلها لك ، « اتق الله » .

ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا .
ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا .
« اتق الله » ، قالها الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم .
« اتق الله » ، قالها الخلفاء والأئمة لبعضهم ولولاتهم وللمسلمين .
وقالها المسلمون للخلفاء والأئمة والولاة ولبعضهم بعضا .

وقالتها الأمة التي أعزها الله ، وأقولها لك لتتمثلها !

وسلام على من اتبع الهدى

كمال الدين حسين – إمضاء

على أثر ذلك اعتقل كمال الدين حسين ، في اليوم نفسه الذي كان يستعد فيه عبد الناصر لزفاف ابنته هدى .

وتم الاستيلاء على أوراقه ، ونكل بزوج شقيقته ، وتحددت إقامته والده الشيخ العجوز ، وصحبته حرمه إلى معتقلهما بالهرم ، وكان ذلك تصفية لحساب قديم ، ردا على موقفه المعارض من الميثاق ، والتطبيق الاشتراكي ، واعتراضه على القانون رقم 119 لسنة 64 الذي يقضي بتشكيل محاكم استثنائية عسكرية لمحاكمة المدنيين مع عدم الطعن في أحكامها ، واعتراضه على تأميم المصانع والمشروعات الصغيرة ، اختلف كمال الدين حسين مع عبد الناصر حول مزيد من التأميمات ، فقال عن عبد الناصر بعد موته :

« كان كالثعبان يلف ويدور ، ويدخل الجحور ، ويقول لا حدود للاشتراكية وأنا أقول بل توجد حدود » .

وأكثر ما أوغر صدر عبد الناصر ضده ، أنه كشف عدم اشتراكه في استفتاء سنة 1965 ، وعدم الإدلاء بصوته في اختياره لفترة رئاسة الجمهورية ، إلى جانب قيام كمال الدين حسين بالترويج لكتاب فقيه الإسلام والإخوان المسلمين الشيخ سيد قطب (معالم في الطريق) .

وأرسل كمال الدين حسين من معتقله رسالة لعبد الحكيم عامر بعد أن انقطعت سبل الاتصال مع عبد الناصر ، مستنكرا من عبد الحكيم أن تكون رسالة (اتق الله) سببا في كل ماحل به ، مشيرا إلى أنها قيلت للخلفاء من مواطنين فلم يغضبوا .

نص الرسالة ، وهي بتاريخ 25 أكتوبر سنة 1965 بعد اعتقاله بـ 11 يوما :

اليوم أصبحت ياعبد الحكيم أعتقد أنه لا حياة لي في بلدي الذي أصبحت أرى فيه جزاء لكلمة (اتق الله) هو ما أنا فيه وما أهلي فيه .

عندما قلت لكم اتقوا الله قصدت أن تتقوا الله في هذا الشعب الذي قمنا لخلاصه واسترداد حريته .

قلت لكم اتقوا الله بعد أن ألجمتم جميع الأفواه إلا أفواه المنافقين والمتزلفين والطبالين والزمارين .

قلت لكم اتقوا الله في الحرية التي قضيتم على كل ماكان باقيا من آثارها ، وكنا نأمل أن تتفتح لها براعم نامية نطمئن حين نمضي من هذه الدنيا ، أننا قد أدينا أمانتنا فنترك بعدنا هذه البراعم وقد نضجت وأصبحت قوية قادرة على الصمود .

قلت لكم اتقوا الله لأنكم أردتم (استنعاج) هذا الشعب ، وأنا لم أكن أرضى ذلك ، ولذلك أصبحت الآن لا أطيق الحياة في هذا الجو الخانق ، وأرجو أن يتيسر لك معرفة درجة الاختناق في هذا الجو وإذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون أعظم ، فإذا كانت قد بقيت لديكم بقية من أخوة كانت بيننا يوما من الأيام ، فإني لا أطلب سوى أن أخرج أنا ومن يريد من أسرتي التي نالها أيضا نصيب وافر من إجراءاتكم ، إلى السعودية لأبقى إلى جوار رسول الله حيث أقضي مابقى من حياتي مخلصا لها حي لنفسي وديني لله .

فاليوم يمكنني أن أرى صورة المستقبل لهذا الوطن بعد ماكان جزائي على كلمة الحق « اتق الله » ما أنا فيه .

وأنت تعلم يا عبد الحكيم أنكم لن يمكنكم أن تكبلوا روحي ، وإن اعتقلتم جسمي .

وأنت تعلم يا عبد الحكيم أنكم لا تملكون أي حق شرعي فيما قمتم به نحوي ، إلا حق الدكتاتورية والطغيان ، إذا جاز أن يكون لها حق .

وأنت تعلم يا عبد الحكيم أنكم إذا لم تتقيدوا بشرع تجاهي ، فالناس يعلمون ومن زمن أنكم غير مقيدين بشرع تجاههم . وهم إذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون رقم 119 لسنة 1964 فإنهم سيعرفون معناه جيدا الآن .

أنا آسف أن تتحول ثورة الحرية إلى ثورة إرهاب ، لايعلم فيها كل إنسان مصيره ، لو قال كلمة حرة يرضي بها ضميره ووطنه ، فإذا قيل لي أو للناس إن هناك مفهوما آخر للحرية ، فهذا هو التضليل وحكم الهوى الذي يضلّ به الشيطان أولياءه لينسوا قانون الله ، وشرع الله وشرع الإسلام ، الذي جاء ليخلص الناس من عبادة العبد ، إلى عبادة رب العباد ؛ حرية يتساوى فيها أبناء آدم وحواء أمام الله ، أمام الشرع ، أمام الحكم الإلهي الذي لايقبل التأويل واللف والدوران .

يا عبد الحكيم مهما كانت التفاسير والشعارات ، فالحرية هي الحرية التي عبر عنها عمر بن الخطاب حين قال : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) . وحين قيل له : « اتق الله » ، قال : (لاخير فيهم إذا لم يقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نسمعها) .

وأنت يا عبد الحكيم تعلم أنني لن أستعطف أحدا ولن أخاف إلا الله وأنا حين أكتب إليك الآن فإني لا أطلب شيئا غير الرحيل عن هذه الأرض التي يئست أن تقال فيها كلمة حق ، فضلا عن أن يقام فيها ميزان عدل . وإن أبيتم عليّ ذلك ، فإن وليي هو الله عليه أتكل وأنيب وإنا لله وإنا إليه راجعون .

يا عبد الحكيم إن إجراءاتكم هذه التي أصابتني ، إن كنت قد تحملتها في صبر ، فإن الصدع الذي أصاب مشاعري تجاه من أمر بها صدعٌ يصعب رتقه ، وبقائي هنا مشقة لي ولكم ، وأنت تعلم ياعبد الحكيم حينما جئتني في مارس 1965 وقلت لك : إنني مستعد للاعتقال أو القتل ! أو أي شئ آخر ، قلت من نفسك : (اعتقال إيه ياشيخ .. والله أنا اللي ييجي يعتقلني أنا أضربه بالرصاص) ، أنا فكرت في هذا ، ولكني لم أستصوبه ؛ لأن هذا ينافي إيماني ، وجاء يحدثني هلال كرجل (الضابط الذي اعتقله) على لسان رجل أو رجال ، ومع ذلك كانت النتيجة أن فتش منزلي وحجرة مكتبي ورقة ورقة ، وحجرة نومي وعائلتي وحتى ملابسي ومتعلقات السيدات ، واعتقل أهلي وضيوفي الذين تصادف وجودهم في منزلي حينئذ ، وأنا لا أعرف مصيرهم حتي الآن ، تماما كما لايعلم أحد من أفراد الشعب سبب أو مكان ولامصير أي شخص يعتقل منهم ، وإذا مات أحدهم لأي سبب ، يكتفي بأن يخطر

أهله بأنه قد هرب ، أو أنه قد دفن في مكان كذا وتحت رقم كذا ، مجرد رقم ! كان إنسانا حيا فأصبح رقما مدفونا !! .

يا عبد الحكيم إن ماقمتم به نحوي جريمة تماما مثل الجرائم الكثيرة التي ارتكبت تجاه المواطنين ، طبعا مع تغيير في الشكل .

وكانت الرجولة ياعبد الحكيم ، تقتضي أن يواجهني واحد منكم ، لأعلم منه ماذا جرى ، لماذا انطبقت السماء على الأرض من كلمة حق تصيح فيكم (أن اتقوا الله ...) ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم فأبيتم هذه المواجهة ، واستخدمتم سلاحا لا يقنع عقلا حرا ولايكبل ضميرا حيا ، ولايشد إيمانا وتقوى ، ولكن يورث النفس مرارة وأسفا . فإذا لم يواجهني أحد منكم ، فلماذا لا أواجه بمحاكمة عادلة شرعية على الأقل ؛ لأعرف ماهي التهمة الموجهة إليّ ، مادام قد أصبح أمرا طبيعيا في زمن الحرية أن يعتقل الناس وتصادر حرياتهم ، دون أن توجه لهم تهمة !! .

أنا أتحدى أي اتهام ، وأنا أتحدى أن يواجهني أحد بأي اتهام يبرر ماحدث ، طبعا إنني أخرج من حسابي عمليات التلفيق ، لأني مازلت أنكر عليكم اللجوء مع مثلي لمثل ذلك ! .

يا عبد الحكيم .. ألم أقل لك في مارس الماضي : ماهي ضمانات الحرية ؟ فقلت : « نحن ضمانات الحرية » وقلت لك : إني لا أثق في ذلك ، وهذه الأيام تأتيني بالبرهان بأن للحرية ضمانات ، وأنتم الضمانات ! كل شيء جائز !! .

ألم أقل لك يومئذ : إنه إذا لم يتنازل عن تألهه وفرديته ، فلا فائدة للعمل معه ، فهل ياترى هذا الذي جرى لمواجهة كلمة « اتق الله » هو دليل هذا التنازل ؟ .

كلمة صريحة أقولها لك يا عبد الحكيم : أنا أرثي لهذه الحال ، ومع ذلك أتمنى أن يهديكم الله . لا تغضب أنت الآخر يا عبد الحكيم ، راجع نفسك ، ولايغلبك الهوى والغرض ، راجع ضميرك ، قبل ثورة 23 يوليو وعلى مدى سنين من هذه الثورة ، ثم انظر أين ينتهي بكم الطريق ؛ طريق الحرية أقدس مامنح الله للإنسان .

يجب أن تعلم يا عبد الحكيم رأي الناس فيكم ، ومايحسونه نحوكم ، لقد أصبحتم وياللأسف في نظر الشعب جلاديه ؛ نتيجة تدعو للرثاء وحصاد مر لثورة 23 التحررية الكبرى ، تتجرعه الملايين المستذلة بعدما وضعت في تلك الثورة وقياداتها آمالها ، وأعطتها الكثير واستأمنتها على الكثير ، على الحرية ، ولكن أين الأمانة الآن ، والله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . لقد بددت الأمانة ، لقد وئدت الحرية ، ونعيش هذه الأيام وكأنها في ليل لايبدو له فجر .

يا عبد الحكيم ، لاتتصور أني مبتئس لما جرى ، ولكنني حقيقة أشعر بالأسف وأقول : ياحسرة على الرجال ، ياخسارة على الرجال ، على الثورة ، وأشعر بذنب واحد وهو أن ثقتي الغير محدودة ، الغير محدودة فيكم ، مكنت للطغيان أن يسلب هذا الشعب حريته وكرامته وإنسانيته ، ومهما كانت الشعارات الزائفة التي تتردد ، والادعاءات التي تقال ، فالناس جميعا يعرفون حقيقتها والسلام .

إمضاء

كمال الدين حسين

1965 / 10 / 25



رد عبد الحكيم عامر : وكان بتاريخ 4/ 11/ 1965 .

عزيزي كمال :

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

لقد تعودت ألا تزعجني الصراحة ؛ لأن الصراحة هي الطريق إلى الفهم الصحيح ، ودعني أيضا أنْ أصارحك القول ، وقد تعودت أن أقول ما أعتقد ، ولا أخشى في ذلك إلا الله وضميري .

إن طبيعة الرسالة التي تلقيتها منك كانت بمثابة صدمة عنيفة ، قد نسفت في نظري جميع القيم والروابط التي تجمعنا ، وفي رأيي لم يكن هناك مايبررها على الإطلاق فهي مرسلة ، وسأعبر عن ذلك مخلصا وصادقا .. « من كمال رسول الله ، إلى عبد الحكيم كسرى أنو شروان » أي من نبي مؤمن ، إلى قائد ملحد . وأنت لست نبيا ، وما كنا نحن بملحدين كافرين ، فنحن نؤمن بالله واليوم الآخر ، وكنت أنتظر أن تكون رسالتك في مثل هذا الوقت ، وهذه المؤامرات الإجرامية تدبر ، والتي كان الغرض منها التحطيم والقضاء على نفوس بريئة . والرجوع بها إلى الخلف سنين طويلة ، كنت أنتظر على الأقل أن تستنكر ذلك ، وماعهدت فيك عدم الوفاء ، وماعهدت أن ترى الأمور بهذه الطريقة الغريبة ، التي لا أعلم ولا يعلم إلا الله كيف وصل بك الأمر إلى ذلك ؛ تشك في كل شيء ، وترى صورا قاتمة لا وجود لها ، ماذا ألم بك ؟ لا أعلم . ارجع إلى نفسك ياكمال ، تأمل كل شيء بهدوء وبنفس خالية من الغضب والنزعات ، فكر في الأمور بعيدا عن المؤثرات ، وبعيدا عن كلام المغرضين وهمساتهم وافتراءاتهم ، الذين لهم هوى ، والذين لا يبغون إلا مصلحة ذاتية من ورائك . وقد وجدوا في شخصك الأمل الذي يحقق لهم الأمل وهذه الأهداف ، فهم يدعون الكلام باسم الحق ، وهم لايريدون إلا الباطل .

إن المؤامرة الأخيرة التي دبرها « الإخوان المسلمون » المتعصبون ، مؤامرة لا يمكن وصفها ، جريمة ضد شعب بأسره ، بل جرائم قتل باسم الإسلام ، دماء تسيل وخراب يعم باسم الإسلام . هل هذه هي الحرية التي يطالب بها هؤلاء الذين يريدون

فرض أنفسهم على الناس بالدماء والخراب ، والله هذا لايقره دين ولايقره ضمير ، ولايقره أي شخص عنده إنسانية .

إنني تابعت التحقيق خطوة خطوة ، والمؤامرة فيها أكثر مما نشر حتي الآن ، أيريد سيد قطب الذي كنت توزع كتبه ، أن يصنع من نفسه نبيا ينزل عليه الوحي ، يأمره بقتل الناس وتدمير البشر ؟ أهو ظل الله على الأرض ، ينهي حياة من شاء من العباد ؟ لا أعلم كيف لم يحدث في نفسك هذا العمل الألم كل الألم ، وكيف اكتفيت بإرسال خطابك لي بالمعنى الذي سبق أن ذكرته لك ، هل فكرت ماذا كان سيترتب على نسف محطات الكهرباء فقط ؟ توقف المستشفيات ووفاة المرضى رجالا ونساء وأطفالا ، القاهرة بلا ضوء ، بلا مصانع تعمل فيها آلاف العمال أصبحوا عاطلين ، الناس لاتجد قوت يومهم بل لايجدون حتى الماء ليشربوه ، مجاري تطفح في الشوارع وفي المنازل ، أوبئة تفتك بأرواح لن تعوض طبعا . باسم ماذا يحدث كل هذا ؛ بأمر من يحدث كل هذا ، كيف تعوض مثل هذه الخسارة قبل سنوات طويلة ، أما الأرواح فلن تعوض طبعا ، باسم ماذا يحدث كل هذا ؟ بأمر من يحدث كل هذا ؟ حكم من هذا ؟ حكم من جعلوا أنفسهم خليفة الله في الأرض . إنه اغتيال لشعب ولحريته ولحياته ولتقدمه ، بل أيضا لمعاشه اليومي .

وماذا يكون شعورك وأولادك في منطقة تنفجر منها مواد النسف ؟ ماذا يكون شعور كل أب ؛ كل أم ، كل أخ ؟ فكر قليلا يا كمال دون تحيز ودون غضب ؛ لأن هذا هو حكم الطغيان بكل معانيه ، حكم الغابة بكل صوره ، هذا هو الإرهاب بكل ماتحمل هذه الكلمة من معنى مروع .

هل الأخوة والوفاء تعني تأييدك لهذا العمل ، أو تعني أنه كان يجب عليك استنكاره ؟ .

هل المبادئ الإسلامية والإنسانية تقر أنك لاتقف تحارب كل هذا بكل قوتك بدل أن تؤيده في خطابك الأول الذي يدل معناه على ذلك ؟ .

أي معنى ذلك أنك توافق على قتلنا ، وهذا في رأيي أبسط الأمور فلكل أجل كتاب ، ولكن كيف يطاوعك ضميرك وكيف تقنع نفسك بالموافقة على اغتيال شعب ؟

تعرضت في كلامك عن الثقة فينا ، وأنا بدوري أقول ، إنك لم تخطىء بثقتك فينا وكل ماأريده منك وأرجو ، أن تفكر بعيدا عن كل مؤثر أو مظهر ، ولاتجعل أي تصرف شخصي أو تصرف بسيط يؤثر على جوهر المواضيع .

إننا ومن جانبي أيضا ، سنعمل على المحافظة على مصالح شعبنا ، وسنحافظ عليه ضد أي محاولات من هذا الطابع بكل وسيلة ممكنة ، وكما ذكرت حقا في خطابك الأخير أن الناس يعرفون الحقيقة ، ولكن ليست الحقيقة التي تتصورها أنت ، والتي طبعا يصورها لك بعض الناس الذين تعتبرهم ثقة ، وإن كلامهم لايقبل المناقشة .

وتقول : إنك تريد أن تخرج إلى السعودية ، لماذا ؟ هل هي بلد الحريات ، هل هي بلد الإسلام ؟ ماهذا ياكمال .. عجيب والله هذا التفكير ، إن النبي صلى الله عليه وسلم كان بشرا ، ومات كما يموت البشر ، وإن جلوسك بجانب قبره لن يعطيك شيئا ، لاتخدع نفسك ياكمال ، جرد نفسك ياكمال من كل الاعتبارات مليا ، وسترى الأمور بغير هذه العين ، خصوصا بالنسبة للحقائق التي سردتها لك ولاتقبل جدلا .

ثم بعد ذلك تكلمني عن قانون ... ويزعجك أن يصدر مثله ، وهذا ليس موضوعا جوهريا ، ومهما أخطأت الثورة ياكمال فإنها تصحح دائما أخطاءها . ولكنها ماكانت قاسية ، وماكانت منتقمة ، وأنت تعلم ذلك ، وشاركتنا في أفكارنا وفي قراراتنا ، وفي جميع الأحداث التي مرت بشعبنا منذ يوليو 52 ، وتعلم جيدا كيف نفكر ، وكيف نتصرف .

إن الذي يقضي على الحرية ويقتلها هو التعصب ، مهما كان نوعه ، ومهما كان شكله ، ومهما كانت الشعارات التي يحتمي فيها ، إن كان تحت اسم إسلام ، أو تحت اسم إصلاح أو غيره .

إن بلادنا يتآمر عليها الاستعمار والرجعية ، ألا يكفي ذلك حتي نخرج هذه الفئة لتضع البلاد تحت رحمته ، وتجعلنا في قبضته مرة أخرى ، ربما إلى سنين طويلة لايعلم إلا الله عددها .

هل هذا مفهوم الحرية ، وهل هذه هي الحرية ، التي أعلنها الإسلام أنا أقول كلا ،

وألف كلا ، بل إن هذا هو الكفر بعينه بكل القيم البشرية والإنسانية بأكملها .

أتوافق ياكمال على أن يحكم مثل هذا الشعب مثل هذه الحيوانات الكاسرة التي نزعت من قلوبها الرحمة ، تعصب أعمى لايرى إلا في القتل والتهديد وسيلة لكل شيء . وبأمر من ظل الله على الأرض سيد قطب ، وهل هذا هو حكم الله ؟ إن الله بريء من القتلة والسفاكين .

لماذا أنت عاتب إذن ، أليس عتبي عليك أكثر وأعظم ، أليس من حقي وأنا بشر ، ولست نبيا ولاأدعي أنني أوتيت من الحكمة كلها أو بعضها ، أليس من حقي أن أصاب بصدمة حين أجد أن هذا هو أسلوب تفكيرك الجديد؟ وهذا مايقره ضميرك ، وهذا ماتراه حقا ؟ .

إنني ياكمال كما تعرف لا أخاف أحدا ، ولا أخشى شيئا إلا الله ضميري ، ولولا سفري لفرنسا لجابهتك بهذه الحقائق مع ضعف أملي أنك ستستمع لما أقوله ، وتقتنع بالحقائق الملموسة ، إننا لم نمنع الناس عنك إلا خوفا عليك ، وخوفا على الناس ألا تنتهي المأساة البشرية التي كانت تعمل على ثلاثة عشر عاما ، قد نختلف في الرأي ، لكن أرجو أن تصفو إلى نفسك وتفكر في هذه الآراء ، وتطرح المسائل الصغيرة جانبا ، وطبعا أنت حر في أن تأخذ بها أو تلقيها في عرض البحر . ولكن لي الحق أن أكتب إليك ناصحا بأمانة وصدق ، كما كتبت إلي لائما وناصحا ، ربما تذكر أنك كنت في الحكم ، وجميع السلطات في يدك سياسية وتنفيذية . وهذه حقيقة وكنت حر التصرف ، وهذه حقيقة أيضا ، ولم يحدث طوال هذه الفترة أن اختلفت على المبادئ التي تثور عليها الآن بل كنت تذكر القوانين الاشتراكية سنة 61 والآراء التي أيدتها أنت شخصيا في الاجتماع بالإسكندرية ، وكنت ياكمال متطرفا لحد كبير ومتحمسا للقوانين أشد التحمس حقيقة أيضا . ماذا تغير إذن بعد ذلك حتى تتحول هذا التحول المفاجئ المتطرف أيضا ؟! وفجأة يصبح كل شيء خطأ ، وتصبح الحريات مغتالة على حد تعبيرك الذي لم أهضمه مطلقا ، فجأة حدث كل ذلك ؟! ما الذي غير أفكارك بهذه السرعة الكبيرة ، ما الذي أخل توازنك لهذه الدرجة وحتي تنقلب أفكارك فجأة ؟ .

لقد تناقشت أكثر من مرة في أفكارك ، وتطارحنا الحجج والبراهين ، وصدقني والله ماوجدت في آرائك التي أصر على أنها ظهرت فجأة ، شيئا منطقيا أو سليما ، وجدت لديك إصرارا غريبا وعقلك يرفض أن يناقش ، بل تصميما فقط على ماأنت فيه ، إن تطبيق أي نظام ، وحكم الشعوب ، يحتاج منا جميعا لإعادة النظر في خطواتنا من حين لآخر فجل من لا يخطيء ، وأظن أنك لا تعتبر نفسك معصوما من الخطأ ، ولاأظن أن يصل بك الأمر إلى هذا الحد ! ؛ ولكن كل الشواهد تدل على غير ذلك ، فأنت تريد فرض رأيك ، ورأيك أنت فقط في نظرك الصحيح . وهذه هي الدكتاتورية في أعنف مظاهرها ياكمال ، وهذا هو قتل الحريات وضربها ضربة قاصمة ، كل منا يرى عيوب غيره وحبذا لو فكر في عيوب نفسه لماذا لا تحاول أن تجابه نفسك وتعرف عيوبك ، كما تبحث عن عيوب الآخرين وتبالغ فيها إلى أقصى الحدود ؟ .

إن فعلت أو حاولت بالنسبة لنفسك ، يكون حكمك على الأمور أقرب إلى الصواب ، ولاتختلط الأمور في ذهنك هذا الاختلاط الفظيع ، لاتجعل حالتك النفسية تؤثر على تفكيرك ، ولاتجعل لكلام من حولك قدسية ، وهم في كلامهم معك في قرارة أنفسهم ، يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسطوة وللشهرة . وعندي على ذلك أمثلة كثيرة واقعية ، أمثلة حية غير مبنية على استنتاج أو على كلام الغير .

إذا فكرت جيدا وحللت كل شيء لنفسك بصراحة ووضوح فستجد أنني كنت خير ناصح حتى ممن تظن أنهم أقرب وأخلص الناس إليك . وأعود مرة أخرى وأقول : كيف تتصور أن تولد الحرية في ظل الدماء والخراب ؟ وأن يكون لفئة من الناس أن يتكلموا ويفعلوا باسم الله مفوضين منه ، يفعلون ماشاءوا ، هل هذه هي الحرية ؟ هل هذا هو طريق الحرية أو الديمقراطية ؟

أقول بدوري ياكمال ، « اتق الله » في نفسك ، اتق الله في شعب مصر ، اتق الله في حياة الناس وأرزاقهم ، ولاتظلم نفسك ولاتظلم الناس معك . لقد حاولت جهدي أن أشرح لك الحقيقة وإن كانت مرة ، ولكن دفعتني إلى ذلك دفعا ، وأقول وأنا مرتاح الضمير : إنني أديت الأمانة ، ولعلك ترى الأمور على حقيقتها بعيدا عن

المؤثرات التي وقعت تحت تأثيرها فترة من الزمن – وإن حدث ذلك – كان نقدا عظيما لك على نفسك وكان نعمة وبركة من الله للجميع .

وقد ترددت أن أكتب خوفا من أن تكون قد سددت أذنيك لاتريد أن تسمع أحدا ، إلا إذا حدثك على هواك وعلى ماتحب ، ولكنني قررت أن أرد عليك ، قدر جهدي ومناقشة الموضوعات التي أثرتها ليست صعبة ، فقد – ناقشتها معك مرارا ، وما اقتنع أحد من الذين ليس لهم غرض بما تقول ياكمال .

والسلام عليكم ورحمة الله ...

عبد الحكيم عامر

1965 / 11/ 4

ملاحظة :

إنني أخشى حكم التاريخ عليك ، أن يقول كمال حسين انقلب على الحكم متبنيا أفكارا جديدة ، لأنه ابتعد عن السلطة التنفيذية والسلطات التي يمارسها .

عبد الحكيم

كتبت إليك هذا لتعرف الجانب الآخر من الصورة ، التي قد تكون تاهت عنك وسط خضم المتكلمين والمتحدثين ، وإني أكتب لك ما اعتقده وعن صدق والحديث طويل ولايتسع له حتى هذه الصفحات القليلة ، ولكن لعل الله يجمع ماتفرق ، ويهدي ويرتق الصدع ، إنه على كل شيء قدير .

عبد الحكيم

رد كمال الدين حسين ، وفيما يلي نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ عبد الحكيم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ... .

لم يكن في نيتي بعد خطابي السابق أن أكتب ثانية ، فقد وعدتك ألا أزعجك ، وكنت عند وعدي ، ولكن هناك نقطا خطيرة في خطابك أشعر أنها تحتاج إلى إيضا ، وأنا أحاول في هذه السطور أن أوضح هذه النقاط حتى لايكون حكمك فيها مبنيا على معلومات أو استنتاج خطأ ، وأرجو ألا تحمل كلامي هذا أكثر من هذا المعنى .

1 – تقول : إن الرسالة التي تلقيتها مني ، كانت بمثابة صدمة عنيفة نسفت في نظرك جميع القيم والروابط التي تجمعنا ، وطبعا أنت حر في وجهة نظرك من ناحية الروابط ، ولكنك لست حرا في أن تبني أحكامك على تصورات خاطئة .

2 – تقول : إن الرسالة التي تلقيتها ، وكأنها من كمال رسول الله (حاشا لله) ؛ إلى عبد الحكيم كسرى أنو شروان . وهذا خطأ ، لم يقصد منها إلا أن تكون لعبد الحكيم عامر الحاكم من كمال الدين حسين المواطن الحر ، بدون التمحك في صداقات وإخوانية . وأنا لم أتخيل لنفسي أن أدعي هذا الموقف وحاشاني أن أدعي ذلك . ومن أنا بالنسبة لرسول الله حتى أدعي ذلك ، الفرد في أمة ، مفروض أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، له أن يقول للحاكم « اتق الله » وقد قالها واحد من المسلمين لسيدنا عمر ، فما كان من عمر إلا أن قال « لاخير فيهم إذا لم يقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نسمعها » ولم يتصور الذي قالها في وقت من الأوقات أنه كرسول الله ، ولم يخطر ببال عمر أنه متهم بالكفر والزندقة ، واستمر المسلمون يقولونها للخلفاء من بعد عمر ، ولم يجرؤ واحد منهم حتى معاوية أن يبطل استعمالها ، حتى جاء واحد من أسرته فأبطل استعمالها .

3 – أما عن التوقيت ، فقد أخبرتك في مناسبة سابقة ، أنني كثيرا مافكرت في كتابة خطابات لجمال عبد الناصر ، ولكني كنت أعود وأعدل عنها حتى لايساء

فهمها ، وربما وجدتم في بعض مذكراتي أو النوت التي كنت أكتب فيها مسودات هذه الخطابات التي لم ترسل .

ومن الطبيعي أن يفيض الأمر بنفسي ، بعدما علمته عن الأعداد التي تعتقل من الناس الأبرياء ، والمجهول الذي يقذفون فيه ، والعذاب الذي يقاسونه ، والموت الذي يحولهم من آدميين أحياء – مفروض أن يكونوا أحرارا – إلى مجرد أرقام مدفونة في التراب . ولم يتجرأ مخلوق أن يحدثكم بالحقيقة . فإذا لم يوجد واحد في بلد تعداده 30 مليونا ، يمكن أن يقول لحاكميه اتقوا الله ، فقل على هذا البلد العفاء وقل لحاكميه ألا تفرحوا بأن هذه حالة بلدكم .

ومع ذلك ، فما مفهوم كلمة « اتق الله » ، هل هو رمي المخاطب بالزندقة والكفر ؟ لا أعتقد ذلك أبدا ، فهي عندما قيلت لعمر بن الخطاب من واحد من عامة المسلمين ، لم يخطر على بال من قالها ، أن يدعي أنه رسول الله ، وكذلك لم يخطر على بال عمر أنه يطعنه بالكفر والزندقة ، وقلت لك في نهاية الخطاب إن أمة المسلمين خير أمة أخرجت للناس أمرها الله أن تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله وقد قلت لك في أول الخطاب : « لاخير فيّ إذا لم أقلها لك » والله يقول أيضا في ذلك : **﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ﴾** صدق الله العظيم .

وتقوى الله مراعاة أمر الله وخشيته ، ورعاية عدل الله ، ويقول الله في ذلك : **﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾** أخشى ياعبد الحكيم أن تكون هناك عقدة نفسية في هذا الموضوع ، فأنت لو قرأت كتاب الله وعرفت معانيه ، لما تطرق إلى ذهنك هذا التفكير .

4 – بعد ذلك ذكرت موضوع المؤامرات والنسف والتدمير ، وقلت : إنه كان من الأجدر أن أستنكرها بدلا من هذا الخطاب ، وسوف أقول لك حقيقة مشاعري بلا مدارة في هذا الموضوع : .

أولا : أنا لا أؤيد الجريمة بطبعي ولا يمكن أن أقرها ، ولكني أرى أن يحاكم المجرم بمحاكمة عادلة ، ثم يأخذ جزاءه الرادع .

ثانيا : إنه وخصوصا بعد تجربتنا غير الموفقة في موضوع الحرية ، فأنا لا أومن إطلاقا بأن أي نوع من الانقلاب أو التآمر يمكن أن يؤدي إلى الحرية بل سيؤدي إلى دكتاتورية أشد قطعا ، فإذا ارتكب باسم الدين كان أدهى وأمر .

ثالثا : إن جو المناقشة الحرة والمعارضة النزيهة إذا وجد ، فهو أحسن مناخ يمكن أن تتم فيه التربية السياسية ، ويمكن أن يصلح فيه الحكم ويزيد الإنتاج ، وهو بلا شك يفتح الطريق لمبادئ الحق أن تنتصر .

رابعا : إن المبالغات التي صاحبت هذا الموضوع مثل القنبلة اليدوية التي تنسف القناطر الخيرية ، تجعل المواطن الذي فقد ثقته فيما يذاع من وسائل الإعلام المختلفة على لسان كثير من المسئولين ، بكثرة مافيها من كذب ، تجعله يشك شكا كبيرا في حقيقة هذا الموضوع ومداه .

خامسا : إن قسوة الإجراءات التي اتبعت بالنسبة للناس ، والآلاف التي قبض عليها ظلما وعدوانا ولايعرف مصيرها ، تجعل الناس في جو الدكتاتورية الموجود يعتقدون أنها فرصة للقضاء على كل أثر للمعارضة ، وزيادة لتكميم الأفواه .

سادسا : إن الشيوعيين الذين أخذوا « يتتريقون» في الجرائد بالكلام والصور على الإخوان المسلمين ، لم يبرئهم الناس من التشفي في الإسلام نفسه « واهي فرصة» .

5 – أما بخصوص الكتب التي أعطيتها لبعض زواري ، فأنا في مارس 1965 – أعطيت لعباس رضوان ولصلاح نصر على ماأظن ، كل منهما نسخة ، وطبعا أعطيت لأمثالهما مثل هذه النسخ ؛ لأن مافيها يعبر عن رأيي كما قلت ، و لم ولن أتردد في يوم من الأيام في المجابهة بهذا الرأي .

6 – وأخيرا يجب أن أنبه أنه يجب التفريق ين الإسلام ، وبين أي مخلوق يحاول أن يرتكب شيئا ضد الإسلام وضد الوطن ، وألا تتخذ مثل هذه الأعمال ذريعة

لإرهاب أحد حين يحاول التعبير عن رأيه في حقيقة الإسلام ، فليحاكم المجرم محاكمة عادلة وليأخذ جزاءه ، ولكن الوزر الأكبر أن نرتكب نحن جرائم حقيقية على من لاذنب لهم ، انتقاما من جرائم تدبير الجرائم .

7 – جملة ثانية لم أفهمها أبدا ، وإن كنت تعنيها فلتجابهنى بصراحة ولا داعي للف والدوران ، أنت تقول : هل الأخوة والوفاء تعني تأييدك لهذا العمل اللا إنساني ، أو تعني أنه يجب عليك استنكاره ؟ .

فأما من ناحية الاستنكار فقد وضحت لك موقفي ، أما من ناحية تأييدي فهذا هو الافتراء بعينه . من الذي قال ذلك ؟ من الذي يفهم ذلك ؟ والله إذا كان هذا اتهاما فأنا مستعد لمواجهة هذا الاتهام ، وإذا كان خطأً في الفهم فهو موضوع آخر .

أنت تقول : (أنت تؤيد في خطابك الذي يدل معناه على ذلك وتستطرد فتقول : أي أن معنى ذلك أنك توافق على قتلنا وعلى اغتيال شعب) أنت تعلم ياعبد الحكيم ، أني لست أنا الذي أوافق على ذلك ، ومع ذلك فأي كلمة من كلماتي في هذا الخطاب تعني هذا المعنى أو تشير إليه ، هذه جناية على الحقيقة ، وجناية على الكلمات أن تحمل أي معنى آخر زيادة على الذي عنته : وهما قضية الحرية والعدل ، أما أن تفهم أني أؤيد النسف والتخريب والقتل .. إلخ ، بهذه الكلمات فكلام غريب ، وغريب جدا ، ويمكن أن يعرض على ناس غير (متوتري الأعصاب) فعلا ، لكي يقولوا رأيهم فيه ، أم أنك ياعبد الحكيم تدخل معي في مناقشة على طريقة عبود أحسن أو ستالين ؟ ليس معنى أني غير موافق على ستالين ، أني أوافق على عبود ! وكذلك ليس معنى أني أقول لكم : اتقوا الله ، أني موافق على التدمير ، والتخريب .

8 – أما الحقيقة التي يعرفها الناس ، فأنا لي رأيي وأنت لك رأيك ولو كانت هناك حرية في البلد ، لأمكن أن تعرف الرأي الصواب ، ولكن أنت في موقف الحاكم الذي لايملك أحد الرد عليه ، فلك أن تعتقد ماشئت ، ولكن تذكر أني قلت في مارس 1965 ، إنه يجب عليك معرفة رأي الناس مادمت مسئولا عن الناس ، وكان ذلك ردًا على كلامك بأنك لا تقابل أحدا ولا تتصل بأحد ، وطبعا لا يكون لك

من سبيل إلى معرفة الحقيقة إلا عن طريق التقارير ، بالضبط كما كان يراد لنا أن نعرف الحقيقة عنك أنت شخصيا عن طريق التقارير .

9 – أما عن موضوع رحلي للخارج ، فإني كنت أعني حقيقة ، الذهاب إلى المدينة المنورة وليس معنى ذلك أن السعودية بلد الحريات المفقودة . أو الإسلام الصحيح ، ولكن جو المدينة جو ملائم من الناحية الروحية ، ومع ذلك فإني لم أقصد أن أحدد غير هذا المعنى ، ولكني أفضل أي بلد عربي أو إسلامي .

10 – ذكرت لي وطلبت مني ألا أخدع نفسي ، وأن أرى الأمور على حقيقتها ، وألا أكلمك عن القانون ، وعدم التحدث في أشياء صغيرة ، فإذا كنت تعني بذلك القانون رقم 119 لسنة 1964 ، فاعلم يا عبد الحكيم أنه ليس موضوعا قانونيا ، ولكنه موضوع رئيسي لأنه هو موضوع الحرية التي تقهر . إذ إن هذا القانون يسلب الناس أي معنى من معاني الحرية ، ويعطي لرئيس الجمهورية سلطة مطلقة لم يتمتع بها أي حاكم لهذا البلد منذ قرون ، المادة الرابعة فيه تنص على أنه لا يجوز الطعن في قرار رئيس الجمهورية بأي شكل من الأشكال ، أو أمام أي جهة كانت ، أي ليس هناك إلا الله عز وجل هو الذي يطعن أمامه يوم القيامة إن شاء الله . إن الموضوع ليس مجرد قانون عادي ، ولكنه ينسف أي كلام عن الدستور المزعوم ، أو الحرية كل الحرية للشعب ، أو خلافه من الشعارات .

11 – وغريب أيضا أن ترجع ياعبد الحكيم فتناقش الأعمال التي قيل أنهم سيرتكبونها ، أنت تتساءل ، هل هذه الحرية التي أعلنها الإسلام ؟ وتقول : كلا ... وألف كلا .. بل هذا هو الكفر) .

وأنا أقول أيضا من قال إن هذه هي الحرية ؟ أم هي عودة إلى المناقشة على طريقة (عبود أحسن والا ستالين) وَمَع ذلك فهذه فرصة أتوجه بها إليكم ، راجيا أن تذيقونا طعم هذه الحرية التي أعلنها الإسلام ، مادمتم مؤمنين بالله واليوم الآخر .

أظن كلمة « اتق الله » في الإسلام لاتواجه بمثل هذا الذي جابهتمونا به ، اسمع إن الله يقول : .

﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ ويقول : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ .. ويقول : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .

ويقول : ﴿ وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ .

ويقول : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ .

ويقول : ﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾ .

ويقول : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين * وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون * إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ .

ويقول : ﴿ إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم * فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴾ .

ويقول : ﴿ وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ماجاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق ﴾ .

ويقول : **﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون * أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾** .

ويقول : **﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾** .

طبعا الحديث موجه إلى الرسول .

ويقول : **﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما ﴾** .

ويقول : **﴿ أفغير الله أبتغى حَكَماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾** .

ويقول : **﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾** .

ويقول : **﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾** .

ويقول : **﴿ ولاتدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾** .

وآيات كثيرة في هذا المعنى أن نرجع أمورنا والحكم فيها إلى الله ورسوله ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .. وإن مابيني وبينكم أحتكم فيه إلى الله وإلى الرسول .

12 – وإني لا أمنعك ياعبد الحكيم أن تعتب ولكنك تقول : إنك أصبت بصدمة حين وجدت أن هذا أسلوب تفكيري الجديد وأن هذا مايقره ضميري وهذا ما أراه حقا . العجب كل العجب أنك تصورني كيفما تريد ، وتتصور أسلوب تفكيري

كما تريد . هل سألتني عن شيء من ذلك ، لا أعتقد هذا ، ولكنك تصورت واعتقدت وقررت وحكمت ، على أشياء لاتمت للحقيقة بصلة .

إذا كنت تعتقد أني أوافق على الإرهاب والتدمير والتخريب ... إلخ . الأمر الذي لايدل عليه أي كلام قلته أو كتبته أو عمل قمت به ، ولكنه تهيوءات ، ولعبة عبود أحسن ولا ستالين .

13 – طلبت مني أن أهدأ نفسا ، وأن أطرح المسائل الصغيرة ، وأنا لم أناقش مسائل صغيرة ، وبمنتهى الهدوء وصفاء النفس أناقشك ، قلت لي : ربما تذكر أنك في الحكم وجميع السلطات في يدك سياسية وتنفيذية ، وهذه حقيقة ، وكنت حر التصرف وهذه حقيقة أيضا . وأقول : إنني طبعا لم أنكر أني كنت في الحكم ، وأنتم لاتنكرون على أني لم أدخر وسعا للعمل بتفان في كل ما وكل إليّ من أمر . أما إن جميع السلطات كانت في يدي سياسية وتنفيذية ، فهذا وهم ، إذ لم يكن لرئيس المجلس التنفيذي ، ولا للمجلس نفسه ، أي سلطة لدرجة أن أثارت ترقية توفيق عبد الفتاح في جلسة من الجلسات زوبعة ، وكان هناك النظام المعقد للوزارة المركزية ولم يكن للمجلس التنفيذي أو رئيسه أي سلطة غير أنه ممر جيد تمر عليه المواضيع . ومع ذلك ففي فترة الاتحاد القومي ، قد حاولت قدر ما أوتيت من جهد أن أخلق أحسن جو ملائم للناس جميعا من أسوان إلى الإسكندرية ليعبروا عن آرائهم بمنتهى الحرية ، والتي كانت لاتعجب كثيرا من الوزراء الذين كنت أحاول جاهدا أن يكونوا خداما مخلصين لهذا الشعب ، وأنت تعرف المجهود الذي بذل في هذا السبيل .

14 – أما بالنسبة للقوانين الاشتراكية ، فأنا لا أنكر اشتراكي فيها ولاتحمسي لها ، ولا يمكن أن أكذب على نفسي في ذلك ، ولكن الحقيقة أيضا هل نفذت القوانين الاشتراكية كما صدرت ؟ أبدا ، وهل كان المبدأ هو الملكية العامة لجميع وسائل الإنتاج كما قيل في جلسة مارس 1964 ، حيث قلت : لكم دينكم ولي دين ؟ ثم أين قرارات اللجنة التحضيرية لمؤتمر قوى الشعب الوطنية ؟ وأين التصريحات عن الحرية كل الحرية للشعب ؟ .

هل طبقت هذه التوصيات بالنسبة للعزل ؟ أبدا ! ثم المؤتمر الوطني لقوى الشعب

الوطنية أين التصريحات التي قيلت فيه ؟ وأين قرارته ؟ الميثاق نعم ! ولكن أين تقرير الميثاق ؟ كلام تافه وركيك كا يقول جمال عبد الناصر ! أنا أعلم أن للميثاق وجهين ، وجه ماركسي وآخر إسلامي ... أما الوجه الإسلامي فهذا الذي تقرر في تقرير الميثاق ، وأنت تعلم أن الناس كانوا يريدون تعديل الميثاق ، ولكن طلبنا منهم بناء على رأي جمال عبد الناصر عدم التعديل ، ولكن مايريدونه من تعديل يوضح في التقرير ، وأقر جمال عبد الناصر التقرير ، وقرر المؤتمر أن يكون التقرير جزءا لا يتجزأ من الميثاق ، وله قوته نفسها . أين هو تقرير الميثاق الآن ؟ لقد قال الشيوعيون الذين اشتركوا في لجنة تقرير الميثاق : إن هذا التقرير ينسف الميثاق من وجهة نظرهم ؛ لأنه يتحدث عن نوع خاص من الاشتراكية بمفهوم خاص ، ويحذر من نوع آخر من الاشتراكية .

ويقول : إن القوانين يجب أن تستمد من الشريعة ، وأن قيم المجتمع وثقافته يجب أن تبنى على أساس الدين ..إلخ . من الكثير الذي جاء في التقرير .

وأنا قلت في مارس 1964 : إن الميثاق وتقريره أساس جيد للعمل ، ولكن أين الميثاق وأين تقريره ؟ بدون حرية كيف يمكن تطبيق الميثاق أو تقريره ؟! أين ضمانات الحرية المنصوص عنها في الميثاق وتقريره ؟ ، أين الدستور الذي كان مقررًا أن يعمله الشعب في سنة 1962 م ؟ أين قانون الاتحاد الاشتراكي الذي عمله الشعب ؟ أين قانون الانتخاب الذي عمله مؤتمر الاتحاد الاشتراكي ؟ أين المحكمة الدستورية العليا ؟ ؟ ! أين أي قانون محترم ؟ ! ؛ أين سيادة القانون ؟! ، وإذا لم يكن كل ذلك موجودا فعن أي شيء نتحدث عن الحرية ؟ وكيف يقال : إن هذه موضوعات صغيرة ؟ .

قرارات اللجنة التحضيرية نفذت كا يريد جمال عبد الناصر بالنسبة لموضوع العزل السياسي ؛ وهو موضوع هام بالنسبة للانتخابات وغيرها ، وقانون الاتحاد الاشتراكي عمله جمال عبد الناصر والدستور منحه جمال عبد الناصر للشعب وقانون الانتخاب عمله جمال عبد الناصر والقانون 119 لسنة 64 عمله جمال عبد الناصر ؛ وجمال عبد الناصر عمل مايريد في كل هذا لها .

فهل هذه هي الحريات السياسية والتنظيمات السياسية ، التي استقلت أنت بسببها

مرة وقرأت أسباب استقالتك ؟ .

هل كنت تعني حينئذ هذه المسوخ المشوهة للحرية والديمقراطية ؟! .

15 – أما موضوع التفكير الذي تقول : إنه جديد ، فهذا الكلام قيل لي في مارس 1964 ، وأنت لايمكنك أن تنكر ولا جمال عبد الناصر يمكنه أن ينكر ، اتجاهنا الديني الإسلامي والوطني منذ تعارفنا على بعضنا ، وأنت تعلم الظروف التي جمعتنا بجمال عبد الناصر ، وتعلم أننا حلفنا على المصحف والمسدس في حجرة مظلمة في حي الصليبة مع المرحوم السندي ، وأنت تعلم كيف أننا أقنعنا الضباط سنة 1954 ، حين قلم الإخوان بحركتهم ، بأننا نسير في طريق الإسلام ، ولكن ليس بالتعصب والشعارات ، وإننا سنعمل على تطبيق الإسلام وأنا لا أعلم أننا اتفقنا على غير ذلك ، وأنت تعلم أننا كثيرا ماتحدثنا ومعك بالذات عن الاشتراكية الإسلامية ، وقد قلت : إنكم فكرتم مرة في عمل حزب آخر يحمل شعار الاشتراكية الإسلامية ، وأنا حين وجدت أن الانحراف سيجرف تياره الثورة ، قلت : إنه لا عاصم لنا إلا الإسلام وهذا كلام الله الذي قال : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ .

وأنا كنت ومازلت أعتقد في ذلك من قبل الثورة للآن ، ولكننا توهمنا أنه يمكن أن نصل إلى أهدافنا بطريقة غير صحيحة ، ولكننا يجب أن نواجه أنفسنا بالحقيقة ، فالإسلام يعطينا الحرية ، والإسلام لايعبد فيه إلا الله ، ولا نتخذ فيه من أحد من العباد إلها آخر ، يخضع الحاكم والمحكوم لحكم الله ؛ لأن الحاكم عبد الله ، الله عادل وخبير يخلق الناس ويعلم طبائعهم وهو سبحانه فوق شبهة الهوى ، فالإسلام فوق شبهة الشهوى والغرض ولذلك فما يقره الله واجب الاتباع ، وهذه بَدَهيَّاتُ الدين ، وليس في ذلك معنى التعصب ولاتحكم طوائف دينية معينة ولأي شيء من هذا القبيل ، لأن الإسلام لكل فرد ، وكل فرد يمكنه أن يتصل بروحه مباشرة بالله ، بدون وصي ولا وسيط ، وليس المجال مجال محاضرة عن الإسلام ، ولكن الذي أقوله : إن أفكاري ليست جديدة ، ولكن الانحراف هو الذي أصاب نفوسنا وإجراءاتنا ، عندما نسينا الله الذي نصرنا في كل خطوات كفاحنا في ثورة 23 يوليو ، وفي حرب السويس ، الله هو الذي نصرنا وليس الصاروخ الروسي !

16 – يا عبد الحكيم أنت تتهمني بأن عقلي يرفض أن يناقش ، من قال ذلك ؟! أنا لم أرفض النقاش ولن أرفضه ، وأنا لا أصر على رأي ، ولا أحاول أن أكون دكتاتورا ، ولكن هذه التهمة وجهها لي جمال عبد الناصر في مارس 1964 . وقد رددت عليه يومئذ بأن يسأل الناس من أسوان إلى الإسكندرية أيضا عن حقيقة ذلك في مناقشاتنا الشعبية المختلفة . أما أن تفرض عليّ عقيدة معينة غير الإسلام ، فإذا لم أقبلها كنت دكتاتورا ، فأنا لا أقبلها طبعا . وأنا أحتكم إلى الله وإلى الرسول . طبعا إلى كلام الله وسنة رسول الله ، أما أن تتهمني حين أتمسك بديني أنني ديكتاتور ، فلك ولجمال عبد الناصر أن تقولا ماتشاءان ، مادام لكما أن تقررا ماتشاءان ، أما إذا كانت هناك حرية رأي ، فليطرح ذلك على الناس لنرى من منا على صواب . أليس هذا هو الشعب القائد والشعب المعلم إلى آخر هذه النعوت ؟! .

الواقع إن جمال عبد الناصر يحاول بذلك دفاعا عن نفسه حسب نظرية الهجوم أحسن وسيلة للدفاع ، فيتهمني أني دكتاتور ، وجميع الناس يعلمون جيدا من هو الدكتاتور .

17 – وتنصحني يا عبد الحكيم وأنا أشكر لك النصح ، أن أبحث عن عيوبي ، أنا لا أدعي أيضا أن ليس لي عيوب ، فأرجوك أن تحدثني عن هذه العيوب ، حتى يمكنني أن أصلح حالي ، أو أن أرد مايمكن أن يكون فيها من توهم .

اتهمتني بأني أجعل لكلام من حولي قدسية ، وأنا لا أعرف من تقصد بهؤلاء الذين من حولي ، علاوة على أني لا أقدس كلام أحد إلا الله ، ثم تقول : إنهم يعملون طلبا للنفوذ ، وطلبا للسيطرة ، وطلبا للشهرة ، وأنا لا أدري عمن تتحدث ! وأنا أخبر كل من يزورني أن اسمه يؤخذ ، وأنصحه من عدم زيارتي حتى لايصيبه مكروه ، وفعلا قد أصاب الكثير مكروه ، وأكون شاكرا أن تدلني عن هذه الأمثلة ، التي تتحدث عنها حتى أعرف كيف تفكر أنت الآخر ، لا تتوهم يا عبد الحكيم أني لا أفكر جيدا ، أو لا أحلل جيدا ، أو أني لست صريحا مع نفسي على قدر طاقتي طبعا وفي حدود تصوري ، فمن هم ياترى الذين تقول : إني أتصور أنهم أخلص الناس إليّ والذين تتصور أيضا أني آخذ كلامهم بقدسية ؟! .

18 – تقول يا عبد الحكيم كيف أتصور الحرية في ظل الدماء والخراب ، وأعود فأقول من الذي جعلك تتصور أني أتصور هذا ، ولاتظن أني مراوغ في ذلك ، ولكنك تعلم أني لا أغش ولا أكذب ، وأنا يقينا أرفض أي تآمر أو انقلاب أو تخريب أو أي شيء من هذا القبيل ، لأني أعلم حقيقة ما لا يعلمه ربما ناس كثيرون أن الأنبياء فقط هم المعصومون وإن أي حفنة من المتآمرين مهما كانت الشعارات التي يرفعونها ستقيم دكتاتورية أعنف وأشد ، وإن الأمر لن يكون إلا حربا أهلية لاقدر الله .

فكيف تخاطبني بهذا الاعتقاد الخاطئ ؟ إنك بذلك تظلم الحقيقة ، وتظلم تفكيرك ، وتظلمني أيضا ، من يقول : إن الحرية تأتي عن هذا الطريق ؟! كل تعليقاتك عن هذا الطريق في حديثك لا محل لها أصلا مادامت مبنية على هذا الوهم الخاطئ .

19 – وتقول لي اتق الله ، وأنا لا أرفض تقوى الله إطلاقا ، وأتمنى على الله أن يمنحني تقواه ، وأن تطمئن نفسي بتقواه ، أما بالنسبة لشعب مصر ، وحياة الناس وأرزاقهم ، فإنه كان من أسهل السهل عليّ ، ولولا مصلحتهم بعد الله ، ماكنت خرجت من الحكم ، وماكنت عارضت ، وماكنت تكلمت ، وكنت أكلت (عيش وبقلاوة كان يا عبد الحكيم) !! .

20 – أما الحقيقة المرة التي تتحدث عنها يا عبد الحكيم ، فأنا لم أرها بعد إلا من جانب آخر ، وإني لا أرى الأمور إلا على حقيقتها ! .

فإذا كان لديك كلام آخر غير الذي اتهمتني به باستنتاجك الخاطئ ظلما وعدوانا ، فأكون شاكرا لو تكرمت عليّ به . أما من ناحية أني أسد أذني ، فأنا لك آذان صاغية ، ومن ناحية هواي فإنه ليس لي هوى ، ولا أريد شيئا ولا جزاء ولا شكورا ، إلا أن تحكّموا الله والرسول فيما نختلف فيه ، وليس الغرض أو الهوى كلمة تقال أو اتهام يوجه ، ولكن هاتوا برهانكم ، والتاريخ يا عبد الحكيم زوره المزورون ، وقد زوره ستالين 4 مرات وزوره خروشوف أكثر من مرة ، فهو

أخيرا لا يكذب . وأصدق تاريخ هو الذي يسجله الله لعباده .

﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾ ، ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ﴾ صدق الله العظيم .

وأنا لم أتبن أفكارا جديدة كما قال جمال عبد الناصر في مارس عام 1964 ، ولكن الحقيقة أننا اختلفنا أيديولوجيا كما قال أيضا ، أنا أحاول أن نرجع إلى الأصل الذي بدأنا منه ، وأنتم تغريكم مظاهر جديدة وأفكار جديدة وأيديولوجيات جديدة ، أنتم أحرار وأنا حر أيضا .

أما عن السلطات فأنت تعلم أنه حينما بدأنا الحديث في مارس 1964 ، قلت : إنني لا أنوي الاشتراك في الحكم ، وأنت الذي ألححت عليّ في القبول ، وحين قبلت على أساس ، ولكن انهار الأساس قبل أن نبدأ أي عمل مع بعض ، فرفضت الاشتراك رفضا قاطعا ، وأنت تعلم أني قلت مرة : أنا مستعد أن أعمل محافظا لسيناء أو أن أعمل مستشارا ، أو أي عمل مدام هناك اتفاق على المبادئ ، لكن لن أعمل بوجهين ، أو أقول خلاف ما أعتقد ، فهذا لايمكن ؛ لأن طبعي يأبى إلا أن أكون صادقا مع من أعمل معهم ، مخلصا لمن أعمل معهم ، وأشعر طبعا أنهم يبادلونني نفس الصدق والإخلاص ، لا أن يحاكموني محاكمة غيابية ، أو يقولوا عليّ من ورائي مالم يقل لك حتى الآن . رغم كل ماحدث ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه لا غرورًا ولا افتتانًا ، ولكن أشعر حقيقة بذنوب ما كان يجب أن أشترك فيها ، وإني أحاول أن أستغفر ربي لكي يكفر عني خطيئتي .

وطبيعي أنني لم آخذ نصحك بمعنى التهديد ، وعموما فحتى هذا لايضيرني شيئا ، ولله الأمر أولا وأخيرا .

والسلام

كمال الدين حسين

وانتهى اعتقال كمال الدين حسين وزوجته بوفاتها بمرض السكر ، فأفرجوا عنه يوم تشييع جنازتها ، ولم يشاطره العزاء أحد أقطاب السلطة .

وحدثت نكسة 1967 بعد أن أفرج عنه ، وحاول المشاركة في المقاومة الشعبية ، ولكن عبد الناصر قد عين لذلك عبد المحسن أبو النور حيث لم يروا له دورا .

وظل كمال الدين حسين غائبا إجباريا عن العمل العام في سن الـ 42 سنة ، إلى حين وفاة جمال عبد الناصر ، فعاودته أمنية الحياة العامة ، و لم تخمد حيويته للمشاركة في الحياة السياسية ، فاشترك مع بعض زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة المستبعدين أيام عبد الناصر ، وكتبوا مذكرة لنائب الرئيس السادات ، مقترحين العودة للمشاركة الجماعية في الحكم بعد زوال الزعامة التاريخية لعبد الناصر .

ولكن الرئيس المؤقت السادات ، رفض المزاحمة بحجة أن المناصب السياسية ليست إرثا يقسم ، وسماهم خفافيش الظلام . أعقب ذلك إصرار كمال الدين حسين على أن يظهر في مجال العمل العام ، فرشح ممثلا شعبيا لمدينة بنها في انتخابات مجلس الشعب فاكتسح منافسيه . ولكن سقوط الهيبة بينه وبين زميله السادات رئيس الدولة ، الذي كان أقل منه سلطة يوما ما ، جعله يتمرد ويتصارح بالنقد والاعتراض .

وعاود كمال الدين حسين كتابة رسالة أخرى بالعنوان الذي كتب به لعبد الناصر : « اتق الله » .

ذلك أنه على أثر حوادث 18 ، 19 يناير 1977 التي سميت ثورة الجياع لارتفاع الأسعار ، وسماها الرئيس السادات انتفاضة الحرامية ، ذلك بأن قام كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة السابق ، وعضو مجلس الشعب في ذلك الحين ، وأرسل برقيته الخطيرة باسم الرئيس السادات ، فور أن علم بأن السادات يرتب لاستفتاء لإصدار قوانين مايسمى بحماية الجبهة الداخلية ، ويعد العدة لإطلاق يده بلا رقيب في الأمور الداخلية ، وهذا نص الرسالة :

يوم 4 فبراير ، يوم مشئوم في تاريخ مصر ، « يقصد يوم أن حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين في ذات التاريخ من عام 1942 » ، وقراركم أيضا المؤرخ في

التاريخ نفسه من هذا العام ، مستغلا المادة رقم 74 من دستوركم لسنة 1971 ، الذي فصل لمصلحة الفرد الحاكم قرار خاطئ وباطل دستوريا . أحملكم وزره ، كما حملت سابقك الرئيس جمال عبد الناصر وزر القانون رقم 119 لسنة 1964 .

إن الخطر الذي تنص عليه تلك المادة من دستوركم التي تقول: « إن لرئيس الجمهورية ، إذا قام خطر يهدد الوحدة الوطنية ، أو سلامة الوطن ، أو يعوق مؤسسات الدولة ، عن أداء دورها الدستوري ، أن يتخذ الإجراءات السريعة لمواجهة هذا الخطر ، ويوجه بيانا إلى الشعب ، ويجري الاستفتاء على ماتخذه من إجراءات خلال 60 يوما من اتخاذها ، واستطرد : فإن هذا الخطر غير موجود الآن ، وكان لقصر نظر حكومتك وللسياسة الخرقاء التي درجت عليها حكومات سبقت ، لهي السبب فيما حدث يومي 18 ، 19 يناير سنة 77 .

وبدلا من أن تعاقبوا حكومتكم على تقصيرها ، وتنتظروا كلمة القضاء في مدبري الحوادث التخريبية ، وهم جميعا تحت أيديكم ، عاقبتم الشعب ، ومجلس الشعب .

وإن قراركم هذا ازدراء بعقلية المصريين وإرادتهم وحريتهم ، وامتهان لمجلس الشعب ، وضرب لكل القيم الدستورية الحقة .

واستطرد كمال الدين حسين : إنك لتعلم مدى كراهيتي للشيوعية ، ووقوفي ضدها ، ولكنك تعلم أيضا مدى حبي لمصر ، ولقد قلت في مجلس الشعب : إن تقنين الظلم ، لهو أشد أنواع الظلم ، وإن هذا الذي يجري تقنينه ، غير شرعي للظلم . وإن الاستفتاء الذي تنصبون تمثيله ، ستزوره حكومتكم المبجلة ، كما زورت كل الاستفتاءات الماضية .

ملعون – من الله ومن الناس – كل من يتحدى إراداة أمة أو يمتهن كرامة شعب . حسبنا الله ونعم الوكيل ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

نائب الشعب : « كمال الدين حسين »

وعلى أثر ذلك تكالبت عليه سدنة السلطان لتطرده من المجلس ، بجعل بنود اللائحة

قيدا ومخالب وأنياب مقننة ، أصابته كما اصابت الشيخ عاشور ، الذي أبعد من المجلس أيضا بالفصل لجرأته وتعريضه بالرئيس السادات . وكان الشيخ عاشور قد أحيل بينه وبين أخذ الكلمة في المجلس ، إبان رئاسة المهندس سيد مرعي للمجلس في عهد الرئيس السادات .[٤٠]

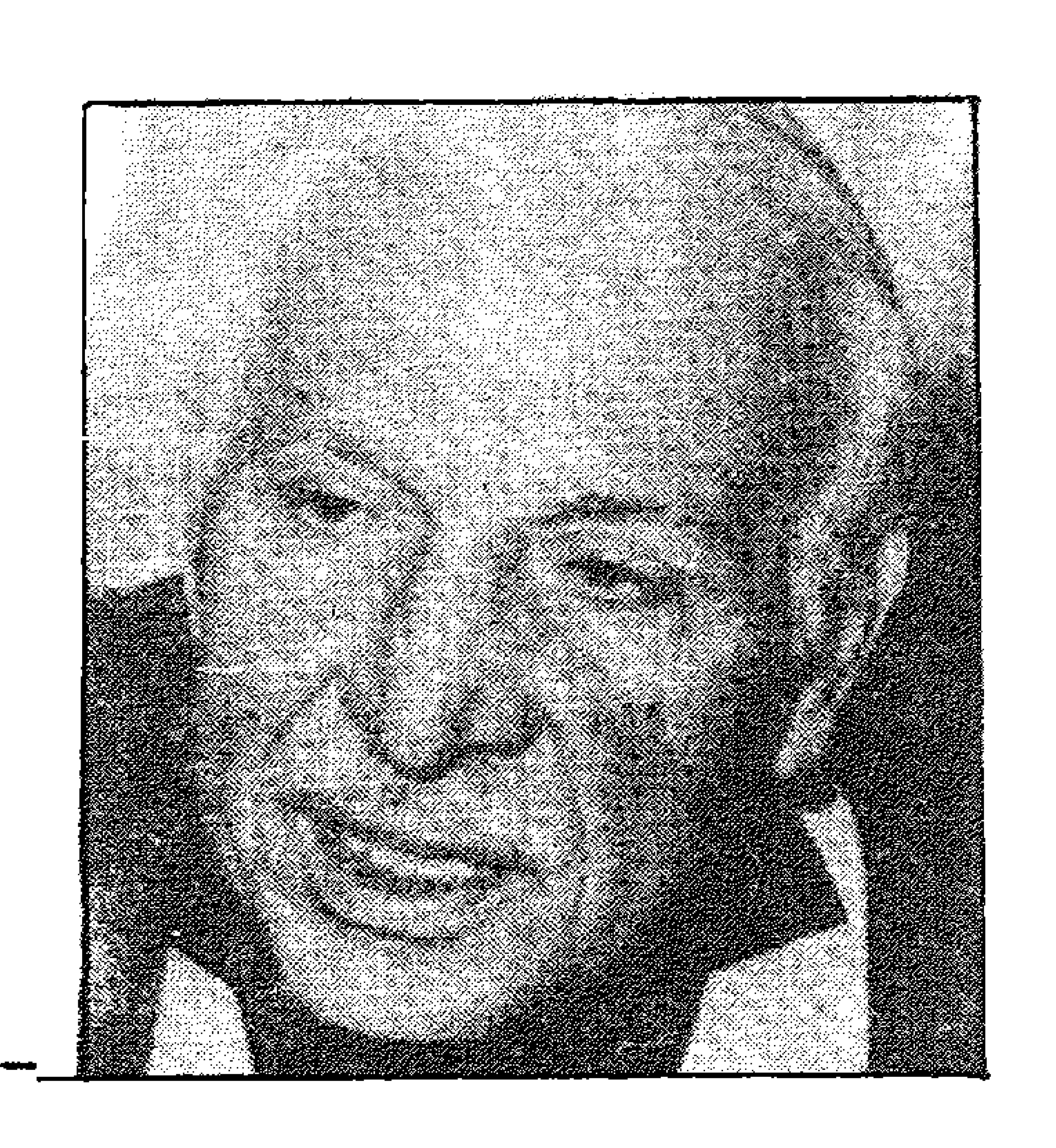
وصاح في المجلس صارخا « يسقط السادات » ، فطرد أيضا من المجلس لينضم لقائمة الخصوم .

وتوقف كمال الدين حسين من وقتها عن لعبة السياسة التي تجرح من يمارسها في غير وقتها الديمقراطي .

كما أنه لم يؤلف حزبا بعد أن رفضت لجنة الأحزاب - حزب العدالة وحزب الناصريين - وحزب المستقبل . وتوجه كمال الدين حسين إلى التعمق في الدين متصوفا ، ليجد في آيات الله وأحاديث نبيه ، عوضا عن القوانين الوضعية التي تجلب الصدام والاعتقال ، مفضلا الصمت البليغ .

وأحيانا ماينشر له حوارات صحفية عن الفترة السابقة لا الحالية ، يفيض فيها كيل المرارة لتقاعده المبكر ، وكأنه قد سقط من حالق السلطة فجأة ، وعمره أثنين وأربعون عاما إلى قاع النسيان ، وهو قادر على العطاء ، تأكيدا بأن السلطة ليس لها بمستقر .





عبد اللطيف البغدادي

ونتابع "تترات" العرض السياسي لانشقاق الثوار ، هؤلاء الذين بدأوا متحالفين ، واشتركوا وهم يقسمون بألا ينفرد أحدهم بالسلطة دون الآخرين ، وألا يلفظ أحدهم الآخر إلا إلى هامش التاريخ .

وجاء الدور دفعة واحدة على عبد اللطيف البغدادي ، وكمال الدين حسين .

كانا متقاربي الفهم ، متفقي القصد ، ليس لأحدهما مقعد الرجل الثاني أو الثالث ، اشتهر البغدادي الطيار بعصاه السحرية ، واشتهر كمال قائد المدفعية بمناصبه التعددية ، أطلق على البغدادي صاحب العصا السحرية إبان أن كان وزيرا للبلدية والقروية .

عمل على توسيع كورنيش القاهرة ، فأنذر السفارة البريطانية التي حاصرت أسوارها شاطئ نيل جاردن سيتي ، فرفضت السفارة تقهقر أسوارها ، فزحفت معدات البلدية بليل ، لينبلج الصباح عن تعري السفارة من ستر أسوارها ليتسع كورنيش النيل . تلك السفارة التي كانت من قبل تحكم مصر أيام المندوب السامي اللورد كرومر ، وكليرن ! .

وتابع البغدادي تقلد منصب القاضي للمحاكات العسكرية ، لمن اعتبرتهم الثورة العسكرية شذاذ الآفاق بالنسبة لها في جولات متكررة .

كما تولى البغداداي مناصب رئاسة مجلس الأمة حينا ، ووزارة الحربية حينا قصيرا .

كان كل ذلك قبل أن تنشط فرازة المناصب لتنحيه جانبا ! .

أما عرض دوره في تلك الثورة منذ التألق إلى أن خلع مناصبه العديدة وارتدى الروب دي شامبر ، ليروي مذكراته فيما سمي بمذكرات (الصامتون يتكلمون) ، وفي يومياته ذات الجزءين .

فقد تصدر البغدادي قديما خلايا ثورية بسلاح الطيران من الضباط الوطنيين بحثا عن دور ضد قوات الاحتلال البريطاني . ثم لم يلبث أن انخرط بخليته الصغيرة في ذلك الرافد الكبير لتنظيم الضباط الأحرار ليحتوي آماله .

وكان البغدادي مشتعل الحماس ، فياض الإحساس ، وكان عضوا مثابرا في التشكيل ، وكان يتقد حماسا لسرعة تنفيذ الانقلاب على السلطة الملكية . استعجل زملاءه في التنظيم للتبكير بالتنفيذ في يناير 1952 ، إبان حريق القاهرة اقتناعا باستثمار فرصة تواجد الجيش بشوارع العاصمة .

وعندما لم يستجب لفكرته المبكرة ، انسحب من التنظيم مبكرا ومؤقتا ، ثم اعتكف .

لكن سرعان ماعاد للتنظيم في يوليو 1952 ، وقبل اندلاع الثورة العسكرية .

وكان البغدادي معتزا برأيه ، كثير التصادم مع الرأي المخالف الذي تتبناه رئاسته ، للحد الذي يمكن أن نطلق عليه أنه (رجل الاستقالات) .

كان غضبه كياسة ، ورفضه تعقلا ، فلم يعتقل . ظلت ترفض استقالاته إلى أن اشتدت سلطات من تقدم له الاستقالات ، فصار لايربت على صاحب استقالة .

وتكمن عقدة البغدادي في مقولته عن نفسه : (تعلمت الصراحة فكانت سببا في شقائي ، وفي تعب الآخرين مني) لم يكن سليطا أو جافا مع زملائه ، وكانوا يلقبونه (بغ) .

وتوالت الأزمات التي عايشها البغدادي ، منها أزمة رئاسة مجلس الأمة ، حيث استشعر مع بعض الأعضاء انحراف مجدي حسنين في إدارة مديرية التحرير ، وإسناد

بعض تكليفات بها مدفوعة التكريم المادي للأعضاء ، وتصعد الموقف بالنسبة لمجدي حسنين الذي كان مقربا لعبد الناصر ، إلى درجة استحقاق الفصل من مجلس الأمة تطبيقا للائحة ، ولم يقبل شفاعة عبد الناصر ، ولكن نفذت مشيئة عبد الناصر في عدم المساس به بحفظ الموضوع .

وعندما تكررت تلك المواقف ، وشعر عبد الناصر أن البغدادي وكمال الدين حسين يكونان جبهة معارضة دائما ضده ، وأنهما يعوقان تحركه في تحقيق أغراضه التي لاتحد ، وأنهما يدليان بتصريحات للصحف المحلية والعربية ، فقد سارع بإصدار خطاب دوري يحض على وقف الجري وراء الصحف ، وعدم توزيع النشرات عليها بهدف الدعاية الشخصية ، أو التسابق لنسبة الأعمال للأشخاص . فأسرع البغدادي وكمال بإبداء استيائهما بأن كلا منهما هو المقصود بذلك . فسحب عبد الناصر ملاحظاته ، دافعا إياهما لتكريس الجهد لموضوع الوحدة مع سوريا ، ذلك الذي كان يفرض نفسه على الأحداث .

وبعد أولى عثرات جمال عبد الناصر ، وفشل الوحدة التي شايعها مع سوريا ، فقد حاول اللجوء إلى شيء من المشاركة الشكلية في الحكم بتشكيل (مجلس للرئاسة) بعد أن ضج البغدادي وكمال بالاعتراض على الاستئثار بالسلطة ، وبهدف حد عبد الناصر لسلطات المشير عبد الحكيم عامر .

وقد وقع البغدادي في المصيدة والفخ في مجلس الرئاسة ، حيث صدره عبد الناصر بإنابته لرئاسة إحدى جلسات مجلس الرئاسة ، إبان عرض تحجيم سلطة عبد الحكيم عامر في مسألة تعيين قادة الأسلحة وعزلهم ، ونقل ذلك من سلطة القائد العام إلى سلطات مجلس الرئاسة ، إبان أن شاعت أخبار استغلال المشير لسلطات الجيش ، وتضخم عدد من يلوذون به ، وإطلاق توزيع المزايا وجلسات الليل وسهراته ، ولما لم يكن عبد الناصر جادا في سحب السلطة من المشير كقائد عام ، بل وسارع في تعضيده فيما سبق أن دفع الآخرين لتحجيمه ، فقد استقال البغدادي وكمال من مجلس الرئاسة عندما تأكد كلاهما أن مجلس الرئاسة سلطاته مجهضة ، ولاتعرض عليه إلا التوافه من الأمور ، ولايجتمع بصفة دائمة ، وأن كل القرارات الفعلية يمارسها

عبد الناصر بصفة فردية ، وأنهما قد أصبحا في الحكم صورة وديكور لاسلطة وفعل .

وبدأ كمال بالاستقالة ، ثم أعقبه البغدادي ، كذلك حسن إبراهيم ، وانقطعوا عن مباشرة عضويتهم بعد أن تأكدوا أن عضوية المجلس جماعية شكلا ، فردية موضوعا ، ورغبوا في الانسحاب من الحياة العامة ، وعدم المشاركة في المسئولية الشكلية ، لعدم وجود المسئولية التضامنية أو المشاركة في إصدار القرارات .

وفيما يلي نص استقالة البغدادي التي بعث بها إلى عبد الناصر يوم 16 مارس سنة 1964 :

السيد رئيس الجمهورية .

بعد التحية .. .

إن موعد انعقاد مجلس الأمة الجديد قد قرب ، ومعنى ذلك بداية مرحلة جديدة من مراحل ثورتنا مما يتطلب بطبيعة الحال إعادة تنظيم الأجهزة السياسية وعلى الأخص القيادات العليا منها على ضوء تجارب الماضي ، ولما كنت غير راغب في الاستمرار في الحياة السياسية لأسباب سبق ذكرها في اجتماعنا الأخير بمنزلكم يوم 4 مارس سنة 1964 ، وهي تتعلق بالمرحلة الحالية من التنظيم ، كما تعلمون أن مبدأ القيادة الجماعية مبني أساسا على المسئولية التضامنية والمشاركة في إصدار القرارات وهو أمر حتمي لنجاح مثل هذه القيادة في مباشرة مسئولياتها . ولكنه قد ترتب على عدم وضع هذا المبدأ الأساسي موضع التنفيذ عدم قدرة هذا المجلس على القيادة والقيام بواجباته الجماعية ، وهي في نظري أساسية وضرورية لضمان الأمن والاستقرار السياسي في بلادنا في المستقبل .

ومما لا شك فيه أن هذه النتائج لها انعكاسات على أعضاء في مثل هذه القيادة . وقد تأثرت أنا شخصيا في خلال الفترة الماضية من هذه النتيجة في تحمل تلك المسئولية الضخمة ، لذا قررت من فترة ؛ الانسحاب من الحياة العامة ، وعدم المشاركة في المسئولية في المرحلة القادمة من التنظيم التي تبدأ حسب تقديري من

أول يوم لانعقاد مجلس الأمة الجديد يوم 26 مارس 1964 ، متمنيا لك وللزملاء دوام التوفيق . .

إمضاء

عبد اللطيف البغدادي

ثم تلى ذلك بمذكرة قال فيها : « لابد من تحقيق الشورى في الرأي ، إن الرأي المنفرد يؤدي إلى هلاك الأمة » .

وكانت أولى استقالات عبد اللطيف البغدادي إلى أعضاء مجلس قيادة الثورة في 14 ابريل سنة 54 ، احتجاجا على انفراد عبد الناصر برأيه ، وأملا في الديمقراطية . قال فيها :

« هل سعيت يوما وراء السلطة والسلطات ، وهل سعيت يوما وراء القوة ، وحاولت تركيز السلطة بين يدي لتأتي إليّ تسعى ، لأنهم يحبون القوة ؟ » .

حاول جمال عبد الناصر يومها الخروج من غرفة الاجتماع بطريقة عصبية ، ولما حاولوا منعه من الخروج ، قال : « هو احنا جايين هنا علشان تلقحوا علينا بالكلام ؟.. اتركوني أنا مروح » .

وأخيرا وعدهم بأنه سينزل مكتبه فتركوه ، وأخذ كل منهم يلطف الجو مطالبا بالاتحاد بين الأعضاء لصالح مصلحة البلاد ، وأحضروا جمال عبد الناصر لتسوية الموضوع ، فحضر وعانق عبدُ الناصر البغدادي ، قائلا : إنه نزل مكتبه تفاديا للصدام .

وبدأ عبد الناصر يثأر لجرأة البغدادي ، وتعريضه في جلساته الخاصة بأن عبد الناصر يغتصب الحكم ، ويستأثر بالسلطة دون زملائه الذين شاركوه الثورة ، وأوسعوا له لرئاسته لها ، ولكنه لم يعبأ بآرائهم الجماعية تجاهه ، حيث لم تكن العلاقة بين عبد الناصر و البغدادي حسنة معظم الوقت ، وإن كان عبد الناصر قد قال له يوما : (إني لم أعرفك على حقيقتك إلا اليوم ، وإن كان قد حدث بيننا سوء فهم فيما مضى ، فالسبب هو جمال سالم) . فرد البغدادي : (إني لا أسعى لمنافسة

أحد ، وعلى العموم فإني أحمد الله أنك قد عرفتني على حقيقتي في يوم الشدة) وكان ذلك بالإسماعيلية في حرب 56 .

ولم يفت البغدادي أيضا أن يعترض على اشتراك مصر في حرب اليمن التي بدأت صغيرة ثم كبرت وتضخمت ، فانتهز البغدادي فرصة حضور عبد الناصر لزيارته قبل سفره إلى الخارج لإجراء عملية جراحية ، ونبهه إلى ضرورة الخروج من ورطة حرب اليمن ، مشبها ذلك بورطة نابليون في احتلاله لإسبانيا ، مما جر عليه ويلات التكتلات الأوروبية وإضعافه وهزيمته التي أودت بمجده .

وعندما توالت تلك الاعتراضات التي تسفه وتنتقد مواقف الزعيم الملهم ، فقد اتخذ عبد الناصر مواقف عنيفة لاستقالته واحتجاجه ، فخفض معاشه ، وفرض عبد الناصر الحراسة على شقيقه سعد البغدادي ، بادعاء يلف حول الحقيقة ، وبدعوى أنه قد أثرى من عمليات مقاولات مشبوهة ، وكان ذلك حتى بعد إلغاء الحراسات نهائيا ، وتم تحويله لنيابة أمن الدولة هو وبعض مهندسي إدارة الميكانيكا والكهرباء بالهيئة العامة للإصلاح الزراعي ، ثم توالى الانتقام بأن ــ استغل عبد الناصر فرصة حضور المهندس محمد نصير ، زوج ابنة البغدادي في إجازة مع عروسه من لندن ، حيث كان يعد رسالة دكتوراة ، ومنعه من مغادرة البلاد استكمالا لمهمه .

وفي وقت خصومته مع الرئيس عبد الناصر سنة 64 ، حرص البغدادي على الإدلاء بصوته في الاستفتاء لانتخاب عبد الناصر رئيسا ، تحسباً من رصد عيون أجهزة المخابرات التي تقصت ذهابه ، وتأكدت من تصويته لصالح الرئيس ، عكس موقف كمال الدين حسين الذي لم يعبأ بذلك .

وتابع عبد الناصر حصار البغدادي بوقف إجراءات سفره للحج مع والديه مثلما اتبع ذلك أيضا مع كمال الدين حسين .

ودفع عبد الناصر رئيس مخابراته صلاح نصر ، بتشديد الحراسة ، ومنع الزوار عن البغدادي وكمال بحجة حمايتهما ، ولكنه بغرض فرض الصمت عليهما .

وظل البغدادي قعيد البيت أسير ظروف خروجه من السلطة ، لكنه ظل يتبادل

الرأي والنقاش على أثر هزيمة 67 مع زملائه خارج السلطة ؛ كمال ، وحسن إبراهيم ، وعقد اتصالا مع زملائه بجمال عبد الناصر ، مقترحين مشاركته في التأهب للمعركة في أي مكان تحدده الرئاسة لخدمتهم . ولما كان يتعذر على الورقة التي تحترق سياسيا أن يسمح لها بالعودة لممارسة دورها في اللعبة مرة أخرى وفي غير أوانها ، فقد تغاضى الرئيس عن الاستجابة لطلبه ، كما سبق أن حدث مع محمد نجيب يوم أن طالب بمشاركته من معتقله في أداء دور في حرب 1956 .

وكانت أدوار البغدادي على المسرح الباهت لنشاطه خارج فصوله ، هو تردده على غرفة العمليات العسكرية بصفة غير رسمية لمتابعة مراحل القتال والهزيمة ، دون أن يسمع له صوت ، ودمغ حرب 67 بأنها فضيحة وعار . وبعد اختفاء عبد الحكيم عامر ظل يغازل عبد الناصر دون جدوى .

وكان البغدادي من هؤلاء الذين نفضوا عن أنفسهم غطاء الصمت بعد وفاة عبد الناصر باحثا له عن دور جديد ، وقت أن وجد الساحة خالية من موزع الأدوار ، وطارد الثوار من الضباط الأحرار ، واشترك مع بعض الأحياء من أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق ، في مطالبة أنور السادات كتابة دون لقاء ، بالمشاركة في تحمل أعباء تلك الفترة الزمنية ، في غياب زعامة تاريخية ، تستوجب مشاركة الثوار القدامى في العودة لتقلد مسئولياتهم سدا للفراغ ، ثم قابله وحده نيابة عن زملائه .

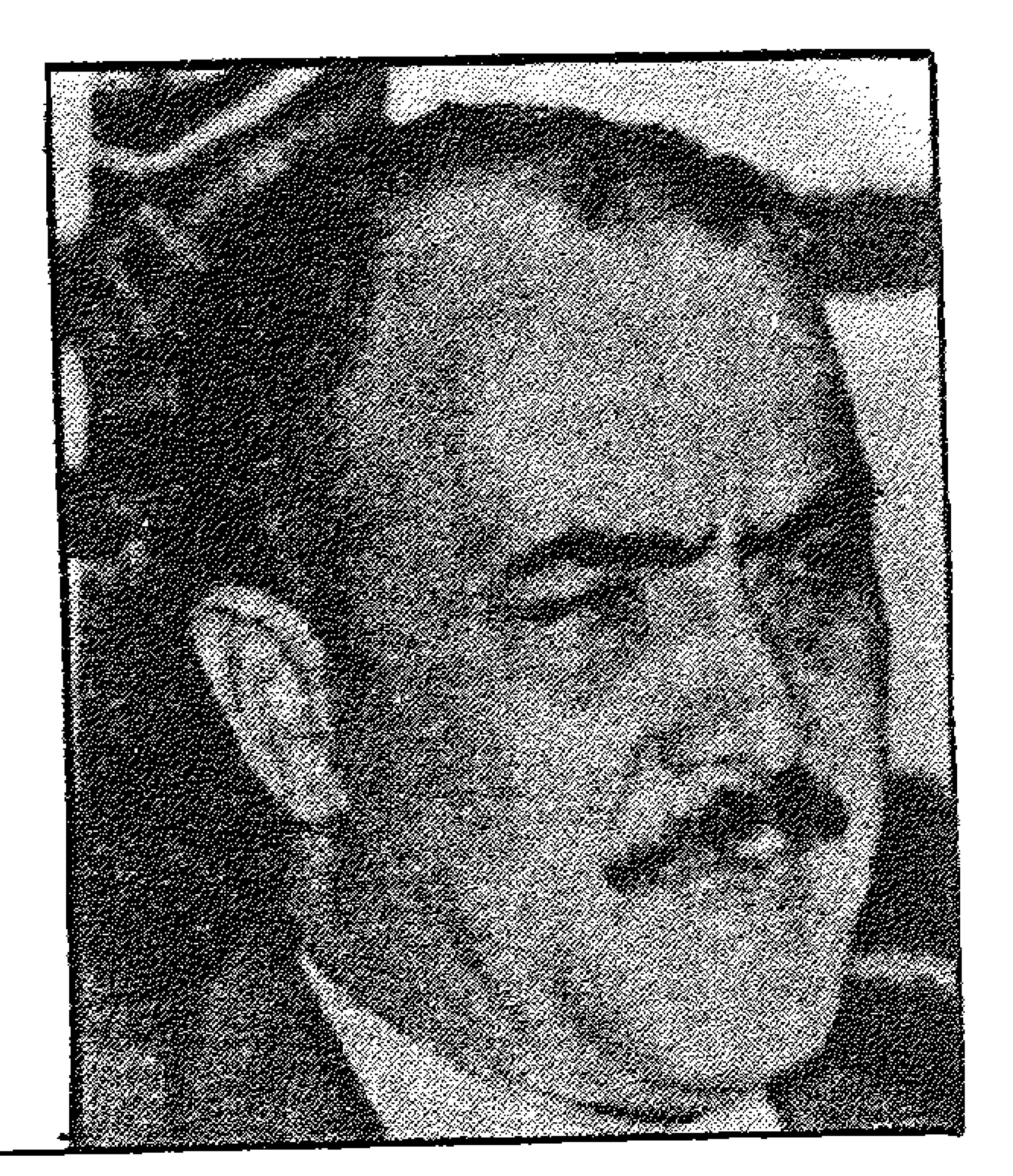
ولكن وريث السلطة الجديد ، اعتذر في دهاء ؛ حرصا منه على عدم التفريط فيما قيضته له الظروف التي ظل ينحني لضغوطها المناوئة ، رافضا المزاحمة وهو مستجيبا لذلك باختياره ، معللا تصرفه الرافض بأن المناصب ليست أنصبة شرعية تورث للمشاركين الأوائل ممن استهلكت أدوارهم ، إنما هي لمن ظلوا في مقعد السلطة يمارسون الأدوار بلا عطب يؤدي للعزل . وقد أصدر بيانا بذلك بتوقيع (عزيز صدقي) وسماهم خفافيش الظلام ، لسابق تأثر صدقي بقول البغدادي له في أحد الاجتماعات : (إن كلامك كلام صغار) .

وانزوى البغدادي راضخا لحكمة التاريخ ، بأن الثورة لن تظل حكرا في يد جيل

واحد على الدوام . ولما أشيع حاليا أنه كان مرشحا للإنابة قبل وفاة عبد الناصر ، أنكر أنه يستجدي الوصية .

وعاش تحت سماء مصر الثمانينيات في ظل جمهورية جديدة ، ليس فيها عضو من شيوخ الثورة ، وبالتالي لاتدور فيها مفرمة المناصب والأدوار . واكتفى بأمان الحياة الخاصة ، ولقاء الذكريات مع حرية كتابة انطباعاته ، وما يدونه بعيدا عن المنع والاعتراض . وملأت مذكراته أماكن العرض والمكتبات لمن أراد أن يقلب صفحات دوره الذي غاب .





حسن إبراهيم

كان من بين النجوم الثوار أعضاء مجلس قيادة الثورة ، قائد الجناح الطيار حسن إبراهيم ، وقد كان هادئا لطيفا لاموقف له ، فلا رأي مستقل يجعله يتصادم ، ولارفض صريح يجعله يتعاظم ، مرافقا مؤانسا لكل من يقوم بمأمورية سياسية ، فتراه مصاحبا للبغدادي في سفراته ووساطاته ، وتراه مرافقا لعبد الحكيم يوم أن ذهب يخطر نجيب بقرار عزله ، واصطحبه من قصر عابدين كوزير شئون الرئاسة ، إلى منفاه في قصر المرج .

أما عن كيف وجد نفسه في دائرة الثوار ، فقد كان ضابطا طيارا صديقا وزميلا للبغدادي ، وحسن عزت في أول خلايا العمل الثوري يوم أن كان ضباط الطيران يحثون لأنفسهم عن دور وطني ضد المستعمر البريطاني وسيطرته على مقدرات الوطن .

اشترك في محاولة التنظيم السري للطيران ، لإرسال المعلومات والصور التي كان التنظيم قد جمعها وحصل عليها من مواقع ونشاط القوات البريطانية في مصر – إبان الحرب العالمية الثانية – إلى القيادة العسكرية الألمانية المحتشدة في مرسى مطروح . مما عرض الملازم طيار حسن إبراهيم للنقل من سلاح الطيران ، وتأخير أقدميته سبعة ضباط ، ولكنه عاد إلى الخدمة بالطيران ثانية .

ويرجع ذلك إلى أن إحدى طائرات تلك المغامرة إلى جانب الألمان كانت هي

الطائرة المخصصة له ، وقد كان الاتفاق قد تم معه على أن يظل ملازما لفراشه بالمطار في اليوم المحدد للعملية ، حتى يتمكن الطيار الذي سيقوم بالعملية من استخدام طائرته والطيران بها .

ثم لم يلبث أن انضم مع البغدادي إلى الرافد الكبير ، وهو تنظيم الضباط الأحرار ، وقد كان مشتركا في تأمين وضع الطيران ليلة الثورة في 22 يوليو ، وأسندت إليه عضوية المجالس العسكرية للمحاكات التي عقدتها الثورة لشذاذ الآفاق من خصومها ، فتصدر منصة القضاء . غير مزود بكفاءة قانونية ، إما على يمين القاضي البغدادي ، أو على يسار القاضي جمال سالم . وأبرز ملامحه الابتسام أمام العدسات ، وشارك في محاكمة عمال كفر الدوار ، البقري ، وخميس برئاسة عبد المنعم أمين .

وكان لحبه لمدينة الإسكندرية شديد حيث إنه قد عمل فترة في تشكيل تنظيمها السياسي كأمين للاتحاد الاشتراكي بها ، وقد كان عضوا سلسا ، لايعترض إنما يجامل ، واستسلامًا منه في أزمة استقالة صلاح سالم قال : (لماذا لانحل المجلس كله دفعة واحدة ، بدلا من أن نحل مشكلة صلاح فقط ؟) .

وقد أبدى في ذلك رأيا بأن يختصر عدد أعضاء المجلس إلى العدد الذي يمكنه أن يتعاون وأن يتفاهم معا ، أما الباقون منهم فعليهم أن يستقيلوا ، وقد شبه حسن ذلك بعمارة ضخمة ولكنها آيلة للسقوط ، وبدلا من تركها تسقط على من فيها ، فإنه يفضل أن تهدم وتبنى محلها فيللا .

ثم قال : إنه إذا تم التخلص من صلاح سالم ، فلسوف يظهر صلاح سالم آخر ، عندما يعود شقيقه جمال سالم من مهمته في الخارج ، وتابع حسن إبراهيم نشاطه بالسلطة مهادنا ، يسمع بلا اعتراض ، أسند إليه بناء المؤسسة الاقتصادية مع عدم دراسته لعلم الاقتصاد ، فاقترض مبلغا يسر حاله .

فقد حدث أن عاد جمال سالم من إحدى رحلاته العلاجية ، وعندما هبطت الطائرة القادمة من لندن إلى مطار القاهرة ، وكانت تحمل جمال سالم عضو مجلس قيادة الثورة ، توقع المسئولون في المطار أن أزمة لابد أن تقع . وكان توقع المسئولون

في موضعه ؛ لأن بطل الأزمة التي سوف تنشأ كان يتحرك في قاعة كبار الزوار في هدوء ، ولم يكن يدري مايخبئه له القدر .

وعندما أعلن الميكروفون أن الطائرة القادمة من لندن قد هبطت ، دلف من باب استراحة كبار الزوار ، إلى مهبط الطائرة ، ووقف أسفل سلم الطائرة . كان بطل الأزمة المتوقعة هو قائد الأسراب حسن إبراهيم ، عضو مجلس قيادة الثورة ، ورئيس المؤسسة الاقتصادية .

وهكذا فتح باب الطائرة ، وهبط منها جمال سالم ، وبمجرد أن وقع بصره على حسن إبراهيم ، انهمرت من فمه عدة قذائف شفوية منتقاة ، وانتهت إلى قول جمال سالم : أنا أتمنى أن أرجع الحكم ، علشان خاطر حاجة واحدة : أن أحاكمك !! .

ورفض جمال سالم أن يمد يده لحسن إبراهيم ، رفض أن يصافحه ، ووقف حسن إبراهيم مذهولا من الذي أخبره بما ارتكبه !! فقد عرض عليه عبد الناصر أن يقبل رئاسة المؤسسة الاقتصادية على أساس يهدف إلى رفاهية الشعب .

فذهب حسن إبراهيم إلى الدكتور راشد البراوي رئيس مجلس إدارة البنك الصناعي ، وطلب منه سلفة 20.000 جنيه ، وبالتقسيط المريح . وكانت أموال البنك الصناعي من أموال الدولة ، ومخصص لتمويل الصناعات الصغيرة ، ولإقراض صغار الحرفيين ، بعد إجراءات طويلة ومعقدة . وفي لمح البصر كان مبلغ الـ 20 ألف جنيه جاهزا ، وعلى الفور قرر حسن إبراهيم أن يحقق الرفاهية فكان المساهم الأول في شركة النصر لصناعة الأقلام ومنتجات الجرافيت ، وكان عدد الأسهم التي اشتراها 750 سهما ثمنها 20 ألف جنيه .

وقد نشرت الصحف البريطانية عندئذ خبر تأميم أسهم حسن إبراهيم ، وذهب صحفي بريطاني يسأل جمال سالم عن مدى الطهارة الثورية التي يتمتع بها هؤلاء الثوار ، وبالطبع طرد جمال سالم ذلك الصحفي وركب الطائرة إلى مصر وكان يغلي ، وفي رأسه شيء واحد ، أن يقابل حسن إبراهيم ليشتمه ، وأن يطلب من الله أن يعود إلى الحكم مرة أخرى ، ليحاكم حسن إبراهيم على فضيحته . وسدد حسن إبراهيم

الدّين بعد استثماره .

تحدث إليه عبد الناصر عن حرب اليمن قائلا له : (لقد انزلقنا إلى تلك الحرب !) فتحفظ حسن في رده ، الوزارة الوحيدة التي أوكلت إليه كانت وزارة شئون رئاسة الجمهورية ، فقبلها ثم نائبا للرئيس فترة ، فكان ديكورا مبتسما .

تشكل مجلس الرئاسة عام 1964 فكان عضوا فيه ، لايهش ولاينش ! وعندما وجد نفسه لايؤثر ولايتأثر ، التفت فوجد أن البغدادي وكمال الدين حسين يكتبان استقالتهما من ذلك المجلس الصوري ، النادر الاجتماع ، المجرد من فلسفة الحكم الجماعي ، الذي اكتفى رئيسه بتدبير شئون الدولة باجتماعه هو وعبد الحكيم دون حاجة لمجلس الرئاسة . لذلك فقد جارى زميليه واستقال من السلطة مؤثرا الراحة وعدم المسئولية ، التي لاتناسب ضخامة المنصب الشكلي المحسوب في دفاتر مصر .

وتسلل للخروج من باب السلطة الموارب دائما ، دون أن يحدث ضجيج صك الباب خلفه ، كما كان حظه من الصعود وتقلد المناصب ضئيلا ، كذلك انشقاقه بلا دوي ، فلم يتعرض لمأزق القيود أو فقد الحرية ؛ لأنه لم يخرج على نص التساهل .

نفض حسن إبراهيم عن نفسه تراب الصدأ والنسيان في بدء حرب 67 فكتب رسالة لعبد الناصر مقلدا البغدادي قائلا :

(أضع تحت نظركم تقديري للموقف مساهمة مني في الوفاء بالالتزامات القومية التي تفرضها علينا الظروف الحاضرة ، وأتوقع عدم دخول أمريكا الحرب بقواتها ضدنا حتى لاتصير عدوة لكل العرب ، وحتى لايصير بينها وبين العرب ثأرا ، ولاحتياج إسرائيل إلى فسحة من الوقت لتجهيز نفسها . وستتدخل أمريكا وتساوم لفتح خليج العقبة بإرجاع الجزء المستولى عليه ، وعودة الوضع إلى ماكان عليه) . ونصح حسن إبراهيم بالبدء فورا في عمليات عسكرية شاملة ، حتى لانفقد زمام المبادرة وحتى نحقق ذلك ، ثم طالب بالتعبئة العسكرية والمعنوية في مصر والدول العربية . وكان في ذلك بصيرا بطلبه تدارك الضربة الأولى ، وكالمعتاد لم يسمع لرأية صدى من صاحب الضبط والربط .

وعندما سئل حسن إبراهيم ، هل كان عبد الناصر ديكتاتورا ؟ قال : هل يعني بذلك أن عبد الناصر كان منفردا برأيه ؟.. أم تعني أنه كان بغير قلب ؟ .

ثم أجاب : لقد أصيبت زوجتي بسرطان في رقبتها بعد نكسة 67 ، وقد وافق عبد الناصر مشكورا على علاجها على حساب الدولة . وذهب إلى منزله وقال لزوجته : زوجة حسن إبراهيم مريضة بالسرطان ، ادعي لها بالشفاء .

لذلك فأنا لاأرى أن عبد الناصر كان دكتاتورا ، ولكن في بعض الأوقات كانت تملي عليه الظروف اتخاذ قرارات منفردة .

نصح عبد الناصر بوقف الهجوم الإعلامي على الدول العربية ، والالتقاء بالملك حسين وغيره . كما ذكر حسن إبراهيم ـــ جمال عبد الناصر بأنه سبق وأن أعلن أكثر من مرة في الماضي أنه تم تجهيز أنفسنا لمعركة إسرائيل ، وأنه قد تم الاستعداد ، وقد صرنا قادرين على تدمير إسرائيل ، كما أننا نعد أنفسنا لهذا اليوم . ولنا أن نتقدم للمعركة ، ومن الأسباب المشجعة على ذلك موقف الاتحاد السوفيتي واستعداده لمنع الولايات المتحدة من التدخل عسكريا ، وإن هذا موقف يتحقق لأول مرة منذ عام 1948 .

كما أشار حسن إبراهيم بخطورة التراجع ؛ لأنه يترتب على ذلك صدمة فادحة وخيبة أمل من المتعلقين بالأمل في مصر . كما أشار إلى مواجهة الالتزام الدولي بعدم البدء بالعدوان ، بشن أوسع وأكبر عمليات التخريب داخل إسرائيل بالفدائيين من حدود الدول الملاصقة ، لإضعاف الروح المعنوية لإسرائيل . مع عجز إسرائيل عن القيام بأي عمليات عسكرية ضد قواتنا النظامية خشية قرارات مجلس الأمن . وأنهى خطابه بالقول : (ولست أظن أني بحاجة إلى أن أؤكد لسيادتكم مرة أخرى أننا جند في هذه المعركة ، وأنه وإن كان ثمة خطأ في تقدير هذا الموقف ، فإن مرجعه سيكون قصور المعلومات التي نعرفها ، وإنك وأنت في موضع القيادة أقدر على التقدير والتقرير) ، وحتى بعد تحلله من السلطة ، لايقوى على الفكاك من تقديس الزعامة .

وتابع ذلك بأن شارك البغدادي وكمال الدين حسين في التردد على غرفة العمليات في أثناء إدارة حرب 1967 ، مشاركا في الفرجة لا إدارة المعركة حيث إنه لم يكن في الصورة الرسمية .

وبعد أن باعدت الأيام بين حسن إبراهيم و المشاركة في السلطة ، جعل الإسكندرية مقامه ، ولقاء أصدقاء الأمس البغدادي وكمال الدين حسين سلوته . واجترار الماضي البعيد ، واستعادة صوره ، وركز نشاطه في الأعمال التجارية في مجالات الاستيراد والتصدير ، وممارسة أهوائه الخاصة غير السياسية ! دون أن يعرف له تألقا في مجال معين ، يشد الجماهير إلى قدراته ، أو يجعل له بصمات يحفظها المواطنون لتكون تراثا يضاف لتراث الشعب القيادي .

وبعد وفاة عبد الناصر ، لم يبحث له عن دور تحت الأضواء . وركن في معاش السياسة . وقد قال حسن إبراهيم في آخر تصريحاته : لقد خرجت من السلطة وكنت نائبا لرئيس الجمهورية ، خرجت وكنت مديونا ! .

والآن أصبحت أفضل من الأول ، بيتي أفضل مما كنت نائبا لرئيس الجمهورية !





زكريا محيي الدين

مازال على رقعة التاريخ بعض الذين امتشقوا السلاح ، لتغيير نظام الحكم في مصر ، من حكم ملكي جائر ، إلى حكم عسكري استبدادي .

وهنا يأتي دور ألمع من كان مسئولا عن الأمن الداخلي في مصر ، وبالتالي القهر المقنن لإسكات كل صوت يعلو فوق صوت القادة .

إنه (بيريا) مصر الشهير ، ذلك هو الصاغ زكريا محيي الدين الذي كان يعرف ماتحتفظ به الصدور ، وماتخفيه السرائر ، ويبطش بكل من يقول : إن لي رأيا في تلك الدولة ، إلى جانب رأي من غزوها بحق إعلان الثورة .

أما بيريا ذلك ، فكان وزير داخلية ستالين في روسيا الذي تعقب كل المعارضين وحولهم من سكان الأرض لسكان القبور ، حتى يتيح لستالين أن ينسج ثوب السلطة ، وأن يعزف سيمفونية نظامه بلا ضجيج .

وصار لزكريا السلطة والسلطان مادام يقول أنه يقوم بدور السياف (مسرور) الذي يحرس هارون الرشيد في قلاع ملكه ، وهو نفسه (مسرور) الذي تسمى به سياف شهريار في خيالات ألف ليلة ، فيسقط الخناجر في القلوب .

كذلك كان زكريا محيي الدين شاهرا سيفه ، منفذا كل أمر قاطع ، ومخيفا كل نجم ساطع ، فتواتر سقوط أقطاب الأحزاب ، ثم دعاة الإخوان ، وكذلك سقوط

المنشقين الأوائل ، والمجاهرين بالدعاوى الشيوعية .. في غلاية زكريا .

ولما كان كل نظام جديد لابد أن يكون له فريق العسس وقرون الاستشعار على البعد ، فقد كان للنظام الملكي القسم المخصوص ، والحرس الحديدي . كما كان لإمبراطورية إيران (السافاك) . كذلك فقد كان لابد للثورة من بناء مخالب الحراسة ضد تحرك الداخل متمثلة في مخابرات النظام .

وكان لزكريا محيي الدين فضل وضع حجر الأساس الذي توطد كعرش وكمدرسة لمخابرات صلاح نصر فيما بعد ، وذلك بعد التطوير والتحسين والتدشين ، مستنبطا من أفكار الأمريكان لحماية النظام بأحدث وسائل القهر ضمانا لعدم تكرار ليالي 23 يوليو جديدة ، ترحل فيها مجموعة ، لتنصب مجموعة جديدة لها قدرة التخطيط والتنفيذ .

وبما أن العلم والتكنولوجيا في خدمة الأغراض الشريرة ، كما هو أيضا في خدمة الأغراض الشريفة ، فلقد نجح زكريا محيي الدين في صنع أسلوب التنصت ، وابتكار فكرة كتابة التقارير ، لتتمكن القيادة الجديدة من أن تسترق السمع لدبيب النمل ، وحتى صوت الهمس .

وقاد زكريا عناصر التأسيس إلى هدف البطش والإرهاب الذي سار مشروعا لحماية السلطة ، بدعوى حماية النظام الحاكم ضد غدر الطامعين فيه ، وليستمروا هم القلة المتكلمة لضمان شيوع الأغلبية الصامته لعدم بعث طنين سيرة الديمقراطية .

وكما أن السلطة تغير الناس ، وكما يتغير المتنقلون من مناخ المرءوسين إلى مناخ الرؤساء ، فيحرص الرؤساء الجدد على أن يظلوا في السلطة ، وفي مرمى الشهرة فيتغير سلوكهم ، فقد كان زكريا محيي الدين كذلك .

وكان قبل الصدارة ، من أشجع ضباط حرب فلسطين ، ويتسلل من بين القوات الإسرائيلية لتوصيل الإمدادات والرسائل للقوات المحاصرة في الفالوجا . كما كان زكريا مسئول التحركات ليلة 23 يوليو ، وكان متسما بمظهر الهدوء وقلة الكلام ، كما كان أيضا سفير التهدئة بين المتخاصمين من أعضاء القيادة . وكان كالجراح الماهر ، يقطع

اللحم البشري في هدوء بارد مثير .

ومن أدواره أن عبد الناصر كلفه بأن يحمل مسئولية مسألة السودان من صلاح سالم عندما وقع الأخير في عقم علاجها ، بعد جولات الغابات غير المثمرة .

وعمّر زكريا محيي الدين في مواقع السلطة ، إلى أن داهمت نكسة 67 مصر . وكان زكريا مرضيا عنه ومن القلة الباقية على مسرح الأحداث ، فلابد أن يشترك في أدوار جديدة .

وعين قائدا للمقاومة الشعبية بعد اندحار الجيش النظامي ، فكان قائدا بقرار دون وجود ، لا القوات الشعبية ، ولا الممارسة الفعلية ، وكانت تلك مناصب للتغطية . ولم تحدث مقاومة شعبية ؛ لأن الشعب كان منزوع المقاومة ، كما أن الشعب لم يكن له تنظيم شعبي فعال ، لا على شكل حراس للثورة ، ولا على شكل ميليشيات خارج تنظيمات الجيش .

وبعدها وضعت الحرب أوزارها نتيجة انسحابنا ، واستجابة لنداء المؤسسات والتنظيمات الدولية ، وإشارات الدول الكبرى .

واتضح حجم الهزيمة نتيجة حدوث الارتباك والشلل في القيادة ، ولعدم جدوى الاستعراض الشكلي البشري الكثيف في متاهات سيناء الواسعة . وكذلك بسبب المساهمات الرمزية من الدول العربية متعددة القيادات ، بعكس ما كان في نظام الخلافة الإسلامية ، حيث كان محرك الجيوش واحدا ، ومصدر الأمر واحدا ، وتخرج الفيالق من جهة واحدة لتطبق على العدو من عدة جهات .

وسئل أحد المفكرين كيف تهزمون وأنتم عدة دول ، والعدو دولة واحدة ، فقال : « ولأننا عدة دول ولسنا دولة واحدة ، فذلك سبب هزيمتنا » .

كذلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وتخلفت الجثث على الرمال ، وعلت الخسائر كالأهرامات ، وعجزت المهارة الإعلامية عن إخفاء ملوقع لثقل وطأته ، فقد توارت مهارة الإعلام ، لتحل محلها مهارة استدرار العطف الشعبي ، ولتحل الشفقة

محل السخط ، ولتجمع الأنقاض وتسوى الأرض .

وبعد زلزال 5 يونيو ، جاء تقديم الحساب ، وكان يوم 9 يونيو وخطاب الاعتراف الباكي من جمال عبد الناصر على الهواء المشبع برائحة الهزيمة .

وجلس الشعب القرفصاء يستمع ، ليس من هيئة شعبية تحاسب ، بل أيضا من الرئيس ، وبعد تعديد مناقب وأفضال القيادة في السابق ، التي تجب كل هزيمة لاحقة ، فقد أعلن الرئيس الاعتراف بأنه المسئول رغم تكاثر الأعداء وخداعهم .

وأن الجيش لم يمتحن لأخذه على غرة ، تصوروا بأن إسرائيل ستظل قابعة ولن تبادر ، دون أن يفيد الحشد البشري في سيناء ، رغم شعار : نفديك برقبتنا ياريس ، بشرط ألا نفقدها ! .

ودارت ملهاة التنحي ، بعد خطاب الاعتراف بالمسئولية التي هي بلاثمن مدفوع . وقد تم رسم مسرحية التنحي بذكاء شديد ، كعادة من يدرس سيكولوجية الجماهير .

ولما كانت الجماهير عندنا تتعلق بالبطل حتى في هزيمته ، تأثرا بكسبه لجولة سابقة ، كما أن الجماهير تهجر الواقع وتستغرق في الوهم ؛ لتعودها على التخيلات التي يرسمها سحر الإعلام ، كما أن الجماهير تهيم في خداع الدعاية ، ولاتتصور سوى استحالة المحنة ، فلم تتنازل عن وهم النصر . وصدقت البلاغات العسكرية ، وكانت تحسب أن الانتقال من الخط الأول إلى الثاني هو تقهقر للأمام ، وأن التجلي القديم غير قابل للكسر . واندفعت الجماهير خلف تصوراتها الواهمة ، وكانت كاليتيم إلا من أبوة رئيسها ، الذي سيظل رئيس المهزومين ، كما كان رئيس المنتصرين .

وبفضل الإعلام وحكم التعود ، استغل أعوان عبد الناصر شعور الناس في ذلك اليوم الأغبر ، وأعد التنظيم السياسي الأوحد ــ وهو الاتحاد الاشتراكي ، الذي هو لوحة أزرار الزعيم وأرضيته ، التي تعلل كل تقصير ــ مئات الشباب ووزعوا على مختلف أنحاء القاهرة ، وحدد لهم ساعة الصفر للتحرك ، عقب خطاب التنحي ، في ثاني عرض لأزمة مارس 1954 ، حيث خرجت هيئة النقل العام تدعو لاستمرار

الثورة حينذاك .

وجلس الشعب القرفصاء يستمع إلى عبد الناصر في صوت مطعون ، وهو يودع شعبه بلا وداع ، ويجهز لسفر بلا متاع ، فالعود أحمد لأرض الضياع .

ألقى عبد الناصر بكائيته التي تستدر الدموع دون أن توقظ الوعي للتغيير ، حيث تبدل الأمل بدخول إسرائيل وسحقها ، إلى ألم من الهزيمة ، والإحساس بالعزة أصبح شعورا بالمهانة . الرجال يبكون كالأطفال في الشوارع ، الكل لايريد أن يصدق أننا هزمنا ، إن قائد البلاد أدخل في قلب كل منهم اليقين من النصر ، إن صوته في آخر مؤتمر صحفي وهو يسخر من إيدن ويقول : « أنا مش خرع زيه » ، لازال يدوي في آذانهم ، إن صوته وهو يقول قبل النكسة بيوم « إنه ينتظر المعركة على أحر من الجمر » لايزال صداه في آذانهم . ماذا حدث ، ولماذا الهزيمة ؟ ، أسئلة كانت على كل لسان ، والكل كان ينتظر البيان الذي أعلن القائد الملهم أنه سيذيعه في المساء ، وانفردت بنشره جريدة الأهرام . شوارع القاهرة خالية تماما منذ الساعة السادسة مساء ، الكل لزم منزله في انتظار البيان ، والكل ينتظر من القائد الملهم أن يحول ألمه إلى أمل ، هزيمته إلى نصر ، دموعه إلى ابتسامات ، حزنه إلى فرح . الكل يتساءل : ماذا سيقول ؟ ماذا سيقدم ؟ الذين يصدقونه ؛ وهم ملايين لايعرفونه ، يؤمنون أنه سيجد مخرجا لآلامهم ، الذين لايصدقونه لأنهم يعرفونه وهم قلائل يتوقعون أنه سيفاجئ الجميع بخطبته البليغة التي تعيد إليه ثقة الشعب فيه ، وتنسي الهزيمة .

وجاء بيان القائد الملهم على جميع محطات الإذاعة ، ونقلته شاشة التليفزيون ، أذاع البيان من مكتبه ، وظهرت صورته على الشاشة الصغيرة ، وكان يبدو عليه كل الألم ، نبرات صوته فيها انكسار وذلة تستدر العطف ، والشعب المصري شعب معروف بعاطفيته ، ينسى في لحظة كل مآسيه ، ويحاول أن يجفف دموع الغير .

بيان التنحي :

وفيما يلي نص البيان الذي كتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل .

أيها الإخوة :

« لقد تعودنا معا في أوقات النصر وفي أوقات المحنة ، وفي الساعات الحلوة وفي الساعات المرة ، أن نجلس معا ، وأن نتحدث بقلوب مفتوحة وأن نتصارح بالحقائق ، مؤمنين أنه عن هذا الطريق وحده نستطيع دائما أن نجد اتجاهنا السليم مهما كانت الظروف عصيبة ، ومهما كان الضوء خافتا .

ولانستطيع أن نخفي على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة ، لكنني واثق أننا جميعا نستطيع — وفي مدة قصيرة — أن نجتاز موقفنا الصعب وإن كنا نحتاج في ذلك إلى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية ومقدرة العمل المتفانية .

لكننا أيها الإخوة نحتاج قبل ذلك إلى نظرة على ماوقع لكي نتتبع التطورات وخط سيرها في وصولها إلى ماوصلت إليه ، إننا نعرف جميعا كيف بدأت الأزمة في الشرق الأوسط ، في النصف الأول من مايو الماضي كانت هناك خطة من العدو لغزو سوريا ، وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين كلها تقول بذلك صراحة ، وكانت الأدلة متوافرة على وجود التدبير .

كانت مصادر إخواننا السوريين قاطعة في ذلك ، وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكده بل وقام أصدقاؤنا في الاتحاد السوفيتي بإخطار الوفد البرلماني الذي كان يزور موسكو في مطلع الشهر الماضي بأن هناك قصدًا مبيتا ضد سوريا ، ولقد وجدنا واجبا علينا ألا نقبل ذلك ساكتين ، وفضلا عن أن ذلك واجب الأخوة العربية ، فهو أيضا واجب الأمن الوطني ، فإن البادئ بسوريا سوف يثني بمصر .

ولقد تحركت قواتنا المسلحة إلى حدودنا بكفاءة شهد بها العدو قبل الصديق ، وتداعت من أثر ذلك خطوات عديدة منها انسحاب قوات الطوارئ الدولية ، ثم

عودة قواتنا إلى موقع شرم الشيخ المتحكم في مضايق التيران ، والتي كان العدو الإسرائيلي يستعملها كأثر من آثار العدوان الذي وقع علينا 1956 .

ولقد كان مرور عَلَم العدو أمام قواتنا ألما لا يحتمل ، فضلا عن دواع أخرى تتصل بأعز أماني الأمة العربية ، ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة بما بلغته من مستوى في المعدات والتدريب قادرة على رده وعلى ردعه ، وكنا ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم ، وقبلنا المخاطرة .

وكانت أمامنا عوامل عديدة وطنية وعربية ودولية ، بينها رسالة من الرئيس الأمريكي ليندون جونسون سلمت إلى سفيرنا في واشنطون يوم 26 مايو تطلب إلينا ضبط النفس وألا نكون البادئين بإطلاق النار ، وإلا فإننا سوف نواجه نتائج خطيرة .

وفي نفس الليلة فإن السفير السوفيتي طلب مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل ، وأبلغني بطلب ملحٌّ من الحكومة السوفيتية ألا نكون البادئين بإطلاق النار .

وفي صباح يوم الاثنين الماضي الخامس من يونيه ، جاءت ضربة العدو ، وإذا كنا نقول الآن بأنها جاءت بأكثر مما توقعناه فلابد أن نقول في نفس الوقت وبثقة أكيدة أنها جاءت بأكبر مما يملكه ، مما أوضح منذ اللحظة الأولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو جاءت لتصفي حساباتها مع حركة القومية العربية .

ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر :

أولا : أن العدو الذي كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب ، الأمر الذي يقطع بأن هناك تسهيلات تفوق مقدرته وتتعدى المدى المحسوب لقوته ، قد أعطيت له .

ثانيا : فإن العدو غطى في وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية في الجمهورية العربية المتحدة ، ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته

العادية لحماية أجوائه من أي رد فعل من جانبنا ، كما أنه كان يترك بقية الجبهات العربية لمعاونات أخرى استطاع أن يحصل عليها .

وثالثا : فإن الدلائل واضحة على وجود تواطؤ استعماري معه ، يحاول أن يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق سنة 1956 ، فيغطي نفسه هذه المرة بلؤم وخبث ، ومع ذلك فالثابت الآن أن حاملات طائرات أمريكية وبريطانية كانت بقرب شواطئ العدو تساعد مجهوده الحربي ، كما أن طائرات بريطانية أغارت في وضح النهار على بعض المواقع في الجبهة السورية وفي الجبهة المصرية إلى جانب قيام عدد من الطائرات الأمريكية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا .

ولقد كانت النتيجة المحققة لذلك أن قواتنا البرية التي كانت تحارب أكثر المعارك عنفا وبسالة في الصحراء المكشوفة ، وجدت نفسها في الموقف الصعب ؛ لأن الغطاء الجوي فوقها لم يكن كافيا إزاء تفوق حاسم في القوى الجوية المعادية ، بحيث إنه يمكن القول بغير أن يكون في ذلك أي أثر للانفعال أو المبالغة : إن العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات على قوته العادية .

ولقد كان هذا هو ماواجهته أيضا قوات الجيش العربي الأردني التي قاتلت معركة باسلة بقيادة الملك حسين الذي أقول للحق وللأمانة : إنه اتخذ موقفا ممتازا ، وأعترف بأن قلبي كان ينزف دما وأنا أتابع معارك جيشه العربي الباسل في القدس وغيرها من مواقع الضفة الغربية في ليلة حشد فيها العدو من قواه المتآمرة ما لا يقل عن أربعمائة طائرة للعمل فوق الجبهة الأردنية .

ولقد كانت هناك جهود رائعة وشريفة .

لقد أعطى الشعب الجزائري وقائده الكبير هواري بومدين ، بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة وأعطى شعب العراق ، وقائده المخلص ، عبد الرحمن عارف ، بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة . وقاتل الجيش السوري قتالا بطوليا ، معززا بقوى الشعب السوري العظيم وبقيادة حكومته الوطنية . واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة .

ووقفت شعوب الأمة العربية جميعا بغير استثناء على طول امتداد الوطن العربي موقف الرجولة والعزة ، موقف الإصرار على أن الحق العربي لن يضيع ولن يهون ، و أن الحرب دفاعا عنه ممتدة مهما كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمي الأكيد .

وكانت هناك أمم عظيمة خارج العالم العربي قدمت لنا ما لايمكن تقديره من تأييدها المعنوي .

لكن المؤامرة ، ولابد أن نقول ذلك بشجاعة الرجال ، كانت أكبر وأعتى ، ولقد كان تركيز العدو الأساسي على الجبهة المصرية التي دفع عليها بكل قوته الرئيسية من المدرعات والمشاة معززة بتفوق جوي رسمت لكم من قبل صورة لأبعاده . و لم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل خصوصا مع التفوق المعادي في الجو .

ولقد أدركت أن تطور المعركة المسلحة قد لايكون مواتيا لنا ، وحاولت مع غيري أن نستخدم كل مصادر القوة العربية ، ولقد دخل البترول العربي ليؤدي دوره ، ودخلت قناة السويس لتؤدي دورها ، ومازال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربي العام ، وكلي ثقة في أنه سوف يستطيع أداءه .

ولقد اضطرت قواتنا المسلحة في سيناء إلى إخلاء خط الدفاع الأول ، وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثاني ، ثم استجبنا لقرار وقف إطلاق النار أمام تأكيدات وردت في مشروع القرار السوفيتي الأخير المقدم إلى مجلس الأمن ، وأمام تصريحات فرنسية بأن أحدا لايستطيع تحقيق أي توسع إقليمي على أساس العدوان الأخير ، وأمام رأي عام دولي خصوصا في آسيا وأفريقيا يرى موقفنا ويشعر ببشاعة قوى السيطرة العالمية التي انقضّت علينا .

وأمامنا الآن عدة مهام عاجلة :

المهمة الأولى أن نزيل آثار هذا العدوان علينا ، وأن نقف مع الأمة العربية موقف الصلابة والصمود ، وبرغم النكسة فإن الأمة العربية بكل طاقاتها وإمكاناتها قادرة على أن تصر على إزالة آثار العدوان والمهمة الثانية أن ندرك درس النكسة ؛ وهناك

في هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية :

واحد : إن القضاء على الاستعمار في العالم العربي بترك إسرائيل بقواها الذاتية ، ومهما كانت الظروف ومهما طال المدى ، فإن القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على الفعل .

اثنين : إن إعادة توجيه المصالح العربية في خدمة الحق العربي ضمان أولي ، فإن الأسطول الأمريكي السادس كان يتحرك ببترول عربي ، وهناك قواعد عربية وضعت قسرا وبرغم إرادة الشعوب في خدمة العدوان .

ثلاثة : إن الأمر الآن يقتضي كلمة موحدة تسمع من الأمة العربية كلها ، وذلك ضمان لابديل له في هذه الظروف .

نصل الآن إلى نقطة هامة في هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا : هل معنى ذلك أننا لانتحمل مسئولية في تبعات هذه النكسة ؟ .

وأقول لكم بصدق — وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفي في الأزمة — فإنني على استعداد لتحمل المسئولية كلها ولقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدوني عليه ، لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي ، وأن أعود إلى صفوف الجماهير أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر . وإن قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها ، وأريد أن يكون واضحا أمامهم أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر ، والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائما بأنها إمبراطورية لعبد الناصر ، وليس ذلك صحيحا ؛ لأن أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر .

ولقد كنت أقول لكم دائما : إن الأمة هي الباقية وأن أي فرد مهما كان دوره ، ومهما بلغ إسهامه في قضايا وطنه هو أداة لإرادة شعبه وليس هو صانع هذه الإرادة الشعبية .

وتطبيقا لنص المادة 110 من الدستور المؤقت الصادر في شهر مارس سنة 1964 ، فلقد كلفت زميلي وصديقي وأخي زكريا محيي الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية ، وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة .

وبعد هذا القرار فإنني أضع كل ماعندي تحت طلبه وفي خدمة الظروف التي يجتازها شعبنا . إنني بذلك لا أصفي الثورة ، لأن الثورة ليست حكرا على جيل واحد من الثوار ، وإني لأعتز بإسهام هذا الجيل من الثوار ، لقد حقق جلاء الاستعمار البريطاني وحقق استقلال مصر ، وحدد شخصيتها العربية ، وحرر سياسة مناطق النفوذ في العالم العربي ، وقاد الثورة الاجتماعية ، وأحدث تحولا عميقا في الواقع المصري ؛ أكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته ، وعلى نتائج العمل الوطني ؛ واسترد قناة السويس ، ووضع أسس الانطلاق الصناعي في مصر ، وبنى السد العالي ليغرس الخضرة الخصبة على الصحراء المجدبة ، ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادي النيل الشمالي كله ، وفجر موارد البترول بعد انتظار طويل ، وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسي ، تحالف قوى الشعب العاملة الذي هو المصدر الدائم لقيادات متجددة تحمل أعلام النضال الوطني والقومي مرحلة بعد مرحلة ، وتبني الاشتراكية وتتحقق وتنتصر .

إن ثقتي غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطني ، للفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، إن وحدته وتماسكه والتفاعل الخلاق داخل إطار هذه الوحدة قادر على أن يصنع — بالعمل وبالعمل الجاد وبالعمل الشاق كما قلت أكثر من مرة — معجزات ضخمة في هذا البلد ليكون قوة لنفسه ولأمته العربية ولحركة الثورة الوطنية وللسلام العالمي القائم على العدل .

إن التضحيات التي بذلها شعبنا وروحه المتوقدة خلال فترة الأزمة والبطولات المجيدة التي كتبها الضباط والجنود من قواتنا المسلحة بدمائهم سوف تبقى شعلة ضوء لاتنطفئ في تاريخنا ، وإلهاما عظيما للمستقبل وآماله الكبار . لقد كان الشعب رائعا كعادته ، أصيلا كطبيعته ، مؤمنا صادقا مخلصا . وكان أفراد قواتنا المسلحة نموذجا مشرفا للإنسان العربي في كل زمان ومكان ، لقد دافعوا عن حبات الرمال في

الصحراء إلى آخر قطرة من دمهم ، وكانوا في الجو ــ وبرغم التفوق المعادي ــ أساطير للبذل والفداء وللإقدام وللاندفاع الشريف إلى أداء الواجب أنبل مايكون أداؤه . إن هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن ، إنه موقف للمثل العليا وليس لأية أنانيات أو مشاعر ودية ، إن قلبي كله معكم ، وأريد أن تكون قلوبكم كلها معي وليكن الله معنا جميعا أملا في قلوبنا وضياء وهدى ».

* * *

وخرجت المجاميع المدفوعة ، تعقبها بالإيحاء الأمواج المنومة مغناطيسيا هاتفة بنداءات منغومة بطلب العودة للحكم ، وبالفداء بالروح والدم ، الذي لم يهرب بعد من الوجوه ! .

وأيدت الجماهير بدل أن تثأر بالغضب لمائة ألف شهيد ، كانوا قد انحشروا في الزحام في استعراض كان يظن أنه استعراض خيلاء وتخويف ، فإذا به استعراض تيه في الصحراء وتشريف .

ولم تأبه الجماهير بما حدث من قيادة سيئة الأداء ، أدى تكتيكها لهروب كل من تحمله قدماه كالمصري التائه في الصحراء ، بعد أن كان اليهودي وحده هو التائه في التاريخ . وكنا ننتظر الخطاب المعلن عنه ، وكل الناس لاتدري حجم الهزيمة ، كنتيجة لإخفاء كل شيء عن الشعب كسياسة تبجيل من في السلطة .

وظننا أن الحاوي سوف يخرج من جرابه خدعة جديدة نصفق لها ، تصورا بأن الصدق ليس هو واقع الحال ، إنما الصدق فقط هو مايقال .

فإن الشعوب الحية لاتقبل أي تعليل بعد الهزيمة ؛ لأن كشف قوة النظام نتيجة أفعاله ، لاقياسا على دعايته وأقواله .

كما أن الشعوب الحية تجبر المسئولين عن القيادة على دفع ثمن الأعمار المهدرة ، وقوات التشريفة التي لبست الزاهي من الثياب ، وإذا بها تجندل بفعل الجنازير المجنزرة والنابلم الحارق . لكننا قد أخذنا نهلل ونصرخ وننادي ببقاء البطل الذي لم يعد بطلا ، ولم نطالبه بأي فرق حساب مابين الوعود والواقع .

وكان آخر الخطاب هو التنحي عن السلطة اختيارا لا إجبارا . وتم استدرار عطف البسطاء بإعلان قرار التنحي تاما ونهائيا عن أي منصب رسمي ، أو دور سياسي ، والعودة لصفوف الجماهير لأداء الواجب كأي مواطن آخر ، وكان مرتديا في خطابه اسم مصر الكبير قائلا : (بأن العدوان سببه العداء له شخصيا من أمريكا ، وأنه سيفتدي مصر بتقاعده) .

وأبت سلطاته التي لاترده، وتزعمه حتى على المستقبل ، إلا أن يختار خليفته ، وكان كل ذلك مصيدة اختبار ، لمن يتجرأ على احتلال المكان . ولو كان المتنحي الكسير يحس بهول ماصنع نظامه ، لكان عليه أن يوجز لا أن يطنب ، يقل في الكلام ولايفرد السطور الرنانة . كان يكفي بيان قصير لايذكرنا بالماضي بل بالحاضر ، ويترك للشعب أن يختار من يراه .

ولكنه أبى ذلك كعادة امتلاك قمة المنابر الخطابية ، دون أن يجرؤ أحد على مواجهته ، مع أن نغمة الهزيمة نشاز ، وأنه ليس في البكاء طرب .

فقد استكملت قصيدة النواح ، وخرجت الجماهير التلقائية الحركة ، خلف المجاميع المدفوعة تنادي بأن : لا رئيس إلا أنت ياناصر . فانطبق عليه قول الشاعر أحمد شوقي في مسرحية « مصرع كليوباترا »

اسمع الشعب (صديقي) كيف يوحون إليه
ملأ الجو هتافا بحياتي قاتليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
ياله من ببغاء عقله في أذنيه

وتدفقت الجموع بدل أن تبكي القتلى ، أخذت تتشبث بالوجه الذي سيغيب ، إذن لمن سيغني عبد الحليم حافظ : يافاتح باب الحرية .. ياريس ياكبير القلب ، إحنا الشعب ؟! الشعب الذي فقد الوعي ، ويطالب القيادة بالاستمرار في مواقعها ، منتصرة كانت أم مهزومة .

وكان لابد من (الدوبلير) بديل الفنان الكبير ، الذي يمثل دوره أثناء اللقطات البعيدة ، ومتحملا عنه ، لذلك اختير زكريا محيي الدين ، فلم يقل مباشرة آمين ؛ ربما لعظم المسئولية ، ربما تحسبا من مصيدة الاختيار ، وقيل إنه وجه يميني يصلح للتفاوض مع الولايات المتحدة ، وإن ذلك غزل لها وتخويف للاتحاد السوفيتي ، الذي

يرى في زكريا عدوا للشيوعية .

وأعلن زكريا محيي الدين بيانا بأنه فوجئ بقرار عبد الناصر ، كما فوجئ بذلك الاختيار دون استشارته ، وأنه يرفض هذا القرار . وذلك تأكيدا بأنه لاأحد في حجم الزعيم ، خشية أن تروح السكرة ، وتأتي الفكرة ، ويتعرض لحساب القبول المبكر لاعترافه بمقدرته على ملء المكان ، ولم يهنأ زكريا بما دفع إليه ، ولم يحدث الطبيعي من الأمور ؛ وهو أنه إذا ماعاد الأصل ، فليستمر المقترح البديل في موقعه القديم ، إنما لعبة السياسة يحدث فيها كل ماهو غير منطقي أو مقبول ، فما هي إلا شهور حتى احترقت تلك الورقة في لعبة « البصرة » أمام الولد الذي يقش ، بعد عودة الرئيس الذي تنحى دون تنحٍّ ، وأعيد انتخابه دون أصوات ، وكأن مصر عقيم وغير ولود ! .

وبتلك العودة المتوقعة ، اختفت تلقائيا صورة بيريا ، لتطبع عشرات النسخ من بيريا جديد ، مادام لم يوضع سلاح العسكريين ، ويحكم المدنيون بانتخابات حرة عامة ، في ظل حرية تكوين الأحزاب . حيث تحدد أصوات الجماهير ، من يحكم ، ومن يخرج من الحكم .

وليكن لنا في ديجول فرنسا من قبل ، وفي سوار الذهب السودان فيما بعد ، أسوة حسنة ، حيث هجع كلاهما راضيين ، هانئين ينعمان بحديث المدفأة ، ليتركا الحياة السياسية لوجوه ، لم يعطبها طول البقاء ، واستمرت القيادة في موقعها المعكر برائحة هزيمة المعركة الخاطفة لغسلها .

وشاء القدر أن يكتب لمصر ثلاثية : سنوات الانصهار سنة 1956 ــ سنوات الانفجار سنة 1967 ــ سنوات الانتصار سنة 1973 .

ونحن هنا بصدد الانفجار سنة 1967 ، حيث تصاعدت ادعاءات ، وتصارعت قدرات في أفق الشرق الملتهب بلون قرص النار بعد الجهر بالنوايا التي كانت تغيب خلف التخوم .

فقد حدث أن كان في الباطن إرهاصات حمم تضطرم ، وكانت تفاعلاتها تعلو إلى السطح لتكون بوادر انشقاق التربة للانطلاق ، منذرة بتصاعد الانصهار الذي سيتحول إلى انفجار .

وكان الانفجار الذي تنبئ عنه الأحداث هو انفجار الحرب في الشرق الأوسط بين إسرائيل ككتلة ، ومصر وسوريا والأردن ككتلة مواجهة ، ذلك الانفجار الذي كان مرتقبا بفعل : إسرائيل التي تدبر له كأسلوبها للتسوية لحسابات مؤجلة لتعميد خريطة وجودها في الشرق الأوسط ، ولتمتد عبر المنافذ البحرية المطلة ، والممرات الجبلية المسيطرة في لحظة وثام تاريخي يستدعي جدولة المطالب الجغرافية .

وكانت مصر وسوريا والأردن قد بوغتوا بانقضاض إسرائيل دون استعداد متكامل منهم .

وكانت مشاغل مصر متمثلة في أنها مشتبكة عسكريا في اليمن ، وفي « لخمة » التجمعات التي تدعو إليها فوق طاقتها دوليا وإفريقيا وعربيا ، وفك التشابك بين الفرقاء ، وتبني حبو الثورات الصاعدة وتلقيها فور خروجها من شرانقها ، مع انشغالها عن تصعيدها الذاتي لكي تنمي ديموقراطيتها وإنتاجيتها الطفولية .

وكانت مشاغل سوريا متمثلة في كثرة الانقلابات التي هدتها وسط ضباب الوصول إلى اتجاه وحدوي شريطة أن يكون تحت زعامة بعثية ، بحد سيف الجيش المسيّس على حساب احترافه القتالي الذي جعل من كل ضابط زعيما ! .

وكانت مشاغل الأردن متمثلة في الدمج بين خليط من البدو والحضر ، الهاشميين والفلسطينيين ، إلى جانب جهد الجبابرة لوقف إصابة الملكية بداء الانقلابات المجاورة ، وفي لحظة تصديق دعائي دشنت المملكة آمالها نحو الإقبال على دعوة لتحقيق أحلامها التاريخية في استكمال الضفة ، وفي الاستيطان في القدسين القديمة والجديدة ، لتتحول من دويلة إلى دولة بضربة مواتية .

هذا بينما إسرائيل ترتب و « جونسون » أمريكا « يتلمظ » ليؤمن ضرب فيتنام من منغصات دعاوى عدم الانحياز ، مراهنا على هدم معبد المشاكسة المصرية التي

تتعبد في محراب القومية وتجميع دول عدم الانحياز ضد الغرب .

أما باقي العرب فقد كانت تتقدمهم أولوياتهم الإقليمية الوطنية سابقة لاتجاهاتهم القومية شريطة ألا تضار مصائرهم المحلية بذخائرها لطبقاتها الحاكمة .

وقد بدأت تبرز البنية القتالية للضغط عليها بعوامل المصير والتاريخ وحركة المستقبل . وتسرب البخار كمقدمة ليخترق السطح الرقيق الذي أنهكه الدق والحفر والاحتراق .

وتصاعدت الحمم الملتهبة ، وامتد خط النار يشعل الأفق العربي ، ووقعت الحرب الكارثة ، حرب سنة 1967 ، خصما من أمجاد العرب أيام حمل السيوف .

ودمر الإعصار مصر وسوريا والأردن ، واجترأت الشراذم على الاستحواذ على الحدود التاريخية في غيبة القوة الذاتية والعدل الدولي ... .

وتصور الباقون أن عار الهزيمة ليس بعارهم ... .

وكنّا نحسب أن حرب العرب واحدة ... .

فقد راهنت الدول الثلاث على جثث الرجال ... .

بينما راهن الأخرون على الشجب ... والبترول .... والدينار !... .

* * *

و لم يعرف عن زكريا محيي الدين ، أي رغبة في حب العودة للسلطة ، و لم يشترك في المطالبة كغيره بالعودة للمشاركة في السلطة ؛ لا في وجود عبد الناصر ، ولا استثمارا لوفاته بدعوى زوال زعامة تاريخية . وكان السادات في أول توليه يتوجس منه خيفة ، ولايطيق سماع اسمه .

إنما تفرغ زكريا محيي الدين لأعمال التجارة والزراعة ، واستثمار أراضيه وحدائقه ومزارعه في القليوبية . و لم يحن للعودة كبعض زملائه للتمثيل البرلماني ، ليأخذ جانبا من الصورة التي كان يتوسطها يوما ،وصار عازفا عن الخروج من دائرة صمت الصامتين . و لم ينشر حتى مذكرات ، وكأنه قد اقتنع بأن لكل عصر رجاله ، وبأن

القيادة ليست احترافا لجيل يتسيد كل الأجيال ، ويرسم خطى مسيرها ويلون مصيرها دون أن يشيب ! .

وانزوى طائعا مختارا بلا استبعاد ، يوم أن رأى التشيع للاتجاه للشرق دون الغرب . وبينما رأت الأجيال الحالية صور الثوار في شيخوختهم ، احتفظ زكريا في الذاكرة الشعبية بصورته الشابة في خيالهم .

وكما أن للسلطة مجال المدح ، فقد كانت أيضا سلطة زكريا مجال القدح . فقد قيلت عنه فكاهة : إنه زكريا غلاء الدين ، وبطل مصر في رفع الأسعار ، وذلك وقت أن تولى رئاسة الوزارة التي زيدت فيها الأسعار وحدث الغلاء ، فكان اتهاما لصق به ، دون أن يكون هو محرك الأمور ، أو رافع الأجور .





عبد الحكيم عامر

الانشقاق الكبير

وكان الانشقاق الكبير ـــ انشقاق الرجل الثاني عبد الحكيم عامر ؛ ذلك صاحب النصيب الأكبر في صراع السلطة العسكرية على مسرح الحياة السياسية ، وصاحب اللقب الأوحد في تاريخ العسكرية المصرية ، والذي وصفه (هيكل) بأنه نصف فنان ونصف بوهيمي ، إنه الصاغ الذي تضخم لقبه : إلى المشير الخطير ، حيث اللقب المستكشف حديثا كان زيادة في الأبهة والتفرد المتميز . وقال عنه هيكل : « إنه عسكريا توقف عند رتبة صاغ ، أي أنه لايستطيع أن يقود جيشا ، لكنه يستطيع أن يقود كتيبة » .

ورتبة « المشير » العسكرية ، يجب أن تكون مقصورة على القائد العسكري الذي قاد جولة حرب متكاملة وحقق فيها إنجاز تجهيز أرض بإحراز نصر عسكري ، ورد المعتدي عن التراب الوطني . على أن يكون قابلا لتجريده من الرتبة وتقاعده ، في حالة هزيمته بمحاكمته أو تقاعده ، فلا ترجمة إنجليزية له بجنرال ، أو ماريشال في مفردات اللغات الحية .

بدأ يلعب دوره في شبابية متألقة ، إنه رجل صعيدي كابد حياة المعسكرات ، وتعرف على عبد الناصر في منقباد بأسيوط . .

ولما عادا للقاهرة أقاما معا كشايين عزبين ، جمعتهما الاهتمامات السياسية ، ثم نقل عبد الناصر إلى السودان ، وجمعتهما مرة ثانية دراستهما في كلية أركان الحرب 1948 ، وعندما نجحت الثورة تتابع جمال ، ثم عبد الحكيم كمدير لمكتب القائد العام محمد نجيب ، وبعدها رشحه جمال قائدا عاما للجيش ، محل نجيب الذي تولى رئاسة مجلس القيادة ، ومجلس الوزراء ، ورئاسة الجمهورية .

ورفض نجيب ترقيته من رتبة الصاغ لرتبة اللواء وتعيينه قائدا عاما لكل القوات المسلحة ، حيث لم يكن لذلك سابقة في الجيش ، رغم أن عبد الحكيم هو الذي رشح نجيب لكي يتولى قيادة حركة الجيش ؛ لأنه كان يعمل أركان حرب فلسطين ، مؤثرا إياه على اللواء فؤاد صادق الذي كان مرشحا لرئاسة الثورة ، لأنه كان قائدا للقوات المصرية في فلسطين ، ويتمتع بسمعة حسنة ، ثم خضع نجيب لذلك تحت ضغط وإلحاح أعضاء مجلس القيادة ، رغم أن ذلك قد عرض نجيب بعد تركه للقيادة العامة ، لمركز ضعف ساقه للعزل .

ويقول نجيب : إنه وجد في عبد الحكيم ضابطا ذكيا ودقيقا في عمله ، ثم مالبث نجيب أن سحب اعتراضه ، واقتنع باقي العسكريين المعترضين ، بقفز عبد الحكيم عامر لأربع رتب عسكرية مشيعا بأنه من العبقريات العسكرية النادرة ، مشبها إياه بالإسكندر الأكبر كقائد صغير ناجح ، وكان من نتائج تعيين عبد الحكيم قائدا للجيش أن أبعد بقية أعضاء مجلس القيادة عن وحداتهم العسكرية لترك حرية العمل للقائد العام ، وحتى لايتسببوا في سوء التفاهم بارتباطهم بعلاقات مع زملائهم الضباط في الجيش .

وكان ضباط مكتب القائد العام يعملون على تقريب الضباط من عبد الحكيم بخدمات تقدم لهم ليزدادوا ولاء ، حتى أصبح لاهم لكثير من الضباط سوى التقرب من عامر وعبد الناصر ، فأحكما قبضتيهما على الجيش دون زملائهما أعضاء مجلس القيادة .

وزاد التقارب الوجداني بين عبد الحكيم الرجل الصعيدي ، وعبد الناصر الأكثر منه صعيدية في جغرافية النشأة . وتعاونا على التغيير من حكم الملوك ، إلى حكم

الجنرالات . وهكذا قيض الله لعبد الحكيم عامر قصة الظهور كفرقعة حظ ، ضابط شاب ظهر مابين الأربعينيات والخمسينيات ضمن مجموعة الضباط الأحرار ، الذين أنهوا الحكم الملكي الاستبدادي ليتملكوا هم ناصية الحكم الفردي العسكري غير الديموقراطي .

وكان عبد الحكيم أول المحظوظين في الصف الأول ، فكان أول المتفاهمين مع من هو في مقدمة الصفوف جمال عبد الناصر ؛ لذا فقد نصب بتزكية من عبد الناصر قائدا عاما للجيش ، ومن العجب أنه حتى قبل أن تفرغ ساحة الجيش له ، كان على رأس ذلك الجيش الملكي ، خاله حيدر باشا ؛ ذلك الذي لم يكن يدري عن اشتراكه في الحركة .

وتخطى القيادات الموجودة رغم الاعتراض ، وصار مسئولا عن المؤسسة العسكرية إبان تشكيل خطوات النظام ، مسنودا ، ومساندا . صار هو واجهة الجيش الذي يتصدر استعراضاته ، ويقرأ خطابه من أوراق مكتوبة وكأنه يتثائب ، يهز الناس بسلاحه لا بنجاحه ، وبحصانه لا بلسانه . ثم صار ملازما لعبد الناصر ، وفي رتبة اللواء .

معترفا بقدره ، مصدقا على رأيه ، مساندا لمشورته ، مؤزرا لتحركه ، مباركا لفكره ، مزكيا لاختياره ، مناصرا لاتجاهه .

ولما كان هو الذي حمل لنجيب في رفقة حسن إبراهيم ، قرار إعفائه من رئاسة الجمهورية ، فقد منحه عبد الناصر رتبة المشير في 1958 ، وعينه نائبا له ، ثم نائبا أول ، متخطيا بالحظوة كل زملائه أعضاء مجلس الثورة ، ممن كانوا نوابا للرئيس . وكان عامر شخصية صريحة ، قال : (أعطوني التشريفة والجيش ، وخذوا الحكم المدني كله) .

وأصدر عبد الناصر قرارا بتفويضه في كل اختصاصات رئيس الجمهورية بالنسبة لسوريا . وتكالب عليه معاونوه المستفيدون ، وزينوا له حياة بعيدة عن طبيعته وعن روحه العسكرية ، حتى صار شائعا أن عامرا مطلق السلطة في الجيش ؛ لأنه يحمى

عبد الناصر ، بينما يحتكر عبد الناصر المجد والزعامة والإعلام وحب الناس . وصار معترفا اعترافا عرفيا بأن هذا له المدنيون ومشروعاتهم الدستورية .. وذلك له العسكريون ومشروعاتهم النارية .

وصار عبد الحكيم متربعا في موقع الجيش ، فتلك هي حرفته ، يجلو نياشينه ، ولادخل له بالسياسة وتشريعاتها . وبذلك ارتبط عامر وناصر بعلاقة خرافية ، مقتسمين السلطة ، وكان من مظاهر تلك العلاقة الخرافية حب وتدليل ، وكل منهما يأمن جانب الآخر دون الآخرين .

ودخل ضمن نسيج تلك العلاقة ، اندماج أسري ، فعبد الحكيم أسمى ابنه جمالا ، وجمال أسمى ابنه عبد الحكيم ، كما تمت علاقة مصاهرة بين البيت العامري ، والبيت الناصري ، فتزوج شقيق جمال عبد الناصر الأصغر الطيار العسكري حسين عبد الناصر ، بآمال ابنة المشير عامر ، وبذلك فقد صار تحالف مصالح ؛ لينام كل منهما مغمض العين ، ترعاهما العناية الأسرية ! .

وتعددت العلاقة من علاقة العمل إلى علاقة البيت الحاكم الواحد . وقد عوقب فيما بعد حسين عبد الناصر بالطرد من الجيش على أثر انحيازه في نكبة المشير ، وترك الجيش لينشئ شركة سياحية في لبنان ، وذلك عندما صار خيار عبد الناصر ؛ هل أنت مع قلبك ، أم مع مجدك ؟! .

ثم كان تمرد (قطنة) في سوريا ، وكابد المشير غطرسة التآمر ، وأرسل مشحونا عقب فصم الوحدة ؛ تلك الوحدة التى قفز عليها ضباط قيادته السوريون ، وأذعن لمطالبهم دون مقاومة ، وعندما طالبه الضباط السوريون بإنهاء الوحدة عند لقائه محاصرا منهم ، كان لينا ، فقالوا له : لقد رفعنا علم سوريا ، وأعدنا نشيدها ، وألغينا كونها الإقليم الشمالي . فقال لهم : (على بركة الله ، هذه بلدكم وأنتم مسئولون عنها) .

ورحل الرجل إلى مصر تاركا سوريا للسوريين ؛ مكررين انقلابات سامي الحناوي ، وحسني الزعيم ، وأديب الشيشكلي ، في جولات إعادة . وبعد أن عاد

لمصر ، أرسل عبد الناصر قوات الصاعقة لتسحق متمردي معسكر (قطنة) ؛ ثم مالبثت أن هدأت الخواطر ، وهجعت عقدة الزعامة ، ووضع السيف في غمده تاركا للبعثيين بعث بلدهم بمعرفتهم ، دون صداع الوحدة متباينة الآراء ، متصارعة الزعامة . وتضرر عبد الناصر ، ولكنه لم يزحزحه من ناصية الجيش ، حيث كان قد رسم له مكانا عاليا فيه ، بفضل ماأسبغه من أفضال تدين لها أعناق القادة ، الذين ماعادوا في تقشف عرابي وعبيد !! .

وصارت القاهرة ملتقى تتلقى من يتعاون مع قيادتها التي خلقت المحاور السياسية بالاستقطاب الانحيازي ، فوفد عبد الحميد السراج (بيريا) وزارة داخلية سوريا الذي خرج على زملائه الذين قالوا فلتنفض الوحدة ، لكنه قال : (بل إنها وهبتني السلطة وعداء الإخوة البعثيين) . وعندما انفصمت الوحدة هرب بليل ، وظل مسئولا في مصر عن شركات التأمين المصرية وأقام في مصر لليوم ، وكوفئ بجائزة الجنسية المصرية التي تتسع للجميع !! .

وأعد لفيف من ضباط القوات المسلحة حفل شاي للمشير عامر لرفع معنوياته ، وليثبتوا أنهم معه وأن ولاءهم له ، وأنهم يشاركونه أزمته النفسية .

وأراد المشير أن يعمق له دورا تعويضيا عن تخاذله في سوريا ، وللرد على اتهامه بانصرافه عن مسئولياته ، فكتب خطابا لعبد الناصر ، يطالب فيه بالديموقراطية ، وهو الذي لم يتعمق يوما في مفاهيمها .

وكان فحوى الخطاب :

(إن مايجب أن نسعى إليه الآن ، هو تدعيم الروح الديموقراطية ، وخصوصا بعد 10 سنوات من الثورة . وإنني لا أتصور بعد كل هذه الفترة ، وبعد أن صفي الإقطاع ورأس المال المستغل ، وبعد أن منحتك الجماهير ثقتها دون تحفظ ، أن يكون هناك ماتخشاه من ممارسة الديموقراطية ، كذلك الأمر بالنسبة للصحافة ، فيجب أن تكون هناك ضمانات تمكن الناس من كتابة آرائهم ، وكذلك تمكن رؤساء التحرير والمحررين من الكتابة دون خوف أو تحفظ ، ولايمكن أن تسير أي حكومة في طريقها

الطبيعي وهو الحكم السليم ، إذا كان نظام الحكم في حد ذاته ممسوخا مشوها . وعليك بالارتباط بأفراد شعبنا القياديين في المستقبل . أما انعزالك فسيجعل صورة البشر عندك أسطرا وأسماء مجردة ، وليكن فراقنا بمعروف ، كما كانت عشرتنا بمعروف) .

وكان ذلك بسبب أن عبد الناصر قد كون مجلسا للرئاسة من أعضاء الثورة مجتمعين للمشاركة الجماعية في الحكم ، وطلب تحجيم سلطة المشير بالنسبة للجيش وجعل مجلس الرئاسة يختص بالترقيات والتعيينات والانتدابات والإحالة للمعاش في كل من الجيش والشرطة والخارجية ، وذلك ليكون ولاء القيادات للقيادة الجماعية لا ولاء للفرد .

رفض عبد الحكيم ذلك بالنسبة للجيش ، وانسحب من الاجتماع الذي كان برئاسة البغدادي . ورفض متشددا أن تزدوج السلطة على الجيش من مجلس الرئاسة إلى جانب القائد العام ، وقال : إن تلك أشبه بالمناورات الحزبية من زملائي الذين يحاولون التخلص مني . واختلف معه في ذلك كل الأعضاء لكن عبد الناصر عندما وجده قد انزوى وقدم خطاب الاستقالة باسم الديموقراطية ، تراجع واسترضاه قائلا : (إننا باقون على بعضنا ، وباقون على عبد الحكيم) .

وعاد عبد الحكيم أقوى مما كان ، وزادت مسئولياته ، ولما كان صاحب الثقة الأولى فقد كلف خارج العسكرية بلجنة تصفية الإقطاع .

وكان الهدف من تلك اللجنة هو تلافي ماحدث في سوريا ، وحتى لايتكرر في مصر بادعاء نمو نفوذ أصحاب المصالح من الإقطاعيين السابقين ، وتشكلت في أبريل 1966 ، برئاسة المشير وضمت أعضاء من العسكريين مع مدني واحد .

وكان ذلك بقصد تخويف جميع الذين طبق عليهم قانون الإصلاح الزراعي 1952 ، ووضعهم تحت الحراسة بادعاء أنهم القوى السياسية المعادية ، والتي لها نفوذ ولها جذور وسلطة على مجموع الناس في الريف وبدعوى صلاتهم الاجتماعية الواسعة .

لذا وجب وضعهم تحت الحراسة ، واستبعادهم من الريف وتحديد إقامتهم في

القاهرة أو الإسكندرية ، واستيلاء الاتحاد الاشتراكي على بيوتهم وأملاكهم . إذن أين القضاء ، وأين التشريعات ؟! (مش مهم) ، رغم أن القضاء هو السياج الواقي . المهم أن يكون طاغوتا يخيف ؛ لذا كانت لجنة المشير كمحاكم التفتيش في إسبانيا في العصور الوسطى تنزل عقابها الصارم بلا قرينة أو تشريع لتصفية ملامح مجتمع انقضى شكله . وهكذا ساد الرعب ، الذي لاينفع معه مستندات ، والحكم بالنيات ، والأحكام تصفيات حسابات شخصية ، وبعد أن فرض المشير مشيئته على الجميع ، تغير اتجاه الريح ، وحدث التحول في حياة المشير ، من الشكل العسكري المنضبط ، إلى الترفية والمسرات . وهكذا اجتمع حوله أصحاب المصالح السلطوية والمادية ؛ فصلاح نصر ، وشمس بدران يستمدان منه السلطان ، وعلى شفيق ، وعبد المنعم أبو زيد يستمدان الامتيازات ، وقد وضع صلاح نصر في طريقه الفنانة « برلنتي عبد الحميد » عقب عودته مدحورا من سوريا ، على إثر انقلاب ضباط مكتبه عليه . وخلب لبه ثقافتها الواسعة كشهر زاد ودلالها المثير ، فحضرت مجلس المشير في جلسة ضيقة لخاصته ، عقب حفل نادي ضباط مصر الجديدة . وأشعل لها المشير لفافة الدخان (المارلبورو) فتوهجت العاطفة ولم تنطفئ ، وقد أذكى ذلك الوهج ، أنها كانت تعيش من قبل مع زوج من العقديين ، فحفظت عنه التعبيرات الضخمة والكلمات المصنفة للفكر الاشتراكي وقوالبه العالمية ، وكانت تستعرض ثقافتها في تلك اللقاءات فيسمعها مشدوها !! .

وقال عبد الحكيم لخاصته في جلسة تالية : « ... إني رجل عام ، ومحسوب علي الثورة والدولة ، ولا أقرب الحرام » .

وحرصا على المظهر الشكلي للحلال ، فقد تحرر عقد الزواج العرفي المدني وشهد أخواه على ذلك ، ليضيق في مجال الإعلان ، وأنجب منها عمرا الذي صار طبيبا . وأقيمت الليالي الملاح في شقق عمارة الشربتلي بالدقي ، وفيللا المريوطية بالهرم ، في ستر من أسرته التي انتقلت من مسكن حلمية الزيتون ، إلى فيللا شارع الطحاوية عند كوبري الجامعة ، وقد استثمرت برلنتي كل ذلك فيما بعد في كتابة المذكرات والادعاء بأنها كانت في قلب الأحداث !! .

ولعدم الافتئات على التاريخ الشخصي للقائد العام في مجال الترفيه والمسرات ، فإن ماتكشفت إذاعته حول علاقة المشير بالمطربة « وردة » لهو محض اختلاق ، فلم يتجاوز الحدث عن أن سيارة وردة تعطلت بأحد شوارع مدينة دمشق ، فأسعفها ركب القائد فشكرته ، فقال لها : دا واجب ياهانم !! وألحت للحصول على رقم تليفونه بالقاهرة ، وهناك حدثته لتشكره على مسمع جمع من الفنانين ، ثم صارت مركز قوة يحسب حسابها بقصّة من الخيال . ولما أبلغه صلاح نصر بالشائعة ، فقد استنكر ذلك بشدة ، فاستدعاها صلاح نصر وخيرها بين المغادرة الفورية ، وبين إبلاغ عبد الناصر ، فآثرت مغادرة مصر دون أن تلتقي لقاء الحظ بعبد الحكيم ، ولم تعد لمصر إلا بعد وفاته ، ومع ذلك سادت الشائعة على الحقيقة واتهم الرجل ! .

واتسعت الشلة لتضم المؤلف محمد كامل حسن المحامي ، وزوجته الممثلة سهير فخري ، وعلي شفيق سكرتيره العسكري بعد زواجه من المطربة مها صبري ، تلك التي لمحها عبد الناصر في مبنى القيادة . فاستفسر من عبد الحكيم عن سبب وجودها ، وبصورة تلقائية رد عبد الحكيم بأنها خطيبة علي شفيق ، الذي كان متزوجا وقتها من (سوزان) ابنة الفنان حسين صدقي ، ولمواجهة الموقف ، عقد علي شفيق على مها صبري لتتوج الشلة التي سميت شلة الدكتور ، كناية وإخفاء لاسم المشير . وعندما راح علي شفيق معاون المشير يبث المطربة مها صبري عواطفه . أشاحت عنه متمنعة ، وهي تقول في دلال : « في الحلال ياسي السيد » ، فتزوجها .

وراحت المسرات ، وجاءت الأزمات

وكان طبيعيا أن ينتهي مصير هؤلاء كأعوان المماليك ، فبعد التألق واللمعان لهؤلاء الأعوان ، حاصرهم الضياع والسجان ؛ فاتهم صلاح نصر بالتآمر الانقلابي في أزمة عبد الحكيم ، واستبعد ليحل محله أمين هويدي مشرفا على المخابرات العامة ، وحوكم وسجن وأطلق سراحه في عهد آخر ، ولم يدع الفرصة فكتب : « صلاح نصر يتذكر » . وتوفي بعيدا عن السلطة ، التي طالما اعتلى صرحها ، فأشاع الخوف في طول البلاد وعرضها . ونشر مجلدا عن الحرب النفسية ، فأرعب النفوس بلاحرب ، ولاكت سمعته أقلام المحظيات في كتب مشبوهة ! .

كذلك اتهم شمس بدران بالتآمر الانقلابي في أزمة عبد الحكيم ، فحوكم وسجن . وكان يذهب للمحاكمة كما يذهب لحفل ساهر ، وأطلق سراحه في عهد لاحق ، ورحل بجواز سفر دبلوماسي لبريطانيا ، بعد أن عاش عقب الهزيمة في أضغاث حلم أنه مرشح للرئاسة بعد اعتزال نجومها المتخاذلة . ومازال يعيش في لندن ثريا دون أسرته ، حيث أقامت زوجته هنا قضية نفقة كسبتها .

وانتهى مصير علي شفيق شماشرجي المشير ، وزوج المطربة التي وعدها برئاسة وزارة مصر الثورة ، فطلقت الفن ، ولم تدرك السلطة ، فقد وجد قتيلا في لندن ، وتحت أقدامه مليون جنيه استرليني لم تسرق .

أما الصول عبد المنعم أبو زيد ، برتبة مساعد في أعمال المعاونة الخاصة ، فدخل المجتمع الراقي بأن تزوج الممثلة سهير فخري مطلقة محمد كامل حسن المحامي ، بعد إيداعه مستشفى بهمان للأعصاب . وعندما غضبت عليه برلنتي عبد الحميد (الأفعى البيضاء) كما سماها المؤلف المحامي في مؤلفه بدولة الكويت التي أقام فيها ، وقال : إنها كانت تستحم بالحليب ، على أثر اتهامه بسرقة صورة خاصة لها بغرض التشهير ، مدعية عليه بوقوفه ضد زواجها من المشير ، وتعاطفه مع زوجته الأولى ، سجن عبد المنعم أبو زيد وعذب ، ثم أطلق سراحه ، وأعيد سجنه عند أزمة المشير . وهكذا ، فإن وهج التبهرج والفوران الطفيلي لايدوم ، إنما يعقبه الحساب ، كمأدبة اللئام ! .

وقد صار عبد الحكيم عامر يكره القراءة ، يحب النكتة ، يحكي لخاصته بأنه شبيه بنابليون القائد السياسي الفرنسي ، مدعيا أن أعصابه باردة في إدارة المعارك مع الأخذ بنصيب في الملذات ، فكما أن نابليون يجمع بين السيف والجمال ،فهو أيضا يهوى الجمال والانبساط ، معللا ذلك بأن صاحب المسئوليات الجسيمة ، عليه أن يستمتع ليلا ، ليحسن الفكر وإدارة المسئوليات نهارا ، وكان يقول لعبد الناصر في مواربة : (لماذا تعيش هذه الحياة الجافة القاسية ، بين المنزل ومكتبك ، لابد أن يكون لك « باك دور » أي باب خلفي لحياتك الخاصة ؟!) وكان عبد الناصر يقول مدهشا : (كيف وصل الأمر بعبد الحكيم إلى هذا الحد ، لقد تغير كثيرا ، ولم يعد عبد الحكيم الذي كنا نعرفه فلاحا صعيديا ؟!) .

وتكونت بفضل ظروف المشير وسلطاته القابضة ، مجموعات المزايا في الجيش ، وجلسات الفرفشة مع المختصين الذين تحولوا إلى ندماء ، وزاد إغداق المشير على مجموعته معيدا عرف الإقطاعيات لقادة الجند في زمان السطوة ، واسترخت القيادة رغم التألق الشكلي الذي كان يظهر كل عام على شكل استعراض للجيش ، وبأن مصر تملك صواريخ القاهر والظافر ، ونسوا تسمية العامر !

وما عادت الصدارة في الجيش للمتدربين بالأكاديميات العسكرية ، إنما لأصحاب الرضا النابليوني ، وظل محجوزا لعامر منصب في كل تشكيل جديد ، تلغى الوزارات ، ويشكل غيرها ، سواء حضر القسمة أم لا ! فلابد أن يقتسم ، ولابد أن يكون محجوزا له نصيب في ميراث السلطة ، ممثلا في القطعة المميزة لديه ، وفي الموقع المحبب لنفسه ، إنه ركن الجيش ، تلك المؤسسة العسكرية المؤثرة في بنيان السياسة .

ويظل عبد الحكيم عامر في منارته العالية ، إلى أن ينادى عليه ، وقت أن يحتاج تدعيم المؤسسة السياسية له ، فينزل بقضه وقضيضه ، راشقا السلاح ، راصا الصفوف ليعيد ماارتبك من خطوط الهيكل ، فارضا خط السلطة الثورية ، ثم يصعد لمنارته المتحكمة في لعبة المصير شاكرا له .

وبعد ذلك صار عامر ضالعا في أعمال سياسية ورقابية ، كمؤسسات النقل العام ، والنوادي ، والثروة السمكية ، كذلك جميع النشاطات المدنية ، كاختيار قيادات المحليات والاتحاد الاشتراكي ، ومنظمة الشباب ، ومجلس الأمة ، والخارجية . أما منصب الرئيس الأعلى للجيش ، وهو منصب شرفي دون أن يقترب صاحبه من الجيش فعليا ، فقد كان لعبد الناصر ، ذلك الذي بادله تحية بتحية ، وأضاف له منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية ، ليتقدم صفوف أقرانه جميعا ، وليكون الخليفة الشرعي إن جدّ في العمر قدر مفاجئ ! وظل عامر متوسدا ذلك الهيكل العسكري ، حافظا لطقوسه ، كاتما لأسراره يستمد من قلاعه سلطاته المرعبة ، كما يستمد منه خزائن الرضا للأعوان ولا يرضى الأعوان بسوى الامتيازات التي يردون دينها للقائد الأعلى بإبلاغه شفاهة ، أن كل شيء على مايرام ، وتمام يافندم ، وأن رقابهم سدادة

وهي على أكتافهم ، وأنهم يمارسون المناورات لا المؤامرات . وفي ظل عبد الحكيم تسيس الجيش ، وتخلف عن التكتيك الحديث للمعارك ، وباشر نشاطا مدنيا متنوعا ، وابتعد بعض رجاله عن خطط الحروب ، اكتفاء بإطلاق النفير ، متناسين أن الحروب الحديثة إنما هي خطط تتفرغ لها الأكاديميات العسكرية ، وتوفد لها البعثات إلى الخارج ، وليست هي مجرد (عمّر ، واضرب !) .

وكان عبد الحكيم عامر ، هو بارود الرئيس ومدفعه . تظهر مشكلة تصفية الإقطاع فيصدره . تظهر فكرة مساعدة اليمن فيعبئه . تظهر نشأة الوحدة فيوفده . تبدو دعوة التحالفات فيكلفه . لايعرف كلمة لا ، ولايعترض على أسلوب ما دام هو والرئيس يقفان على تل الأمة ، وفي أيديهما المال والسلاح والميكروفون ، واسماهما على رأس كل تشكيل . انهارت الخطط ، ولم ينهر تشكيل خط السلطة ، ممثلا في الرئيس ونائبه الأول .

خاضا حرب 56 ، وحدث اختراق الحدود ، وغطت الإذاعات والصحف على تراجع الخطوط .

انفصمت الوحدة بين مصر وسوريا ، وكان عبد الحكيم ممثلها المنفرد ، فاستبدل بسلطان دمشق سلطان القاهرة ، حيث له فيها دائما مقعد عال ، أرهقنا في حرب اليمن ، وابتعلت الجبال الجند ، وخانت القبائل الوعد ، وارتفعت الدعاية وغطت على كل فشل وظل هو القائد العام والنائب الأول ، كما لو لم تكن قد حدثت أي نوائب لذلك النائب ، ومع ذلك تألق المشير ، وفتح جميع خزائن المال والسلاح ، وكانت فترة ثراء للأحياء ، ودفن للأموات ، وغناء على ربا الموت . أما سعود فقد غذى العداء بينه وبين أخيه فيصل في الرياض ، وحرض للثأر لسلبه المُلك ، وكانت مراحل علاقة سعود بقيادة الثورة ممتدة من وقت أن تدخل ذات مرة بالوساطة بين نجيب وعبد الناصر ، وحضر لقاءات صلح لم تثمر تصالحا .

وتدخل ملكا بالتوسط لتحصل الملكة ناريمان على الطلاق من زوجها الدكتور النقيب الذي تزوجته بعد طلاقها من الملك فاروق المبعد عن العرش ، وذلك بتحريره خطابا لعبد الناصر لصالحها ، ضد حكم قضائي اقتضى أن تدخل بيت الطاعة .

وكانت الوساطة بهدف شخصي خاص ، لإخلاء الساحة للجمع الشرعي الوقتي ، بين ملك حالي وملكة سابقة ، في زواج سري على ورقة طلاق ، تمشيا مع الشرع الصوري لصالح النزوات المقننة . وقال الملك البدوي متلمظا لجمالها المصري الأخاذ وقت أن استنجدت بفحولته وثرائه (حد الله حد الله .. مانحيد عن الشرع ؟!) .

فقال عبد الناصر : (إني أريد أن أجامل الرجل في أي شيء يطلبه ، ولكن لاأستطيع أن أتدخل في أعمال المحاكم ..) .

وأقام سعود في مصر بعد إنزاله عن عرش السعودية ، يوم أن رأى فيصل نقلها من مملكة قبلية شهريارية في ملك سعود ، إلى مملكة متحضرة بقيادته ، وأيده الأمراء . ورصد سعود مليوني دولار لاسترداد عرشه بشيك باسم صلاح نصر ، استثمارا لما كان بين مصر وفيصل من عداء حرب اليمن بين الطرفين ، كما كان سعود يزمع شراء قصر البارون إمبان الأعجوبة بشارع صلاح سالم بمصر الجديدة لإقامته كقصر المنفى الملكي .

وأراد سعود أن يستثمر حرب اليمن في عدائه لشقيقه فيصل بن عبد العزيز . وتسلم منه المشير الجنيهات النهبية ، إلى جانب ماوفرته مصر من بيع غطائها الذهبي لتوزيعه على زعماء قبائل بني الأحمر في اليمن . فكانوا لايردون هدية ، فيأخذون من المشير في مصر ، ومن الأمير في السعودية ، أما حصد الرقاب فلا يتوقف بينما المشير يحارب ، والسلال يتسلى بالقات ، والبيضاني ينظر لصراع القبائل ! .

وبعد وفاة المشير عثر على باقي أكياس تلك الأمانة من الجنيهات الذهبية مخبأة في الحرانية قرية عباس رضوان ، وزير داخلية عبد الحكيم في خمسة أكياس كل كيس يحتوي على ألف جنيه ذهبا ، وكأنها قصة زلع علي بابا وأتباعه ! . وعندما كتب موسى صبري بجريدة الأخبار ذلك تحت عنوان « ذهب ، ذهب » ذهب هو عن موقع الصحافة .

كان للدكتور الاقتصادي خبير المجاري الحالي ، عبد الرحمن البيضاني نائب رئيس

اليمن الأسبق عبد الله السلال ، دوره كمهندس لنكبة اليمن ، موعزا بأن المساعدة ستكون رمزية ، وأوكل عبد الناصر المهمة في بدايتها إلى رئيس مجلس الأمة أنور السادات .

وأرسلت مصر كتيبة واحدة سافرت على طائرة حربية واحدة ، وبضعة جنود كحرس وجهاز لاسلكي ، يرافقهم البيضاني اليمني المقيم في الإسكندرية ، هربا من الإمام الذي طلب إهدار دمه ، ثم لم تلبث الكثبان الرملية للحرب الخادعة أن جرفت الجيش المصري إلى حرب واسعة لم تتوقف حممها سوى في مؤتمر ترميم الهزيمة في الخرطوم ، بإعلان الانسحاب من اليمن ، قبل المشاركة في المؤتمر في 17 أغسطس 1967 .

وعادت اليمن تنعم بذهب السعودية ورضاها السامي، بعد حرب دامت 5 سنوات ، وضياع أرواح 70 ألف مقاتل و 30 مليون جنيه ، وتحمل الاتحاد السوفيتي تكاليف نقل العتاد ، وكانت اليمن مصيدة لإبعاد الجيش المصري لبدء حرب 67 في غيابه .

وعدنا من اليمن نفرش الورد على الجنود العائدين ، رحمة ونورا على المدفونين ، وإلقاء الفل والياسمين ، تحت أقدام الجنود العائدين ، جنود نابليون المنهكين فداء لمجده ، والنصر الوحيد هو تثبيت لوحة الجمهورية بدل لوحة الملكية . تلك اللوحة التي تبدلت وجوه العديدين ممن وقفوا تحتها غير موالين لمصر .

وبتوجيه من القيادة ، سارع مفكرو مصر : نجيب محفوظ ، وأنيس منصور ، ومحمد حسنين هيكل وغيرهم ، ليسطروا ملاحم العودة بترقية شعب اليمن بسيمفونية الدماء ، والويل للمعترضين ، والكل يتغنى بالألم .

ورغم ذلك لم يتغير القائد السياسي ، بقائد عسكري أكاديمي التخصص في إدارة عجلة الحرب ، دارسا التكتيك الحديث للمعارك وفنونها ! .

ثم كانت حرب 67 ؛ التي أوجدت مأساة في كل بيت ، وكل قلب . ليخرج عبد الحكيم عامر نهائيا من دائرة السلطة والحياة في جولة انشقاق الثوار ، ولكنه

كان خروجا مأساويا كمآسي التراجيديات اليونانية ، حيث شرف الموت للعسكريين المهزومين .

قال عبد الناصر لتقليل هول الهزيمة : (ليست الكارثة في الهزيمة ، ولكن الكارثة في كسر الإرادة ، والقعود عن استمرار القتال لاسترداد الحق) .

والحقيقة أن لكل جيش في تاريخه مهما تألق حادث انكسار :

فهزم دارا الثالث ملك الفرس أمام الإسكندر الأكبر ، في معركة أسوس .

وكيلوباترا أمام أوكتافيوس ، في معركة أكتيوم البحرية .

والروم أمام العرب ، في موقعة اليرموك .

والصليبيون – من الفرنجة – أمام صلاح الدين ، في موقعة حطين .

وهزم الأتراك – في مصر – أمام محمد علي ، قونية ونزيب .

وبريطانيا أمام الألمان ، في دنكرك .

وأمريكا أمام اليابان ، في بيرل هاربور .

واليابان أمام أمريكا ، في نجازاكي وهيروشيما .

وروسيا أمام اليابان ، عام 1905 .

وروميل أمام مونتجمري ، في العلمين بالصحراء الغربية لمصر .

أما نحن ...

فقد استدرجنا بغير استعداد لسيناء الأولى ، وانتصرنا في سيناء الثانية .

وكان عبد الحكيم هو القائد العسكري المسئول ، بينما كان عبد الناصر هو القائد السياسي ، حيث كانت العسكرية المصرية تمارس نشاطا مدنيا ، أكثر من النشاط القتالي ! .

وحيث جردنا سيوفنا بينما جنودنا تعتلي جبال اليمن ضائعة في حرب كحروب محمد علي التي تخط مجده ، لا حربا تعيد لنا أرضا مغتصبة .

وهنا حدثت نكسة 67 ، وثبت أن الزي الزاهي (والدبابير) المجلوة ، ودعاية

الظافر والقاهر ، لم تَحُل دون جندلة المتنزهين بلا قتال ، ودك حصون المتباهين بلا تدبير !!

وعندما اشتد الوعي ، رجعنا لخطة 56 للانسحاب ، تمثلا بشعر امرىء القيس :

مكر ، مفر ، مقبل مدبر معا كجلمود صخرٍ حطه السيلُ من عل

وكانت حرب 1967 بيننا وبين إسرائيل دون أن يكون لها هذه المرة حلفاء مباشرون مثل حرب 56 ، ولم تأت أيضا تلك الحرب في مرحلة الثورية الأولى ، حيث كان الثوار ببدلهم الكاكي يقضون أغلب وقتهم بالمعسكرات .

بينما أتت تلك الحرب الكارثة ، وكان قادتها العسكريون يعيشون حياة شبيهة بحواديت ألف ليلة وليلة ، عمت الاستثناءات ، ووزعت الثلاجات وسيارات نصر في السوق السوداء بعد الحصول عليها بأسماء وهمية لأمهات الشهداء ، ومما يثير الدهشة أن كثيرا من الفنانات قد حصلن على سيارات نصر من مكتب المشير بعلمه ، أو بدون علمه على أنهن أمهات شهداء في مهرجان امتيازات المحظوظات ، لدرجة أن الشقق عندما تكون خالية ، يتدخل الجيش في توزيعها ، وأن عبد الناصر عندما علم بتلك الأفعال قال : (إن البلد تحكمه عصابة !) وكان ينوي أن يتولى مسئولية الاتحاد الاشتراكي ، ويترك رئاسة الجمهورية لعبد الحكيم عامر ، وذلك قبيل الحرب .

وكشر « جونسون » أمريكا عن أنياب العداء للنظم التقدمية ، مما أسمى أمريكا في عهده ، (بالرجل ذي الوجه القبيح) ، فكرست السياسة الأمريكية إلى قيام حكومة ديكتاتورية يمينية في اليونان ، وأنظمة تدور في فلكها في إيران وتركيا .

واتجه المد الاستعماري نحو سوريا ، لجر عبد الناصر لمصيدة السقوط . وظهور (الصقور) في إسرائيل الذين يدقون طبول الحرب .

وتكرر عقد عبد الناصر لمؤتمرات سياسية ، وكثرت التصريحات بالاستخفاف والاستعداد ، مشيرا إلى أننا كسبنا المعركة السياسية ، أما العسكرية فلن نثير عداء الرأي العام ونبادىء بالقتال خشية وقوف أمريكا ضدنا ، وتحسبا لإعلان ديجول فرنسا بالوقوف ضد من يبدأ بالعدوان .

وصار النقاش في الاجتماعات العسكرية عن الضربة الأولى ونتائجها ومخاطرها . وتكونت جبهات القتال في سوريا ، أول من وجه لها التحرش ، وحضر الملك حسين يقود طائرته بنفسه لمصر مقتنعا بالضجة الإعلامية ، فأراد أن يكون له نصيب في وليمة نحر إسرائيل وإزالتها ، فتعرض لضياع القدس والضفة ، ولم يسلم من ضغائن المنظمة رغم حمله لأعباء فلسطين ، فواجه (أيلول الأسود) أولا ، ثم فصم العلاقة الإدارية والقانونية بين الأردن وفلسطين ليحملها زعماؤها .

وأرسلت البعثات إلى الحليف السوفيتي صاحب إنذار بولجانين 1956 ، وأكد عبد الحكيم استعداد القوات المسلحة لخوض هذه الحرب متعهدا : (برقبتي ياريس) وكل شيء على أتم الاستعداد ! .

أما في الليلة السابقة فقد أقيم حفل ساهر بالقوات الجوية بأنشاص ضم المطربين والمطربات ، وعددا من الراقصات ، واستمر لساعة متأخرة بلا انضباط أو سهر لحراسة الوطن ، وذهب أفراد القوات الجوية مرهقينليناموا .

بينما كانت إسرائيل لاتسهر ، إنما تبكر في تحريك قواتها لأخذها الأمور بجدية .

وعليه فقد طردت القوات الدولية ، وتم الحشد ، وأغلق خليج العقبة في وجه إسرائيل فزادها مجازفة ، وأخذت تمارس الحرب فعلا بلا مؤتمرات صاخبة ، وشوهد تجميع لدوريات العدو ، ومشاهدات أنوار وسماع أصوات عربات جنزير ، واستعدادات هجومية قبل ضربة الطيران ، وأُرسلت إشارة بذلك من مخابرات العريش صباح 5 يونيو إلى مكتب وزير الحربية شمس بدران بكوبري القبة ، ثم إلى القيادة العامة في مدينة نصر ، حيث كان مقر المشير ، وتسلمها علي شفيق وعرضها على المشير في غرفة نومه فلم يؤشر عليها ، ولكنها وصلت لهيئة العمليات في الساعة العاشرة بعد حدوث الهجوم الإسرائيلي الشامل .

وشاهد عبد المنعم رياض القائد المصري على جبهة الأردن ، على شاشات الرادارات الأردنية ، إقلاع الطائرات الإسرائيلية بأعداد كبيرة ، وقامت القوات الأردنية بإبلاغ هذه المعلومات لاسلكيا إلى القيادة العامة ، وإلى قيادة القوات الجوية ! .

ولكن عدم الاستفادة من تلك المعلومات في حينها ، والتوهم بعدم قيام الحرب على أساس أن حشود سيناء ستجعل الهيئات الدولية تتدخل ، وأن إسرائيل ستتراجع لأنها وحيدة كجزيرة وسط بحر عربي واسع .. !

كل ذلك جعلنا نتلقى الضربة الأولى الموجعة التي حطمت الطيران ، بينما كانت طائرة المشير في سماء سيناء لتفقد القوات التي بدل أن تباشر مهامها القتالية ، تسابق قادتها للاصطفاف في حرس شرف لاستقبال القائد العام ، وضربت الفوضى أطنابها ، وشُلّ مركز القيادة .ووفد أعضاء مجلس الثورة المبعدون إلى غرف العمليات للتوجيه والمشاركة ، ووفقا لرواية عبد اللطيف البغدادي ، فإن قائد الطيران صدقي محمود المعين باختيار المشير تحديا وإصرارا ، أبلغ المشير أن الأمريكيين هم الذين يقومون بالهجوم ، وأن أحد ضباط الطيران شاهد الطائرات الأمريكية ، وكان هذا الضابط هو حسني مبارك .

واتصل المشير بالطيار حسني مبارك الذي نفى أن تكون الطائرات المهاجمة أمريكية .

ولما كان الانسحاب فنا عسكريا ، لايقل شأنا عن فن تحريك القوات المهاجمة ، فإن الارتباك قد جعله كارثة ، وفي حالة من الفوضى والذعر .

وكان المشير في حالة نفسية وعصبية منهارة ، وأصدر أمر الانسحاب غير المنظم وهو في حالة هستيرية دون خطة أو جدول زمني ، فجاءت الخطة أمرا بالانتحار .

وادعى المشير أن عبد الناصر هو الذي أصدر أمر الانسحاب لينقذ أولادنا . فرد البغدادي إن ذلك ليس قرار انسحاب ، إنما هو عار وفضيحة ، ولم يكن خافيا في ترجيح كفة إسرائيل ذلك الدعم المستتر والعلني من جانب المعسكر الغربي ، وخاصة أمريكا وألمانيا الغربية ، مما وفر لمخاطرة إسرائيل المحسوبة فرصة النجاح ، ومكن من أن يدرأ عنها شبهة التعاون السافر كما حدث في عدوان 1956

وكان يمكن للمشير لكي يبرئه التاريخ من تلك الهزيمة العسكرية ، ألا يجاري ويحفز رئيس الدولة بمباشرة الحرب في غير أوانها وظروفها المواتية .

وكان عليه أن يلزم القيادة السياسية بعدم الدخول في هذه المغامرة غير المؤكدة النصر ، وهو يلمس نزيف جرح اليمن ، وسيطرة العسكريين من أهل الثقة لا الخبرة ، مع عدم خشية المجاهرة بواقع الحال العسكري .

وبعد أن صارت الجبهة حطاما ، وذابت تصريحات القوة ، أمام واقع الضعف ، وبعد أن تفوقت الصيحات على عدد الطلقات ! لم يتقدم ناصر ، كهتلر ، ليخلي الجبهة المنهارة من قيادته في صمت الموت ، لا في خطابه ، إنما خطب مطولا ذاكرا أمجاد الماضي ، محددا اختيار من سيخلفه ! مستخدما بلاغته في أن حجم الهزيمة مهما كان ، هو أقل من حجم فقد إرادة استئناف القتال ، ولم يدن القيادة العسكرية بالجزاء دفعا لثمن الهزيمة ، وتعويضا لسنوات الوهم بتسيد منطقة الشرق الأوسط ، وتحديد مصائر دولها ورسم خرائطها ، ورمي إسرائيل في أقرب بحر لها .

أعقب ذلك أن نشر المشير إعلان استقالته كخبر استقالة عمدة ، أو إعلان فقد ختم .

وكان الأموات قد عرفوا حجم قدرته العسكرية ، أما الأحياء من الضباط ، فقد سارعوا واحتشدوا في فناء منزله هاتفين : (لاقائد إلا المشير) ضمانا لامتيازات منصبه لهم ! .

وكما خرجت الجماهير سواء تلقائيا أو تنظيميا تطالب باستمرار أن تظل صورة الرئيس المعلقة في سماء مصر منذ عام 52 بلا تبديل ، كذلك خرجت مظاهرة العسكريين تطالب ببقاء القائد العام بحكم التعود على طلعته .

وعاد الأول من التنحي المرسوم ، حيث عمل النظام على ألا يكون على حجر مصر غيره ، وأهمل الثاني وهو يحن لعودة المتعزز الذي لايقوى على فراق الجيش .

وأنشأ عبد الناصر قيادة جديدة ليست من ضباط الثورة ، بل من قيادات عسكرية أكاديمية دارسة متمرسة ، محترفة وليست مسيَّسة .

فعين محمد فوزي قائدا عاما ، وعبد المنعم رياض رئيسا للأركان ، وأحمد إسماعيل

قائدا للجبهة ، وعاد مدكور أبو العز الطيار الفذ من منصب المحافظ لمنصب قائد الطيران ، وأمين هويدي وزيرا للحربية ومشرفا على المخابرات العامة .

وثقة من عبد الحكيم عامر في أن الخِل لن ينسى خله .. فلقد نزح إلى بلدته أسطال ـ سمالوط ـ المنيا منتظرا دعوة عزومة العودة ، لوظيفة يحسبها باقية له حتى سن المعاش ، حيث لاتليق على غيره .

وتأكيدا لبقاء المشير المحبوب من أركان حربه ، وأنصار امتيازاته ، فقد تجمهر الضباط في مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة ، وثاروا على الفريق محمد فوزي الذي يمارس مهام القائد العام من فوق مكتب المشير ، دون أن يكون مشيرا ، أو مشارا له منهم ، محتجين بأنه إنما يريد اغتصاب المنصب ، دون أن يلوح بامتيازاتهم ! .

وشكل عبد الناصر لجنة برئاسة زكريا محيي الدين لتطوير القوات المسلحة وتصفية أنصار المشير ، حيث لا سبيل لإعادة بناء الجيش إلا بذلك .

وتوسط الوسطاء المتمثلون في (هيكل وصلاح نصر) موفدين في سفارات بين القاهرة المظلمة بإطفاء شموع النصر وانتشار ظلام الهزيمة ، وبين منتجع المشير المقيم في قرية صغيرة في شمال الصعيد ماكانت تستوعبه متألقا ، فعادت تحتضنه باهتا ! .

ثم عاد المشير إلى القاهرة يحدوه أمل نجاح الوساطة ، كما لو أن اعتلاء المناصب بالرضا ، وليس بكسب النصر وتحقيق أمجاد الأمة ! .

وعاد لمنتجعه على نيل الجيزة في شارع الطحاوية ، وأقام القائد المهزوم في بيته معسكرا مدنيا يأوي له الأعوان العسكريون النازحون من القيادة ، والأنصار المدنيون الوافدون من بلدته التي طالما عاشت على بريق اسمه .

وعندما تضخم المعسكر المدني ، أيقن عبد الناصر أنه يتعذر إعادة بناء الجيش المنكسر ، بينما يوجد عبد الحكيم على سطح الحياة ، فهو خارج سلطة الجيش ، ومع ذلك فالأنصار يجردون الهتاف ، وغدا يجردون السلاح .

وفي مراحل احتواء الأزمة ، فاوضه عبد الناصر على منصب نائب الرئيس مغلبا

الصداقة على الجزاء المستحق بالعزل لمن يتسبب في هزيمة أمة ، وقتل 100 ألف من شبابها ، كأنه الهاموش الطائر ، لا الآدمي الخائر .

ولكنه رفض عن الجيش بديلا ولو كان أسمال جيش ممزق ، قائلا : (لن أصبح تشريفاتي لاستقبال القادمين من الخارج ، وتوديع الضيوف المغادرين ، ثم أقف مكتوف اليدين بينما هو يبطش بالضباط) .

ثم كرر ناصر عرضه عن طريق الوسطاء ، إما أن يقبل عبد الحكيم المنصب المقترح ، أو الإقامة في الخارج في كنف (تيتو) في يوغسلافيا ، وأنه لا مناقشة لتصور عودته للجيش .

وفي تلك الأثناء تدفق الأعوان مما جعل الوضع ينذر باستخدام السلاح ؛ لذا فقد اضطر عبد الناصر أن يلقي لعبد الحكيم بطعم الخديعة ، بدل المواجهة العسكرية ، وحتى لايلحق ضررا بأسرة المشير ، أو باستخدام السلاح في منطقة سكنية مدنية .

وتمت دعوته لمأدبة العشاء الأخير على شرف الهزيمة ، تلك التي مازالت تقطر بدماء عشرات ألوف الضحايا التي تلغ إسرائيل المزعومة في بقايا دمائهم ، بينما عبد الحكيم مازال متفائلا بغرام الماضي ، وبأمل أنه سيصحب الرئيس لمؤتمر ترميم الهزيمة في الخرطوم .

ودخل القائد الجريح الذي ساوم للاستمرار مرتديا بذلة العسكر الفضفاضة ، لكنه فوجئ بزملاء ليلة الثورة شهود محاكمة لا شهود مسامرة !! .

فتم تجريده من السلاح ، وأُلقي على مسامعه في وجود الرفاق قصص تجاوزاته التي كان مغمضا عنها ، سواء احتكاره لسلطات الجيش ، وامتيازات السلاح ، أو القصص والمغامرات التي صارت حديث الناس على غرار ملذات نابليون .

وتوبيخه على شلة أركان سهراته الندماء الذين أوصلوه لعدم إحساسه بمسئوليات الجيش ، ودخول الحرب مجاراة دون استعداد حقيقي ، معرضا بقصة فشله في دمشق ، ومسئوليته عن فسخ الوحدة لعدم تيقظه ! وغيرها من المهام الفاشلة . وآخرها إعداده للتآمر الانقلابي .

فمزق عبد الحكيم سترته أمام الموجودين ، واستنكر التآمر والانقلاب على صديقه ، تحت أي ظرف ، بأن قال في انفعال صادق : (إني لا أمانع في ذبح أحد أولادي لو أمرتني بذلك) . وكان يجب أن يصمد صمود القائد الذي لايهتز ، مجاهرا بمشاركة الرئيس له في المسئولية ، متحديا بأن يخلع كل منهما شارة السلطة بعد السقوط في امتحان حرب الخارج ، والنجاح في حرب الداخل .

وانبرى السادات في الجلسة نفسها التي شهدها زكريا والشافعي ، يقول في خبث وقدرية تخترق حجب المستقبل لتخلي الطريق لخلافته : (فليس أمام القائد المهزوم ... سوى شرف الانتحار) ! .

غادر جمال لغرفة نومه ، وعاد عبد الحكيم لبيته بعد أن أجلاه عبد الناصر عنوة من الإنكشارية المتجمهرين فيه انتظارا لصلح الأنساب ، وكأنها قيادات قبائل ، لا قيادات دولة .

ونجح فوزي ورياض في تلك المعركة المحدودة ، وأُلقي القبض على الأعوان العسكريين الذين استسلموا دون رفع السلاح وكأنهم في تمرين هواية ، وهرب الأعوان المدنيون من صعايدة أسطال الذين كانوا قد وصلوا بجلابيب القتال يتعصبون لكبيرهم الذي لايعرفون غيره رمزا لبلدهم .

ولما عاد المشير ، وجد قصره كثكنة عسكرية هجرها الجند استسلاما بغير قتال . ثم جرد من حرسه وقطعت اتصالاته . وتحددت إقامته داخل قصره .

ورافق حسين الشافعي عبد الحكيم الذي ماعاد مشيرا ، بلْ متهدما ، إلى بيته ، فصار كالأسد الحبيس في عرينه ، زال نفوذه ، وانفض رعاياه .

وكانت من جهة أخرى تجرى محاكمات تدين تورط أنصار عبد الحكيم في مؤامرة انقلاب دون أن يشمل الادعاء المشير ، أو يضعه في قفص الاتهام ، تأثرا بموقعه السابق من السلطة .

ومع الوقت أخذ الضوء ينحسر ، والظل يتكاثف ، والشهرة تنطفىء ، وماصار

المشير ، مشيرا ! ونزع شقيقه من منصب رئيس مدينة سمالوط – المنيا . واعتقلت زوجته الثانية برلنتي ، واعتقل مريدوه من أعضاء مجلس الأمة : عبد الصمد محمد ، ومحمود عبد الله ، وسجن أربعتهم .

وتناوله اتهام التآمر والانقلاب ، وتقرر القبض عليه كمواطن سقطت امتيازاته ورفعت حصانته ، واتخذت إجراءات تحديد إقامته بعيدا عن مكان معيشة أسرته ، في فيللا اللهو المبكر بالمريوطية ، وكر صلاح نصر في عز السلطة .

وكان لابد أن يكون السجان في حجم السجين ، فأوكل إلى محمد فوزي ورياض انتزاعه قسرا من بين جدران أسرته إلى مكان أمين ، مثلما أعد من قبل لمحمد نجيب ، وكمال الدين حسين ، ولكنه رفض الإذعان ، بل قاومهما على أساس أنهما سبق أن كانا من بين صنائعه ومرءوسيه ، فكيف يجرؤان على أسره متجاهلين نياشينه . وقلائده ؟! .

وتجمهر أفراد أسرته معتقدين أنه قد حدث اعتداء عليه ، وتم تكتيف ابنه نصر الذي مات فيما بعد في حادث سيارة ، وتم احتجازه بعيدا . ورفع عبد الحكيم عصاه في وجه رياض ، الذي لاينه واسترضاه ، وقبل رأسه ، ثم عاود رياض مسايسته وإقناعه بالنزول معهم دون إثارة متاعب حول تنفيذ ذلك ، باعتباره رجلا عسكريا ، يقدر التعليمات العليا .

ولكن عبد الحكيم أصر على عدم الاستجابة ، داعيا من يريد أن يجري التحقيق معه بأن يفعل ذلك هنا في منزله ، متشبثا بالبقاء ، وكأن ذلك آخر موقع أمان يرفض التقهقر منه خشية الضياع النهائي ، فالموت للجنود ، والتحصن للقادة .

وعاد رياض يلح ويكرر ليقبل الخروج معهم ، مطمئنا إياه بأنه قد أعدت له استراحة مناسبة لإقامته في الهرم بترعة المريوطية .

وتشاء الأقدار ، أن يكون زوار الفجر الذين طالما أوفدهم في أوج سلطانه قد أتوا ليزوروه في توقيت آخر في وضح النهار ! .

ولما كانت الأوامر مشددة بأن ينزع من مسكنه للتحفظ عليه في مكان أمين بعيدا عن أسرته ، فلقد عادت القوة لتنفيذ ذلك عنوة ، وعند التنفيذ الجبري ، حدث هرج واضطراب وصراخ شاركت فيه أسرة المشير . ثم توالت الأوامر للضباط المرافقين باقتياده بالقوة .

وتحول الموقف إلى رفع الهيبة ، وتجريد الكرامة ، وتم جره عنوة كأي مستدعى للسلطة .

وعندئذ أخذ يجتر ماضي مركزه ، ويتحطم داخله عز السلطة ، ويقامر بقدرته الذاتية عاريا من المنصب لاستعادة ماكان ، في لحظات ولى فيها ماسبق من الزمان .

وصار يجدّف يائسا لشاطئ كان يقف على حافته الحواريون والأنصار .

فأخذ يقاومهم ويسبهم معتديا على من تطوله يداه .

وثار في جو المكان غبار انهيار كبير .

وكانت لحظات فاصلة مابين انطواء صورة مجد .

وما بين ظهور صورة انعدام وزن .

ولم يعد الكبير كبيرا ، ولم يعد في يده زمام قيادة الحركة .

حين كان قائدا يشير بإصبعه للابسي الكاكي فتنفرط الصفوف .

وبإشارة تالية منه تنتظم تلك الصفوف وكأنه « الريموت كونترول » بأشعته تحت الحمراء منضبطا على موجة إرادته .

كل ذلك لم يكن بسبب هيكل الرجل ولحمه وبشرته .

إنما كان ذلك بفضل السلطة التي ترفع قامة صاحبها فوق الموجودين .

وتجعله كالسائر وحده وسط حشد لا يبرز منه إلا هو في بقعة الضوء .

أما عندما يزول المجد ، وتنقطع موجة الإرسال ، وعندما لايصبح للفعل رد فعل ، ولا للصوت صدى .

تنبطح القامة تحت الأقدام ، ويدخل العملاق القمقم في ضعف مهين .

وتصبح السطوة دخانا ، وتنسد آذان الحواريين عن تلقي صوت ندائه .

ذلك حين ينخلع رداء السلطة ، ويزول الفعل المؤثر .
ويصبح نداء الرجل كالأذان في مالطة ، يؤذن فلا يدوي أذانه إلا في وادي العدم .
لايوقظ نياما ، ولايحرك مستفيدين .
انقصف قلم السلطة ، وصُمّت صليل الأوامر ، ولم يعُد أحد يلبي .
وضاعت مشيئة المنح والعطاء ، وعزت قدرة النفع والضر .
وشُلت يده عن منح العطايا والهبات .
وانتهى ماكان يوزعه بمزاجه من امتيازات .
ونضب ماكان يرتهن بمشيئته .
وأصبح خاوي اليدين ، إلا من أصفاد القادة الجدد .
هؤلاء الذين يشلون إراداته الآن ، وهم أنفسهم الذين كان يطل عليهم من علياء .

يجلس .... فيقفون .
يتكلم ... فيصمتون .
يهمس .... فينصتون .
يشير .... فيتطلعون .
ولكن بإطاحة قوية ... خلا كرسيه ، وخبا نجمه ، وحلقت في السماء نجوم جدد .
وانتقلت إمكاناته لأيدي الآخرين ..
والناس تتحلق حول صاحب كل ضوء ، وتحيطه من كل صوب .
وتجعل من بشريتها خيمة يستظل بها الكبير .
أما هو فقد كان يستمد زهوه من تركيبة سلطة الدولة .
فلما تفككت سلطته هو ، وفصلت على بدن قائد جديد ، تحلق حوله المريدون ، وتركوه هو عاريا يعاني برودة الاغتراب ، بعد أن كان من حوله يدثرونه بحرارة النفاق . وحرموه نسمة المديح كسلطان وهّاب .
صار هزيلا مرتجفا هيابا .
.. ..

كل ذلك كان يدور في رأسه المرتطم بضجة القبض والسحب .
وبعد أن كانت خطواته تفصلها المسافات عن خطوات التابعين .
تشابكت خطواته إلى درجة الالتصاق والسقوط .
وتغيرت نغمات الهتاف له ، إلى طنين السخط والاستغاثة بالسماء .

واستمات يدير عقرب ساعة الزمان على تاريخ سابق ، أو يغير صورة اللحظة الكئيبة ...

ولكن دون جدوى كالدنيا لاتدوم ، وكالنهاية لها ساعة يجثو فيها القوي ، وتخور العافية ، ويرقد الواقف ، وينطفىء البريق .

.. ..

.. ..

وغادر القائد المهزوم أرض السلطة بتحريك لا إرادي لأرض الاحتجاز ، ونزع منه صولجان القوة ، وسحب كالبسطاء من أكتافه وأطرافه ، وتساوى عنده في ذلك الحين أن يكون قعيد البيت ، أو أن يعتلي دست الحكم ، المهم عنده استمرار الحياة .

واستمر بالأمل مشحونا لايستسلم .
ولم يسكن جسده حتى لاتسحبه دوامة الغرق ، فقاوم برجليه ويديه (وجزّ بأسنانه) ، وتصلب بباقي جسده .
لكن الكثرة غلبت الشجاعة ، ورداء السلطة طوى ثياب التقاعد .
وانحبست الصرخة بلا سماع .
ووهنت المقاومة بلا دفاع .
وكان لابد أن تنتهي الزفة .
إما إلى عرس متألق ، أو إلى ملك الموت يحلق .

وبطلقة رصاص !! فرشت النهاية ستار الظلام على جسد مسجى !!

.. ..

.. ..

ويقال رغم كثرة ماتحرر من بيانات وشهادات طبية واستجوابية ، إنه في لحظات التشبث والصراع والجذب بينه وبين رياض وفوزي ، خرجت طلقة مسدس أحدهما في جنبه ، ولمداراة ماصار عن عيون النشر والإعلام ، فقد عجلا بإلقائه في سيارتهما وتوجهوا إلى مستشفى المعادي العسكري ، وباشرت السلطة الطبية تكفين الجثة ، وتولت السلطة العسكرية دفنها دون أن يسمح لأهله بلمسها لإخفاء أثر إصابته ، وفرضت حراسة مشددة على قبره لمدة ثلاث سنوات .

وهناك صيغ تقرير الانتحار وكأنه انتحار قادة تراجيديات اليونان القدامى على أثر خسارة موقعة حربية ، مسجلا في الأوراق الرسمية « إنه سيانور البوتاسيوم » ، قد تجرعه ذلك الرجل المحب للحياة ، العازف عن ابتلاع أي سم ؛ لأنه كان يرحب بأن يزف للسلطة لا للقبر . وقد شهدت ابنته أنه قد طلب ماكينة الحلاقة الكهربائية عشية مصرعه ، فكيف ينتحر ؟ .

وقد تحرر في ذلك بيان مملوكي « مفبرك » كوفىء من كتبوه بإغداق نعم الرتب والترقي دون وثيقة تكذب تقريرهم كأطباء للسلطة ، ومن لايصدق فسيجعلونه يلحقه ليسأله ! . واستقر في ضمير الأمة أن موته اغتيال مفاجىء .

كذلك ربطت الشائعات فيما بعد بين تلك الحادثة ، ومصرع الفريق رياض بيد جندى من بلدة المشير ، وكأنه الثأر المؤجل ، في أحد معسكرات الجيش الذي كان يتفقده رئيس الأركان ، يوم أن قيل إنه تفجير من العدو تجاهنا .

وصدرت صحف 16 سبتمبر 67 ، يتصدرها نبأ انتحار عبد الحكيم عامر ! .

وعقد مجلس الوزراء اجتماعا تحدث فيه الرئيس بملء الأسى ، عن علاقته بعبد الحكيم عامر الأخ والصديق وزميل الثورة ، وملابسات الأحداث وتداعيها ، وما انتهى إليه مصيره ، ودمعت العيون ، وقال جمال لزملائه (تصوروا أن يموت حكيم ، ولا أحد منا يمشي في جنازته ! تصوروا !) دون أن يشير لمساهمته في أن يساق لقدره ، وأنه عندما تتصادم الأدوار مع العواطف ، تتحدد الأقدار .

وهكذا لمع نجمه خاطفا ، لينطفىء أيضا خاطفا .

ودفن في قريته أسطال ــ سمالوط ــ المنيا ، بلا موكب رسمي ، بعد أن ظلت المواكب الرسمية تواكب كل خطواته .

وقبع في قبره كنهاية كل كائن حي ، بلا أضواء أو ضجيج ، إلا من شاهد رخامي يدون اسمه وتاريخ وفاته .

* * *

وأخذت الحياة تسير بقادة جدد ، حيث لاتخلو السلطة من أصحاب السلطان ، وهدأت معارك الداخل والخارج .

وعاد الحكم لسدنته وكأنه ماتعرض يوما لما يقعد الأمم ، ويغير نظمها .

وصار في حلبة السلطة من ضباط الثورة ثلاثة :

جمال عبد الناصر ــ أنور السادات ــ حسين الشافعي

إلى جانب حوارييهم من الأمناء المهادنين ممن ليس لديهم صك الثورة ، وبالتالي لايجرءون على دخول حلبة صراع الأفيال .

واستمرت السلطة في يد مؤسس الثورة ناصر ، وحوله الاثنان يتباريان ، وفي يد الرئيس خيوط مسرح العرائس ، فاختير الشافعي نائبا ، ثم تعدل الاختيار ليعاد تعديل اختيار السادات نائبا ، وذلك في مهادنة المطيعين كديكور ثابت .

إلى أن سقط الأول بالموت الغامض .

والثاني بالموت المثير ! .

وخرج الثالث من السلطة بعد أن أمضى فترة نائبا وحيدا ، ثم نائبا شريكا مع علي صبري .

واتهم بلا تحقيق أنه يذكي وهج الجماعات الدينية ، ويتعاطف مع غزوة الفنية العسكرية .

وصار متبتلا متصوفا لايفوته احتفال ديني ، ويصلي الفجر حاضرا في صحن المشهد الحسيني مع المريدين أتباع الله .

سلطان كل عصر ، ومُحق كل حق .

.. ..

.. ..

واستمر سباق القدر الثوري في اختيار كراسي الرياسة ، وأوفد ممدوح سالم إلى قائد نابه تصدر القائمة ، اختارته المقادير ، بأن وقعت عليه عين ، وأشار إليه قلب السادات رئيس الجمهورية لتلك الفترة ، بعد أن مر بامتحان تجارب معارك الطيران الناجحة وأبلى بلاء الأبطال .

فخلع سترته العسكرية ، وارتدى زي نائب رئيس الجمهورية المدني .

وبعد حادث « للنصة » ، انتخب دستوريا من خلال تصويت مجلس الشعب ، ثم بالاستفتاء المباشر ليكون رابع رئيس جمهورية .

وعلى الشعب القبول ! أملا في مستقبل بلا صراع ، أو انشقاق .

.. ..

.. ..

ومازال لانشقاق الثوار قصة تروى ....

تحت عنوان « نهاية حكم العسكر »

والله نسأل الصدق والإلهام بالحقائق .

* * *

مدينة المنيا ــ فبراير سنة 1989

نهاية حكم العسكر

حكام مصر و مستقبل النظام

الخاتمة .... والبداية

ولقد بقي لانشقاق الثوار ، جزؤه الأخير :

وهو الحديث عن « نهاية حكم العسكر » حكام مصر ... ومستقبل النظام .

فما بين التاريخ المصري القديم .. والتاريخ الحديث .. الملك مينا ، وحكم الأسرات ، واحتلال مصر بحكام أجانب : الفرس ، اليونانيين ، الرومانيين ، دخول مصر بوابة الإسلام الرحبة ، حكم الخلفاء والولاة ، المماليك ، الأتراك العثمانيين ، الفرنسيين ، أسرة محمد علي ، الإنجليز ، مابين ذلك ، وبين أول حكام مصريين في ثورة 23 يوليو 1952 . فقد تغير شكل الحكم من ملك يملك ويحكم إلى جانب رئيس وزراء كرئيس لحزب الأغلبية ، أو يختار بتكليف من الملك لأحد رجالات السياسة ليتولى فترة زمنية قابلة للقطع ، إلى نظام انقلابي أوتوقراطي عسكري تحول إلى ثورة خرج فيها الحاكم من صفوف القيادات العسكرية يرتدي الزي العسكري ، ثم الزي المدني .

ويعتمد في تشكيلاته السياسية على حكم رئاسي غير برلماني ، لا يواجه فيه الرئيس بسحب الثقة منه عن طريق الأعضاء ممثلي الشعب ، إنما المساءلة فقط للوزراء المعرضين للمواجهة والاستجواب ، المشمولين بحمايته ، مع تصفيق الأغلبية .

ويظل الحاكم العسكري يبدل ويغير النظام السياسي لمصر ، ويغير القيادات والوزراء كيفما يشاء ويظل هو ، ذاته مصونة لاتمس ، عرفيا وليس دستوريا .

وقد أسفر ذلك النظام السياسي عن جمهوريات أربع :

الجمهورية الأولى : الرئيس محمد نجيب : 1952 — 1954

« بساطة مفرطة .. تستجدي الرفعة » .

الرئيس من العسكريين لكبر رتبته ، لم ينفرد بالحكم ، جاء بطريق الاختيار المحدود وليس الشعبي .

كثر حوله الأنداد ممن لم ينصبهم ، خلع من منصبه بتكاتف أعضاء حكومته الذين كان لهم الغلبة عليه ، واختاروا من تولى من بينهم .

وكان الوحيد الذي يخرج عن تقليد « إما كرسي الحكم أو القبر » ، فكان البديل هو تحديد الإقامة في عهد ، وحرية الحركة في عهود تالية .

الجمهورية الثانية : الرئيس جمال عبد الناصر : 1956 — 1970

« قمة شامخة تحكم وحدها » .

الرئيس من العسكريين ، انفرد بالسلطة ، ووضع خريطة النظام السياسي لمصر مدة عشرين عاما ، وكانت له السيطرة التامة على مقاليد الأمور مهما كانت الانتصارات أو الأزمات .

قرب واستبعد زملاءه على هواه ، ووسع بينه وبينهم المسافة في خط السلطة .

اختار نائبه من زملائه بعد عدة تعديلات ، والاختيار الأخير لابد أن يثبت على خريطة الحكم .

عاش متقشفا ومات مهزوما ، لم يغادر كرسي الحكم إلا بالوفاة الغامضة بعد أن خاض صراع الخارج ، وقمع الداخل .

الجمهورية الثالثة : الرئيس أنور السادات : 1970 — 1981 .

« دهاء ماكر .. وزهد مرفه »

الرئيس من العسكريين ، انفرد بالسلطة مرتدياً ثوب الاستفتاءات الشكلية لاختيار الشعب .

تحايل زملاء الثورة القدامى للمشاركة في الحكم تحت لوائه ، لكنه فطن إلى ذلك وسماهم « خفافيش الظلام » ، قائلا : « إن الحكم ليس إرثا يورث للمبعدين الذين يشتركون مسالمين ، ثم لا يلبثون أن يتكتلوا للمتاعب » .

لم يزاحمه زملاء البداية الذين كانوا قد صفوا إلا واحداً فاختاره نائباً له .

كون فيالق جديدة يفرض عليها زعامته ، ثم لم يلبث أن أتى بنائب من خارج المجموعة التي قامت معه بالثورة لتقدمهم في السن ، وتجاوز مرحلة عطائهم وتقاعدهم ، ولتوسيع فروق الندية .

عدل ملامح المجتمع بإرادته الشخصية ، أدخل تياراً نسبياً من تنوع الحكم الشمولي ، أصابته عقدة الفقر القديم فتفرغ كالأباطرة ، واغترف من مسحة الرفاهية ، وأثرى من حوله .

غير الدستور وكان قد أباح تكوين المنابر ثم الأحزاب وصحفها ، ثم ضيق عليها ، غير المسار السياسي وشكل الدولة ، كثر خصومه وقتل في حادث المنصة المأساوي وهو يحتفل بذكرى انتصاره ! .

الجمهورية الحالية : الرئيس حسني مبارك : 1981 — 1993 .

« فتوة رصينة ... في مناخ صعب »

الرئيس من العسكريين .. اختير نائباً لتناسب سنه وقيادته العسكرية مع المرحلة .

نمّى النظام الديمقراطي بانفراجة نسبية بالتوسع الحزبي وإطلاق حرية الصحافة والنشر ، جعل قبضة الحكم للمؤسسات ، خاض جولات الإصلاحات الاقتصادية وكرس جهده لمعركة الإنتاج ، حيث هدأت الجبهات العسكرية التي استنفدت جهد أسلافه ، طهر الحكم ورشد الانفتاح ، جعل الصلح مع إسرائيل شكلا بلا مضمون .

وعد بتحديد زمن الرئاسة لفترتين ، لم يختر نائباً له ربما ليدع الشعب ليرى رأيه في اختيار زعامة المستقبل ، أسلوبه في اختيار وزرائه ، الإطار الاجتماعي للرئيس ،

هواياته ، زهده في السلطة .

* * *

وفي كل ذلك ..

مازالت مصر تحكم بنظام عسكري يتزيا بالزي المدني .

فما هو الانشقاق التالي بعدما وصلنا إليه من موت عبد الحكيم عامر ، وإنابة عبد الناصر للشافعي ، ثم تبديل السادات به ؟

ومادور النائب السابق حسين الشافعي في إخلاء ساحة الإنابة للسادات من علي صبري النائب الشريك ؟ .

وكيف تم التخلص من الشافعي صاحب الاتجاهات الدينية الصوفية ؟ .

ثم كيف تم اختيار النائب حسني مبارك الفريق الطيار ، وماذا كان موقعه القيادي في حكم عبد الناصر ؟ .

وما الانشقاق الظاهر والمستتر الذي تعرضت له المؤسسة العسكرية الحاكمة ؟ .

وما التغيرات التي حدثت في قيادات الأركان بين محمد فوزي وأحمد صادق ، وبين سعد الدين الشاذلي وأحمد إسماعيل ؟ .

وماذا عن مصرع الفريق أحمد بدوي ورفاقه ، وهل كان حادثاً مدبراً أم قدريًا ؟ .

وهل فكرة تجاوز مرحلة صراعات الندية وراء وقف إجراء اختيار نائب للرئيس مبارك ؟ .

وما مأزق عدم وجود نائب للرئيس عند وجود مانع مؤقت لمباشرة الرئيس لسلطاته ؟ .

وما مدى ضرورة وجود منصب نائب الرئيس ومدى دستورية ذلك المنصب الذي أوقف غيابه صراع ازدواج السلطة ، وماذا وراء فراغ المنصب ؟ .

وما صورة المستقبل لاحتمالات الرئاسة القادمة في ضوء نظرية الحكم ، وظهور الحاكم ؟ .

وما تعريف الهيئة الحاكمة كسلطة سياسية ، وما نظام الحكم في الإسلام ؟ .

وما أنواع الحكومات التي تعرفها المجتمعات الحديثة ، وأجواء ظهور الحاكم الديكتاتور ومظاهر عهده ؟ .

تعريف رئاسة الدولة ، وعرض لتجارب الحكم في مصر .

مدى الحاجة للحكم المدني ، وكيفية إنشاء جمعية وطنية تأسيسية ؟ .

وكيف تكون موعظة التجارب في الحكم ، وسفينة الإنقاذ كمشروع قومي لنظام الحكم ؟ .

وأخيرا نهاية حكم العسكر ، وأزمة الإنسان المصري .

ذلك مايستحق أن يروى كعرض مستقل .

والله نسأل الصدق والإلهام بالحقائق

مدينة المنيا فبراير سنة 1989

« المؤلف »



مصادر الاطلاع

1 - محمـــــــــد نجيب كنت رئيسا لمصر ، المكتب المصري الحديث القاهرة 1984 .

2 - عــــــادل حمودة نهاية ثورة يوليو ، المطبعة الفنية القاهرة 1983

3 - سامـــي جوهـــر الصامتون يتكلمون ، المكتب المصري الحديث القاهرة 1975 .

4 - عبـــد الله إمــــام ناصر وعامر ، مؤسسة روز اليوسف 1985 .

5 - فتحــــــي رضوان 72 شهرا مع عبد الناصر ، كتاب الحرية القاهرة 1985 .

6 - عبد الصمـد محمــد العشاء الأخير للمشير - مؤسسة دار التعاون القاهرة 1979 .

7 - عبد اللطيف البغدادي مذكرات البغدادي ، المكتب المصري الحديث القاهرة 1977 .

8 - جمـــال سليـــم الصامتون في الميزان ، القاهرة للثقافة العربية ، القاهرة 1976 .

9 - حلمـــــي سلام أنا وثوار يوليو ، دار ثابت القاهرة 1986 .

10 - جمـــال سليـــم دكتاتورية السادات ، مكتبة مدبولي القاهرة 1983 .

11 - سيــــد مرعـــي أوراق سياسية (3أجزاء) - المكـتب المصري الحديث القاهرة 1979 .

12 - محمـــود فـــوزي ثوار يوليو يتحدثون - الزهراء للإعلام العربي القاهرة 1988 .

قائمة بأسماء وردت بالكتاب

دانتى
حسنى مبارك
إحسان عبد القدوس
صلاح سالم
الأميرة فايزة
عبد المنعم أمين
أنور السادات
ناهد رشاد
جمال عبد الناصر
كمال الدين حسين
رشاد مهنا
محمد نجيب
حسنى الدمنهورى
محمد إبراهيم
عبد اللطيف البغدادى
عبد الحكيم عامر
زكريا محيى الدين
مصطفى خميس
محمد البقرى
عبد القادر عودة
هنداوى دوير
يوسف طلعت
إبراهيم الطيب
محمد فرغلى
محمود عبد اللطيف
يوسف صديق
أحمد شوقى
كافورى
ستيفنسون

عباس حليم
وحيد رأفت
جوزيف ستالين
خالد محيى الدين
جمال سالم
حسن إبراهيم
حسين الشافعى
مانجستوهيلا ماريام
كارميل
نجيب الله
محمد داود
أحمد بن بيلا
هوارى بومدين
عبد الكريم قاسم
عبد السلام عارف
أحمد عرابى
عبد الرحمن سوار الذهب
جعفر نميرى
حسين سرى عامر
على نجيب
الخديو توفيق
على صبرى
نورى السعيد
محمد حسنين هيكل
أحمد فؤاد
إبراهيم بغدادى
محمد على
محمد عبد المنعم
بهى الدين بركات

يوسف كمال
عدلى لملوم
محمد عبيد
محمود سامى البارودى
أديب الشيشكلى
محمد حيدر
صاوى محمد صاوى
إبراهيم الطحاوي
عبد الرازق السنهورى
زينب الوكيل
مصطفى النحاس
سعد زغلول
سعود بن عبد العزيز
ترفليان
شكرى القوتلى
نيكيتا خروشوف
فؤاد سراج الدين
إبراهيم شكرى
مصطفى كامل مراد
أحمد الصباحى
مصطفى كامل
محمد فريد
بولجانين
تيتو دوايت أيزنهاور
جواهرلال نهرو
سوكارنو
الحجاج بن يوسف الثقفى
ميرابو
سيد مرعى

عبد الجليل العمرى
خليل عبد الناصر
مصطفى عامر
أحمد عبد العزيز
عبد الحليم أبو غزالة
إسماعيل القبانى
حسن البنا
هدى عبد الناصر
سيد قطب
كسرى أنور شروان
عمر بن الخطاب
عباس رضوان
صلاح نصر
أحمد عبود
توفيق عبد الفتاح
عبد الرحمن السندى
عبد المحسن أبو النور
كرومر
كيلرن
مجدى حسنين
نابليون بونابرت
سعد البغدادى
محمد نصير
البارون امبان
حسين بن طلال
نجيب محفوظ
إيدن
أودلف هتلر

عبد الحليم حافظ
شارل ديجول
فؤاد صادق
الاسكندر الأكبر
حسين عبد الناصر
سامى الحناوى
حسنى الزعيم
عبد الحميد السراج
شمس بدران
على شفيق
عبد المنعم أبو زيد
برلنتى عبد الحميد
عمرو عبد الحكيم عامر
نصر عبد الحكيم عامر
وردة الجزائرية
محمد كامل حسن
سهير فخرى
مها صبرى
سوزان حسين صدق
أمين هويدى
ناريمان صادق
الدكتور النقيب
فيصل بن عبد العزيز
راشد البرلوى
موسى صبرى
هارون الرشيد
داريوس
يريا

كليوباترا السابعة
اوكتافيوس
روميل
مونتيجمرى
امرؤ القيس
لندون جونسون
عبد المنعم رياض
صدقى محمود
محمد فوزى
أحمد إسماعيل
مدكور أبو العز
عبد الصمد محمد عبد الصمد
محمود عبد الله
ممدوح سالم
عبد القادر حاتم

حلمى سلام
مصطفى أمين
محمد وصفى
الشيخ عاشور
طه حسين
عبد الله السلال
عزيز صدقى
عبد الرحمن البيضانى
مسرور
أنيس منصور
أحمد شوق
فاروق فؤاد

ملحق صور



أنـــــور السادات

الملك فاروق

رشاد مهنـــــــــا

جمال عبـد النـــاصر



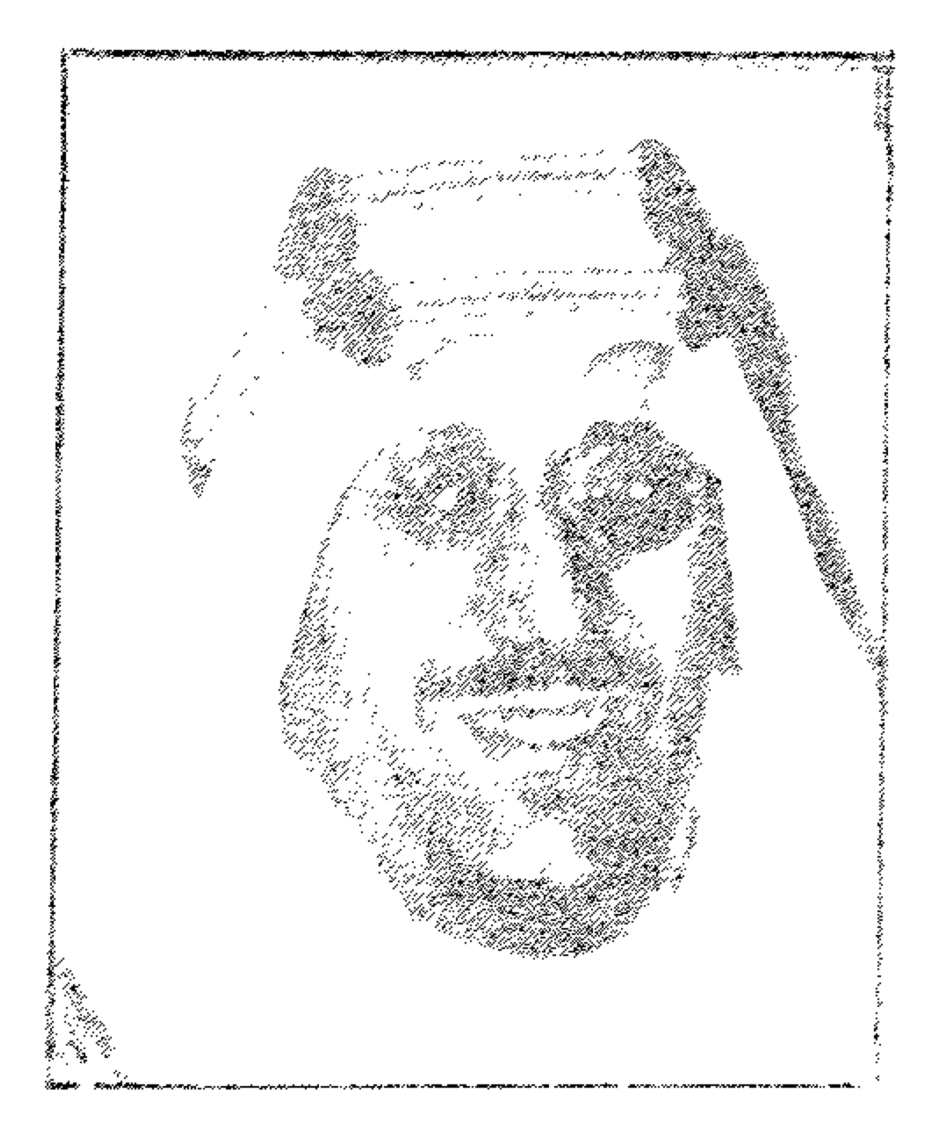
حسين الشافعى — هوارى بومدين — عبد الرحمن سوار الذهب

جعفر نميرى — على صبرى — نورى السعيد

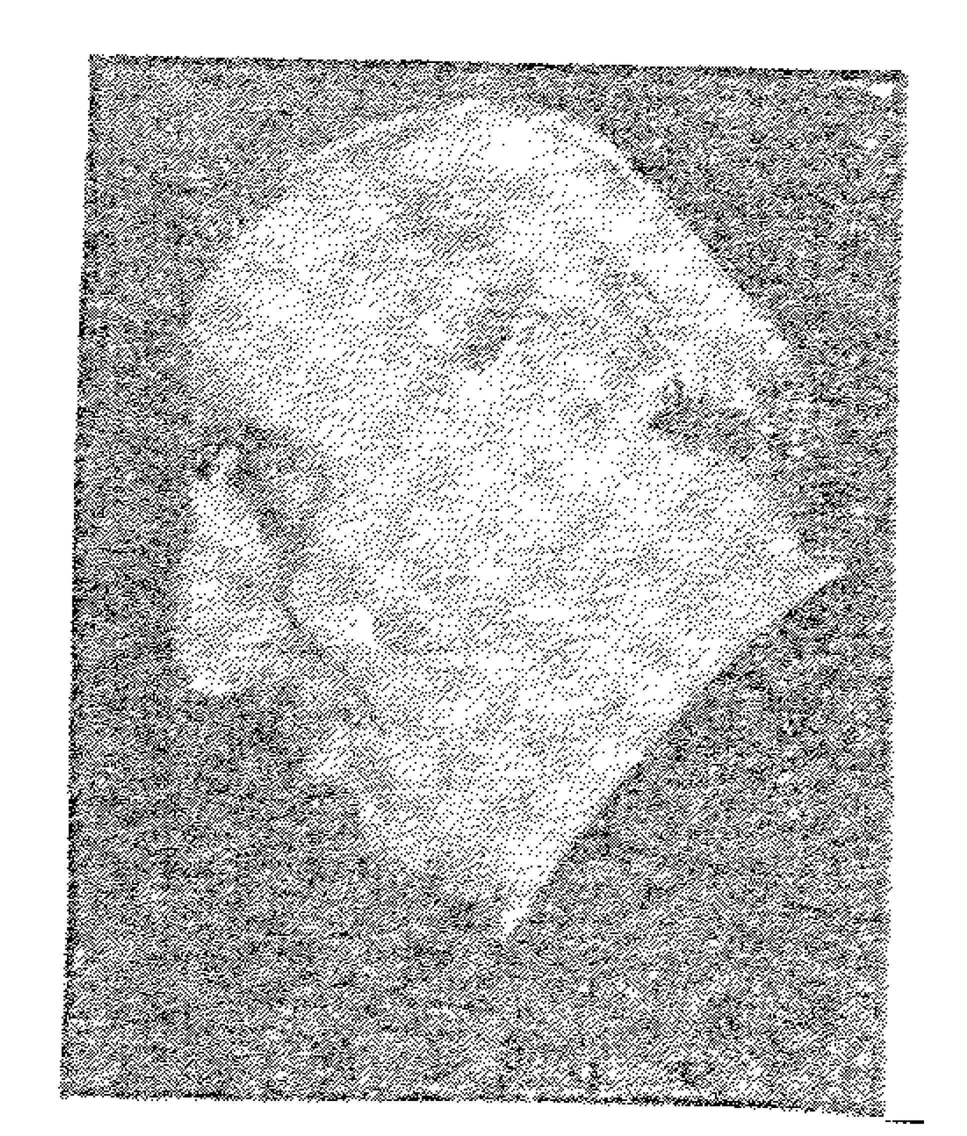
محمد حسنين هيكل — محمد حيدر



حسنـــــى مبـــــارك



سعود بن عبد العزير



شكرى القوتلى



عبد الرازق السهورى



فؤاد سراج الدين



إبراهيم شكرى

مصطفى كامل مراد

عبد الحليم أبو غزالة

حسين بن طلال

عزيز صدقى

صلاح نصر

أحمد عبود

نابليون بونابرت



شارل ديجول



فـــــواد صادق



شمس بـــــدران



وردة الجزائريـــــة



مهـــــا صبرى



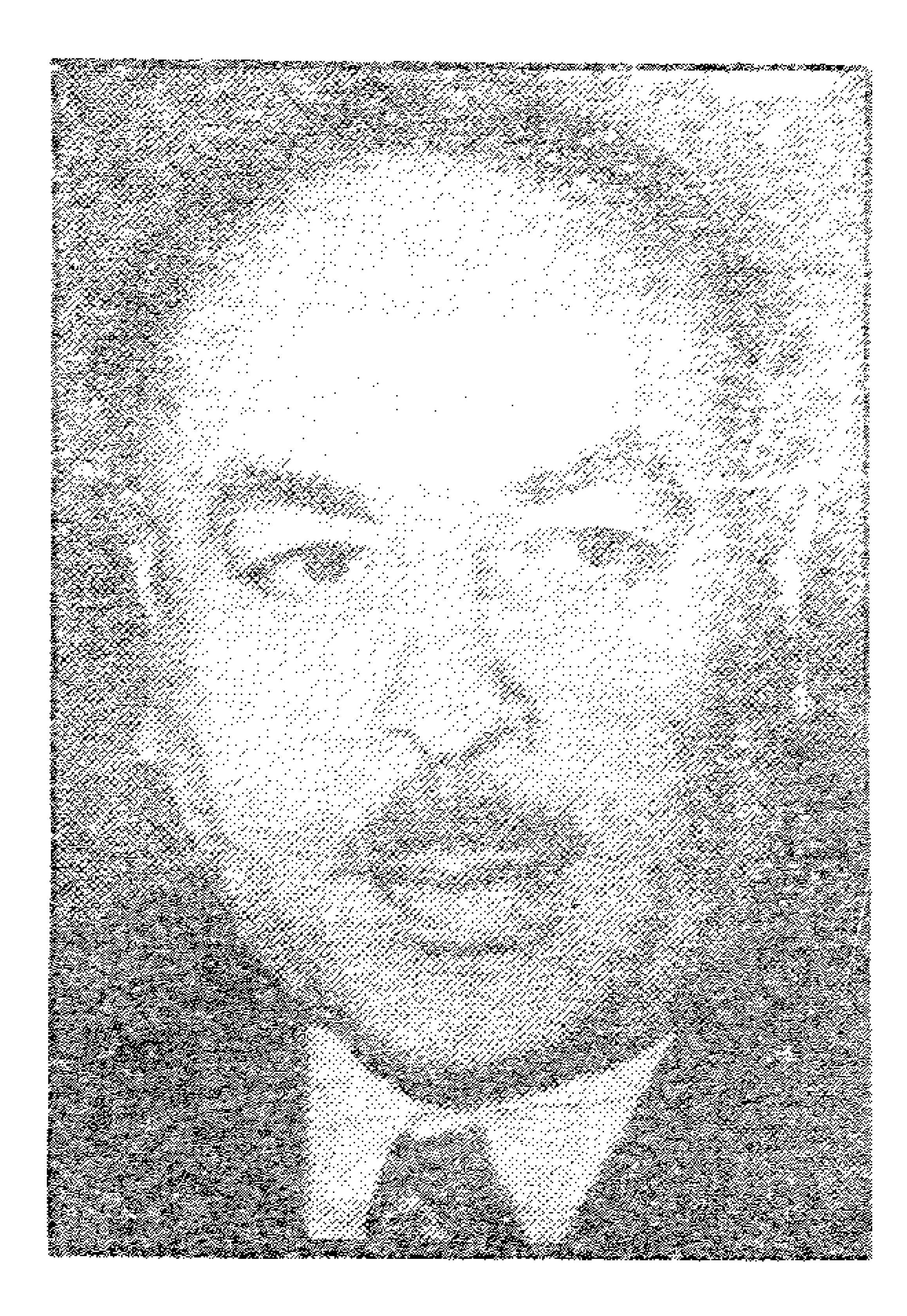
عبد الحليم حافظ



إحسان عبد القدوس



برلنتى عبد الحميد





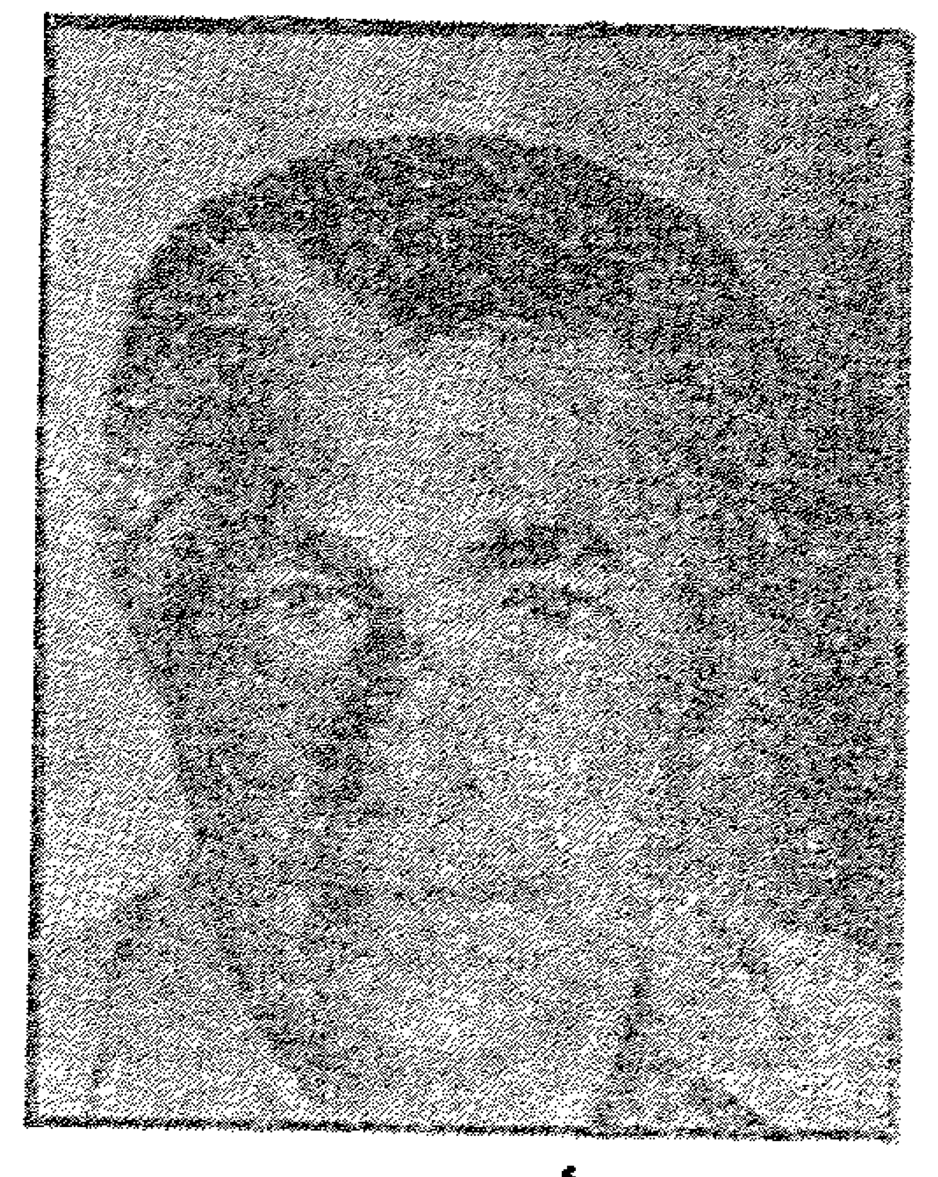
عبد القادر حاتم



فيصل بن عبد العزيز



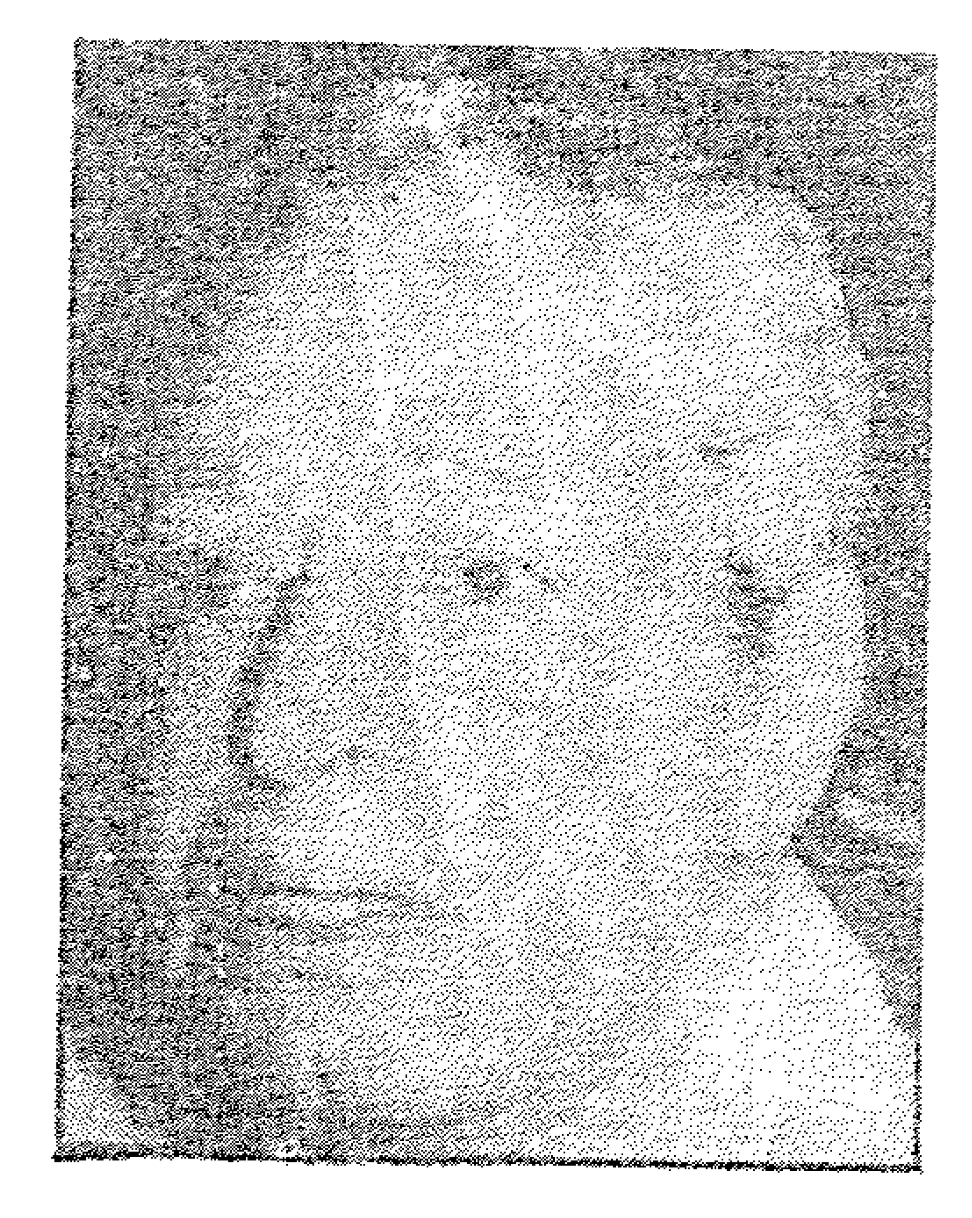
عبد المنعم رياض



أنيس منصور



لندون جونسون

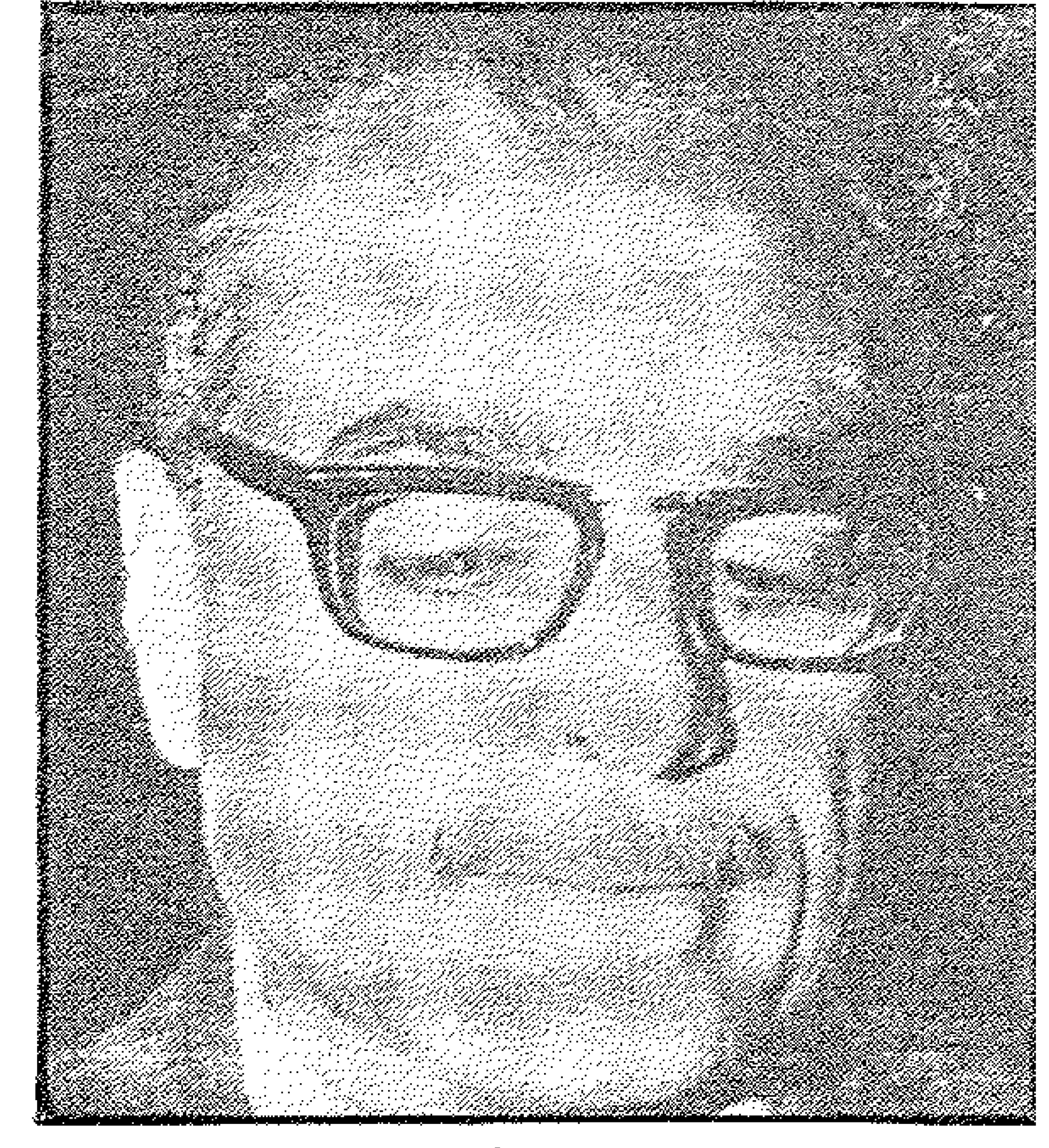


صدقي محمود

محمد فوزى



أحمد إسماعيل



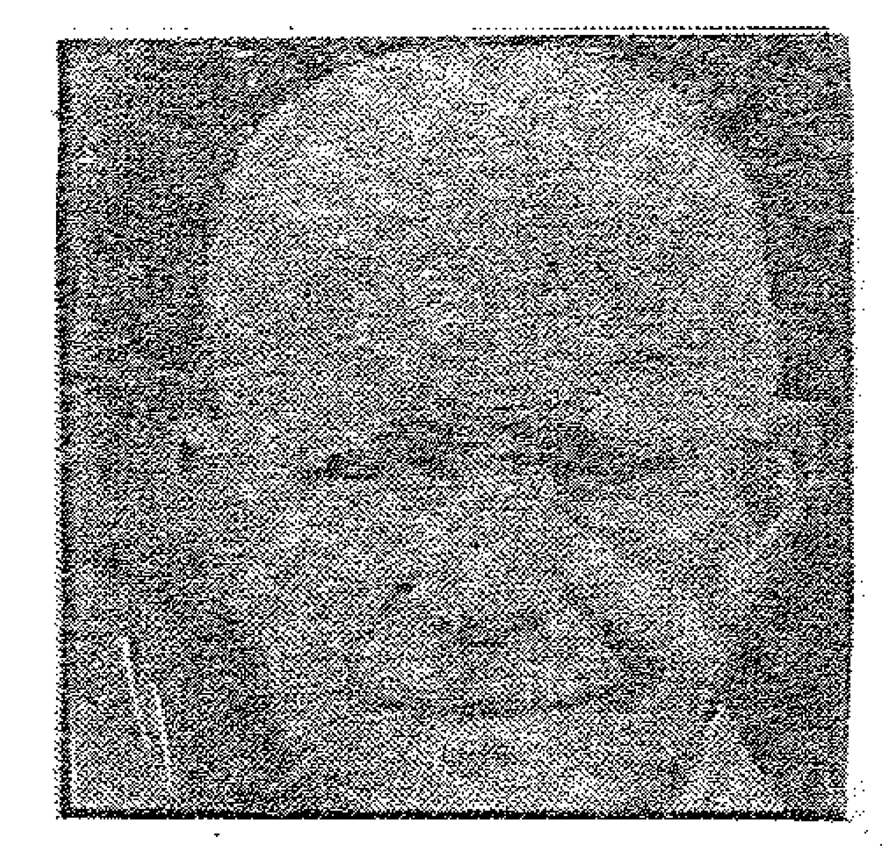
مدكور أبو العز



طه حسين



ممدوح سالم



دوايت أيزنهاور



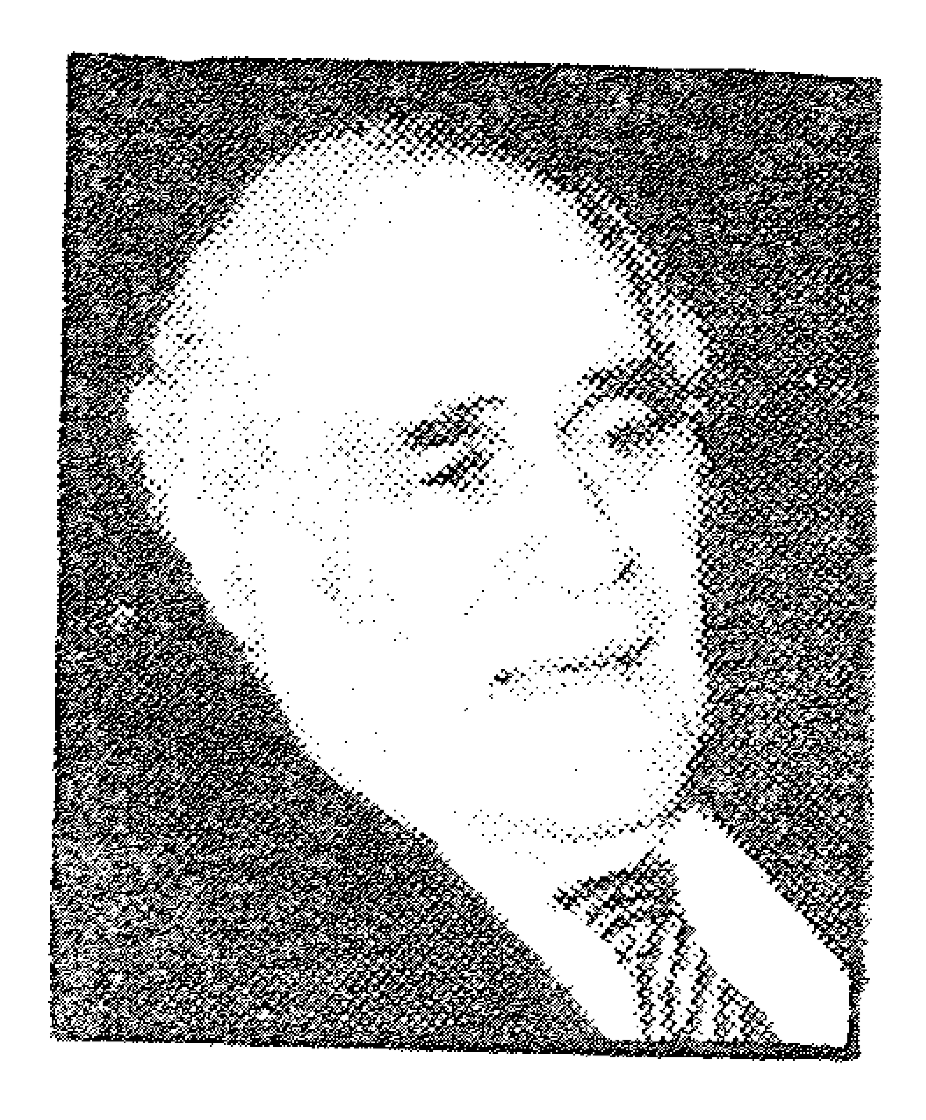
عبد الله السلال



مصطفى النحاس



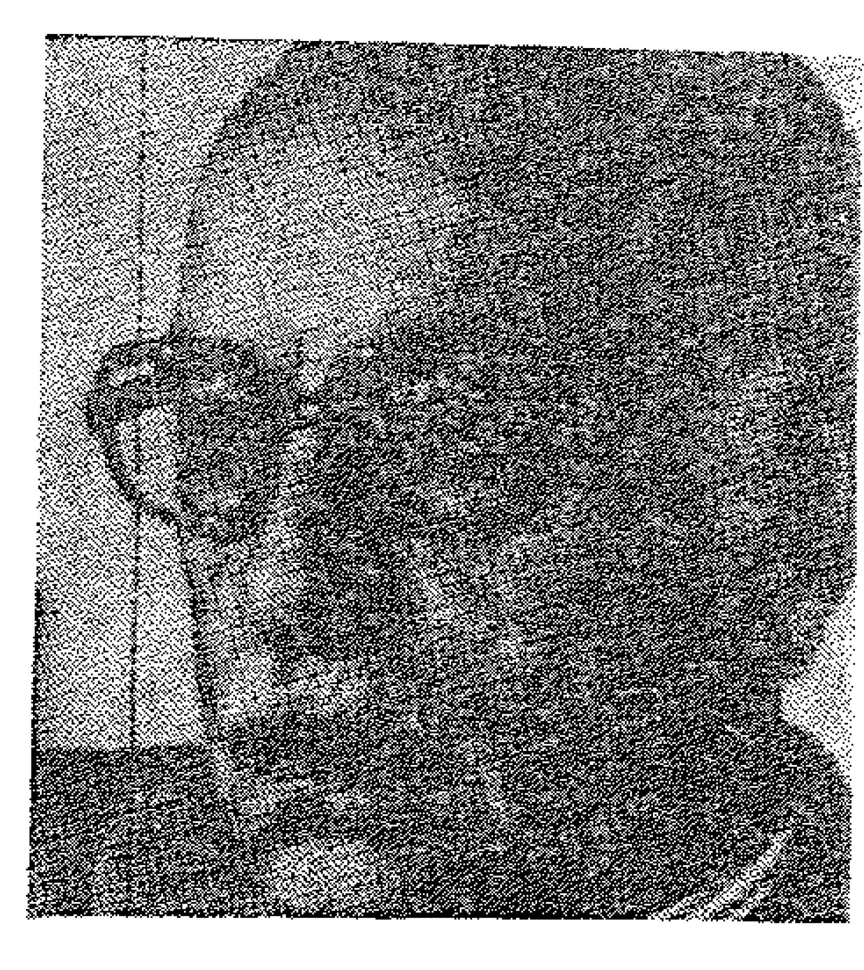
وحيـــــد رافت



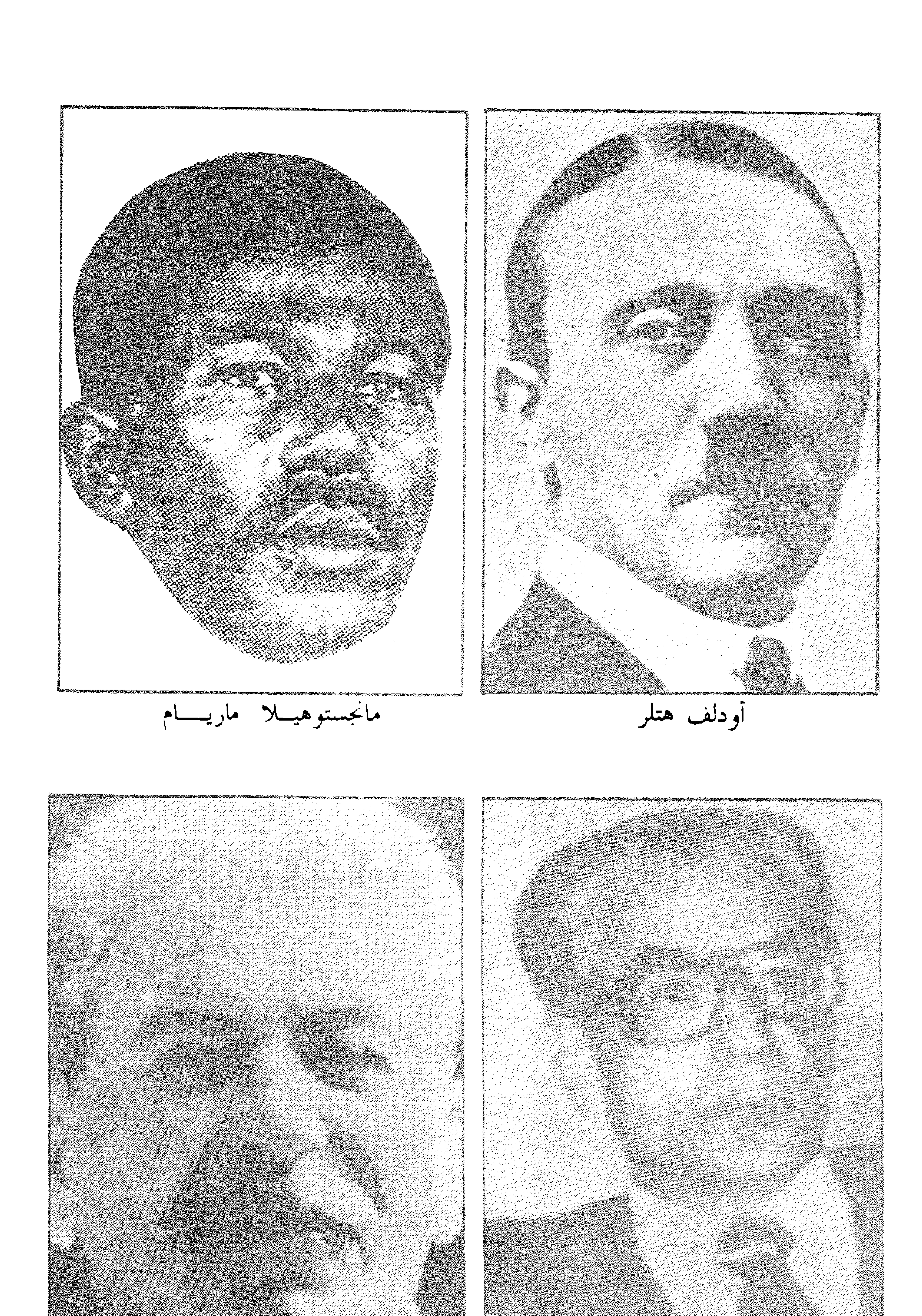
مصطفى أمين



نجيب محفـــــوط



سيد مرعى



مانجستوهيلا ماريام

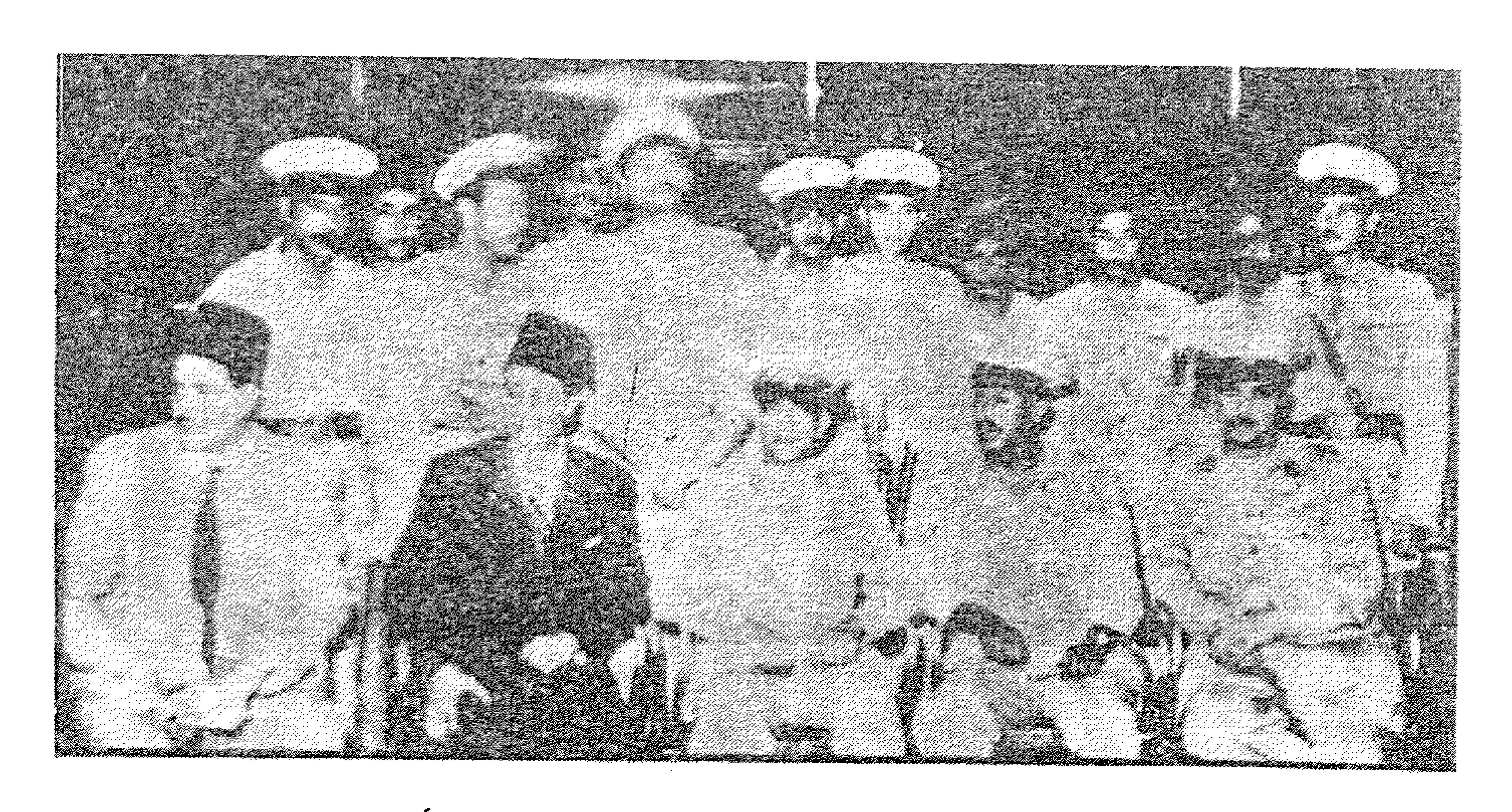
آودلف هتلر

ستالين

شاه ايران



قادة ثورة يوليو ٥٢ يتوسطهم اللواء محمد نجيب فى مكتب رئيس
الأركان عقب اقتحام مبنى رئاسة الجيش مباشرة .



اللواء محمد نجيب فى دار الإذاعة مساء يوم ١٤ يوليو حيث أذاع على الهواء مباشرة
بيانا موجها إلى الشعب . على يمينه الأستاذ على خليل وكيل الإذاعة والمهندس صلاح
عامر وعلى يساره المقدم أنور السادات والرائد ا . ح جمال حماد .

كتب تحت الطبع للمؤلف

1 - أزمة الإنسان المصرى .

2 - الديموقراطية المجهضة .

3 - برلمانات بلا (ميرابو) .

4 - محافظون تقليديون .. ومحافظون مستنيرون .

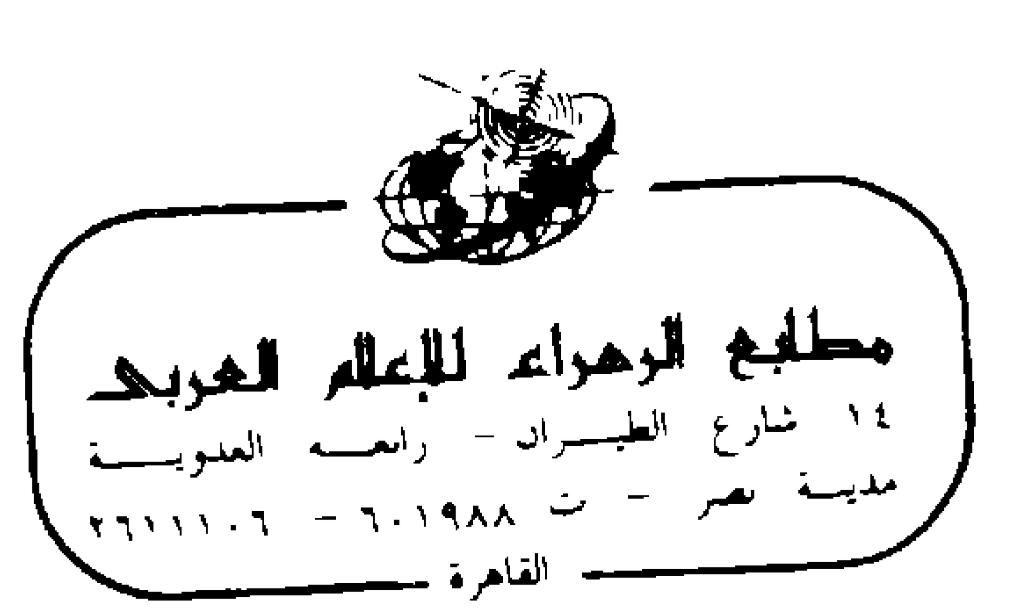
5 - مسرحية « ريش .. وعقل مافيش » !

6 - مجموعة رسائل رومانسية ،
وقصة امرأة خارج الزمان .

7 - ضباب فى سماء المجتمع .

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٢٠٢٤ / ١٩٩٠
الترقيم الدولى : X - ٤٩ - ١٤٧١ - ٩٧٧





إبراهيم سطوحي

- مدير بالتنظيم والإدارة بمحافظة المنيا .
- خريج قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1958 .
- كان يصدر مجلة الكلية « المؤرخ » .
- محاضر في المجالات السياسية والإدارية والاجتماعية .
- استكمل تلك الدراسة بكتابه « نهاية حكم العسكر » .
- يعد كتابه القادم « أزمة الإنسان المصري » .

انشقاق الثوار

صراع ضباط ثورة ٢٣ يوليو

« وغادر عبد الحكيم القائد المهزوم أرض السلطة بتحريك لا إرادى لأرض الاحتجاز ، ونزع منه صولجان القوة ، وسحب كالبسطاء من أكتافه وأطرافه ، وتساوى عنده فى ذلك الحين أن يكون قعيد البيت ، أو أن يعتلى دست الحكم ، المهم عنده استمرار الحياة .

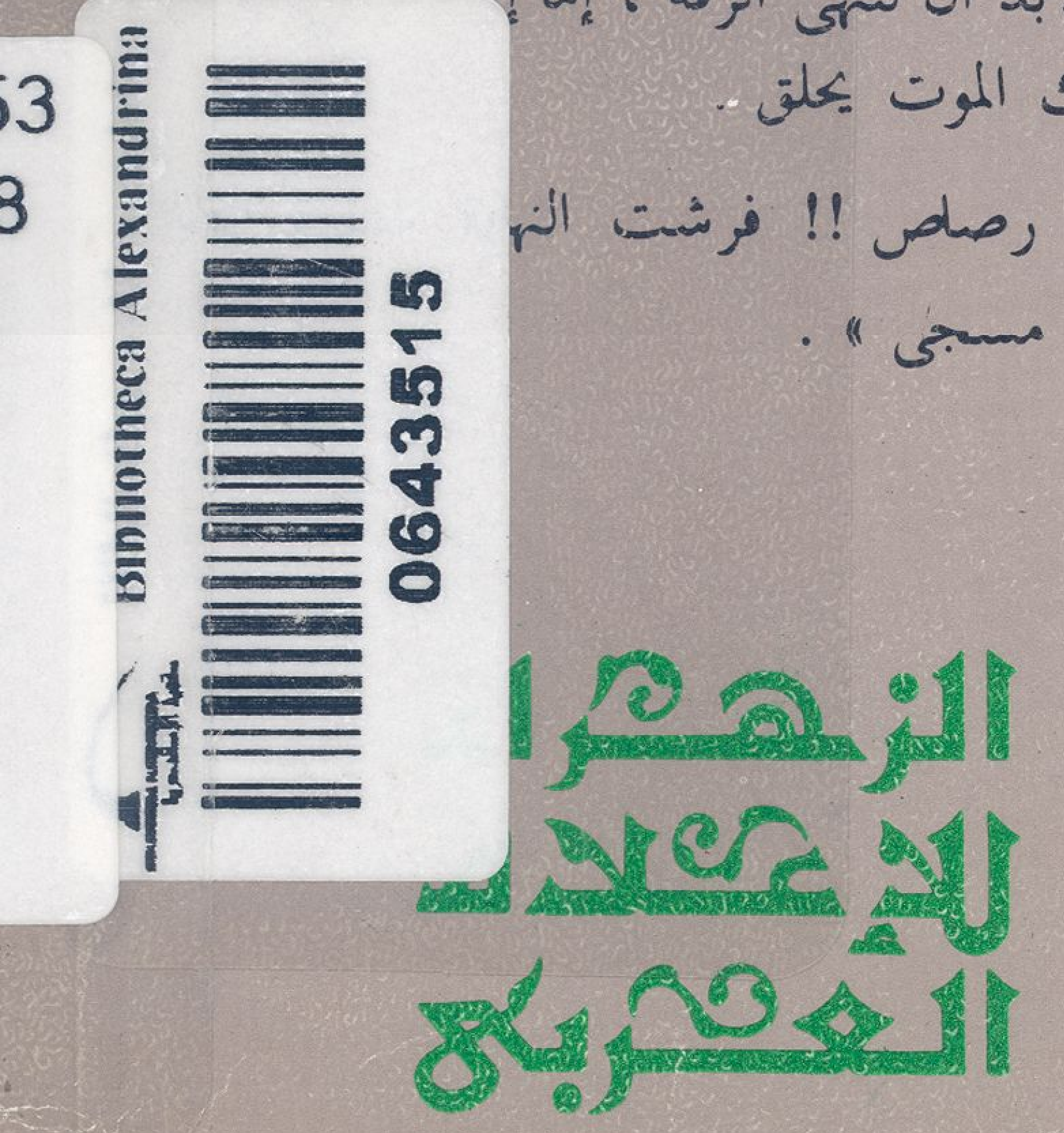
واستمر بالأمل مشحونا لا يستسلم ، ولم يسكن جسده حتى لا تسحبه دوامة الغرق ، فقاوم برجليه ويديه ، وجز بأسنانه ، وتصلب باقى جسده لكن الكثرة غلبت الشجاعة ، ورداء السلطة طوى ثياب التقاعد .

وانحبست الصرخة بلا سماع .

ووهنت المقاومة بلا دفاع ..

وكان لابد أن تنتهى الزفة ، إما إلى ... أو إلى ملك الموت يحلق .

وبطلقة رصاص !! فرشت النه... على جسد مسجى » .



تصميم الغلاف : عصمت داوستاشي